


فقه الزهد

فِقهُ الزُّهدِ



الطبعة الأولى: ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

رقم الإيداع: ٠٠٠٠٠٠٠٠/٢٠١١م

الترقيم الدولي: I.S.B.N 978-977-5025-00-00





ص.ب: ٦١٠ ر.ب: ٢١١١١-٣١ ش الصالحي-محطة مصر - الإسكندرية

محمول: ٠١٠٦٥٥٢١١٨ ٢+/ ت: ٤٩٧٠٣٧٠ ٢٠٣+/ تلفاكس: ٣٩٠٧٣٠٥ ٢٠٣+

E-mail: alamia_misr@hotmail.com



تأليف

أبي عبد الله محمد بن العفيفي

تقديم

فضيلة الشيخ
محمد حسان

فضيلة الشيخ
مصطفى العدوي



الدار العالمية للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

فضيلة الشيخ

محمد حسان

الحَمْدُ لله وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، وَبَعْدُ..

فَـإِنَّ اللهُ جَلَّ وَعَـلَا يَقُـولُ: ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ ﴾ [الحديد: ٢٠].

وَلَا رَيْبَ أَنَّنَا نَعِيشُ عَصْرًا طَغَتْ فِيهِ الـمَادِّيَّاتُ، وَ الشَّهَوَاتُ، وَقَسَتْ فِيهِ القُلُوبُ، وَتَراكَمتِ الذُّنُوبُ عَلَى الذَّنُوبِ، وَقَلَّ الخَوْفُ مِنْ عَلَّامِ الغُيُوبِ!!

وَمَا أَحْوَجَنَا فِي هَذَا العَصْرِ إِلَى مَنْ يُجَدِّد إِيمَانَنَا بِاللَّه جَلَّ وعَلَا، وَيُبَصِّرُنَا بِحَقِيقَةِ الدُّنْيَا، وَيُذَكِّرُنَا بِالآخِرَة ﴿ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴾ [الأعلى: ١٧].

وَبَيْنَ أَيْدِيْنَا كِتَابُ «فِقْهِ الزُّهْدِ» لِوَالِدِي الحَبِيْبِ الـمُوَفَّقِ الشَّـيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ العَفِيفي؛ زَادَهُ الله تَوْفِيقًا وَرَشَادًا.

كِتَـابٌ يَأْخُذُ بِأَزِمَّةِ قُلُوبِنَا إِلَى الله جل وعـلا، وَيَهُزُّ القُلُوبَ الغَافِلَةَ لِتَفِيءَ مِنْ جَدِيْدٍ إِلَى العَزِيـزِ الحَمِيْـدِ، وَيُذَكِّرُنَـا بِقَضِيَّةٍ قَدْ تَبْدُوْا غَرِيْبَةً عَلَى أَهْلِ هَـذَا الزَّمَان – إِلاَّ مَنْ رَحِمَ اللهُ جـل وعلا؛ إِنَّهَا: قَضِيَّـةُ الزُّهْدِ، وَحَقِيقَـةُ الزُّهْدِ: الانْصِرافُ عَنِ الـشَّيْءِ؛ احْتِقَارًا لَهُ، وَتَصْغِيْرًا لِشَأْنِهِ، للاسْتِغْنَاءِ عَنْهُ بِخَيرٍ مِنْهُ.

وَيُعَرِّفُهُ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بِقَوْلِهِ[١]: «الزُّهْدُ: تَرْكُ مَا لا يَنْفَعُ فِي الآخِرَةِ، وَالوَرَعُ: تَرْكُ مَا تَخَافُ ضَرَرَهُ فِي الآخِرَةِ».

وِيَقُولُ سُفْيَانُ الثَّورِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا: قِصَرُ الأَمَلِ، وَلَيْسَ بِأَكْلِ الغَلِيْظِ، وَلَا لُبْسِ العَبَاءِ»[٢].

وَيُعَرِّفُهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ تَعْرِيْفًا جَامِعًا رَائِعًا؛ فَيَقُولُ:

«الزُّهْدُ عَلَى ثَلاثَةِ أَوْجُهٍ:

الأَوَّلُ - تَرْكُ الحَرَامِ وَهُوَ زُهْدُ العَوَامِّ.

الثَّانِي - تَرْكُ الفُضُولِ وَهُوَ زُهْدُ الخَوَاصِّ.

الثَّالِثُ - تَرْكُ مَا يَشْغَلُ عَنِ اللهِ وَهُوَ زُهْدُ العَارِفِيْنَ»[٣].

فَكَمْ مِنَ النَّاسِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُحَقِّقَ الوَجْهَ الأَوَّلَ - فَحَسْب!! - وَيَتْرُكُ الحَرَامَ مِنَ الأَقْوَالِ، واالأَفْعَالِ، وَالأَحْوَالِ؟!!

الأَمْرُ يَحْتَاجُ إِلَى مُجَاهَدَةٍ كَبِيرَةٍ ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، فَتَعَالَوْا بِنَا جَمِيعًا لِهَذِهِ الوَاحَةِ الوَارِفَةِ الظِّلَالِ، وَ البُسْتَانِ اليَانِعِ الثِّمَارِ؛ لِنَتَعَرَّفَ عَلَى حَقِيقَةِ الزُّهْدِ

---

(١) «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام (١٠/ ٢١، ٥١١)

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «الجرم والتعديل» (١/ ١٠١)، ووكيع في «الزهد» [٤]، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٨٦)، وابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» [٣٢] بإسناد صحيح عنه، والعباء: ضرب من الأكسية؛ كما في «النهاية» لابن كثير.

(٣) كما في «المدارج» لابن القيم (٢/ ١٢).

وَشَرَفِهِ، وَفَضْلِهِ، وَالعَيْشِ مَعَ رَسُـوْلِ اللهِ ﷺ، وَالصَّحَابَة، وَالتَّابِعيْنَ، وَالوُقُوْفِ عَلَى بَعْضِ الأَسْبَابِ الـمُعِيْنَةِ لِتَحْقِيقِ الزُّهدِ لجَنْيِ ثَمراتِهِ الطَّيِّبَةِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

أَسْـأَلُ اللهَ جل وعلا أَنْ يُطَهِّـرَ قُلُوبَنَا، وَأَنْ يُزَكِّي نُفُوسَـنَا، وَأَنْ يُبَصِّرنَا بِالحَقِّ، وَأَنْ يَرْزُقَنَـا جَمِيعًا حُسْـنَ الخَاتِمَـةِ، وَ أَلاَّ يَجْعَلَ الدُّنْيَا أَكْـبَرَ هَمِّنَا، وَلاَ مَبْلَغَ عِلْمِنَـا، إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَمَوْلاَهُ.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

كَتَبَهُ

محمد حسان

ربيع الأول ١٤٣٢هـ.

تقديم

فضيلة الشيخ
مصطفى العدوي

الْحَمْدُ لله والصَّلاةُ والسَّلامُ على رَسُولِ الله.

وبَعْدُ...

فَقَدْ قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ الكَرِيمِ: ﴿**يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ [البقرة: ٢٦٩].

وَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ الله بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِى الدِّينِ**»(١).

فَعلامَةُ خَيْرٍ بِعَبْدِ الله وَبِأَمَةِ الله أَنْ يُوفَّقَ وَأَنْ تُوفَّقَ لِلفِقْهِ فِي الدِّينِ؛ فَالفَقِيهُ يَعْمَلُ قَلِيلاً وَيُؤْجَرُ كَثِيرًا.. الفَقِيهُ يُنَزِّلُ الأُمُورَ مَنَازِلَهَا اللائِقَةَ بِهَا.. الفَقِيهُ يَعْمَلُ بِنُصُوصِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مُجْتَمِعَةً قَدْرَ اسْتِطَاعَتِهِ، وَكَذَا فَإِنَّهُ يُعْمِلُهَا جَمِيعًا، فَلا يَبْنِي حُكْمًا عَلَى حَدِيثٍ وَاحِدٍ وَيَتْرُكُ سَائِرَ الأَحَادِيثِ الوَارِدَةِ فِي البَابِ؛ بَلْ يَجْمَعُ بَيْنَهَا قَدْرَ جَهْدِهِ واسْتِطَاعَتِهِ، فَيَدْفَعُ التَّعَارُضَ الَّذِي قَدْ يَظْهَرُ لِشَخْصٍ بَيْنَ حَدِيثَيْنِ، وَيُؤَلِّفُ بَيْنَ النُّصُوصِ. فَمَثَلاً قَوْلُ رَبِّهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً**﴾ [البقرة: ٢٠٨]؛ فَمِنْ مَعَانِي الآيَةِ الْكَرِيمَةِ: اعْمَلُوا بِالنُّصُوصِ - جَمِيعِهَا - قَدْرَ اسْتِطَاعَتِكُمْ.

فَهَذَا الَّذِي ذُكِرَ سَبَبٌ مِنْ أَسْبَابِ نَيْلِ الْفَقِيهِ الخَيْرِيَّةَ الوَارِدَةَ فِي حَدِيثِ رَسُولِ الله ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ الله بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِى الدِّينِ**».

---

(١) أخرجه البخاريُّ في «الصحيح» [٧١]، ومسلم [١٠٣٧] عن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

هَذَا.. وَكَمَا أَنَّ الصَّلاةَ لَهَا فِقْهٌ، وَالزَّكَاةَ لَهَا فِقْهٌ، وَالْحَجَّ لَهُ فِقْهٌ، وَالصِّيَامَ لَهُ فِقْهٌ، فَكَذَا الأَخْلاقُ لَهَا فِقْهٌ تَلْزَمُ مَعْرِفَتُهَ، وَيَلْزَمُ الوُقُوفُ عَلَيْهِ، فَقَدْ يَتَقَلَّدُ شَخْصٌ خُلُقًا يَرَى نَفْسَهُ فِيهِ مُوَفَّقًا وَهُوَ فِي ذَاتِ الوَقْتِ بَعِيدٌ كُلَّ الْبُعْدِ عَنْ وُجُوهِ الحَقِّ والصَّوَابِ، شَاذٌّ وَمُخَالِفٌ لِعُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ فَضْلاً عَنِ النُّصُوصِ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَقَدْ يَشْتَدُّ الشَّخْصُ فِي مَوْقِفٍ يَحْتَاجُ إِلَى اللِّينِ فَيُخْطِىءُ بِشِدَّتِهِ وَيَتَهَوَّرُ، وَقَدْ يَلِينُ فِي وَقْتٍ يَحْتَاجُ إِلَى شِدَّةٍ فَيَقَعُ بِذَلِكَ فِي الضَّعْفِ وَالْخَوَرِ. وَقَدْ يَزْهَدُ الشَّخْصُ في شَيْءٍ فِي وَقْتٍ يَحْتَاجُ إِلى حِرْصٍ، وَقَدْ يَحْرِصُ عَلَى شَيْءٍ وَالأَمْرُ يَحْتَاجُ إِلى زُهْدٍ؛ فَالْفَقِيهُ مَنْ يُنَزِّلُ النُّصُوصَ مَنَازِلَهَا وَالْوَقَائِعَ مَوَاقِعَهَا.

هَذَا.. وَلَمَّا كَانَ رَسُولُنَا الأَمِينُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرَ الزَّاهِدِينَ لَزِمَنَا أَنْ نَنْظُرَ إِلَى طَرِيقَتِهِ فِي هَذَا البَابِ - بَابِ الزُّهْدِ - فَنَنْظُرَ كَيْفَ كَانَ يَسِيرُ فِي حَيَاتِهِ ، وَمِنْ ثَمَّ نَسِيرُ عَلَى دَرْبِهِ وَنَقْتَفِي أَثَرَهُ إِذْ هَوَ خَيْرُ الزَّاهِدِينَ عَلَيْهِ صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلامُهُ.

أَمَا وَقَدْ وَرَدَ عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يُفِيدُ الحَثَّ عَلَى التَقَلُّلِ مِنَ الدُّنْيَا، وَوَرَدَ عَنْهُ كَذَلِكَ الاسْتِمْتَاعُ بِالْـمُبَاحِ مَا دَامَ حَلالاً، فَلَزِمَنَا أَنْ نُوَفِّقَ بَيْنَ الوَارِدِ عَنْهُ - صَلَوَاتُ رَبِّى عَلَيْهِ وَسَلامُهُ-؛ فَضْلاً عَنِ التَّوْفِيقِ بَيْنَ آياتِ الكِتَابِ العَزِيزِ الَّتِى قَدْ يَبْدُو مِنْ ظَوَاهِرِهَا لِقَلِيلِ العِلْمِ أَنَّهَا مُتَعَارِضَةٌ، فَهَذَا مَبْحَثٌ جَلِيلٌ، وَبِالدِّرَاسَةِ وَالتَّأَمُّلِ جَدِيرٌ.

هَذَا.. وَقَدْ قَامَ أَخِي مُحَمَّدُ بْنُ العَفِيفي بْنِ عَبْدِ الْمَقْصُودِ آلُ عَفِيفِي - حَفِظَهُ اللهُ - بِجَمْعِ كَثِيرٍ مِنَ الوَارِدِ فِي أَبْوَابِ الزُّهْدِ مِنْ آياتٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَأَحَادِيثَ مِنْ أَحَادِيثِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَذَلَ جَهْدًا فِي الْجَمْعِ بَيْنَ مَا قَدْ يَبْدُو مُتَعَارِضًا، فَضْلاً عَنْ تَنَاوُلِهِ بَعْضَ الآياتِ وَالأَحَادِيثِ بِشَرْحٍ مُخْتَصَرٍ وَنَافِعٍ - إِنْ شَاءَ اللهُ، وَذَلِكَ - كَمَا أَسْلَفْتُ - فِي أَبْوَابِ الزُّهْدِ، وِهَذَا كِتَابُهُ مَحَلٌّ لِذَلِكَ.

وَأَخِـي مُحَمَّدٌ حَفِظَهُ اللهُ مِنْ طَلَبَةِ العِلْمِ الْـمُجِدِّينَ، وَلا أُزَكِّيهِ عَلَى اللهِ، وَقَدْ حَرَصَ عَلَى سَلامَةِ المَادَّةِ الحَدِيثِيَّةِ الَّتِي أَوْرَدَهَا، وَاعْتَنَى بِتَخْرِيجِ الأَحَادِيثِ الوَارِدَةِ وَكَذَا الآثَارِ عَنِ الصَّحَابَةِ فَمَنْ بَعْدَهُمْ قَدْرَ جَهْدِهِ وَاسْتِطَاعَتِهِ، وَحَكَمَ عَلَى الأَحَادِيثِ بِمَا تَسْتَحِقُّهُ صِحَّةً أَوْ ضَعْفًا؛ فَكَانَ مُسَدَّدًا وَالحَمْدُ لله. وَأَوْرَدَ كَذَلِكَ حَفِظَهُ اللهُ أَقْوَالَ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ فِي كِتَابِهِ هَذَا؛ فَجَزَاهُ اللهُ خَيْرًا عَلَى إِفَادَاتِهِ الَّتِي أَفَادَ، وَأَسْأَلُ اللهَ لَهُ مَزِيدًا مِنَ التَّوْفِيقِ وَالسَّدَادِ.

هَـذَا.. وَقَدْ نَظَـرْتُ فِي كِتَابِ أَخِي مُحَمَّدٍ؛ ذَلِكُمُ الكِتَابُ الْـمَوْسُـومُ بِـ «**فِقْهِ الزُّهْدِ**» فَأَلْفَيْتُهُ - وَلله الحَمْدُ - نَافِعًا.

۞ **وَأُشِيرُ إِلَى أَمْرَيْنِ قَبْلَ خِتَامِي لِهَذِهِ الْمُقَدِّمَةِ؛ فَأَقُولُ وَبِاللهِ تعالى التَّوْفِيق :**

۞ **الأَمْـرُ الأَوَّلُ:** أَنَّنِـي تَرَكْتُ لأَخِي مُحَمَّدٍ - وَفَّقَهُ اللهُ - رَأْيَـهُ وَوِجْهَةَ نَظَرِهِ فِي عَدَدٍ مِـنَ الأَحَادِيـثِ الَّتِي حَكَـمَ عَلَيْهَا فِي كِتَابِهِ هَـذَا، فَالأَمْرُ فِيهَا وَاسِـعٌ وَمُحْتَمَلٌ؛ كَحَـدِيثِ: «**البَذَاذَةُ مِنَ الإِيمَانِ**» وَحَدِيثِ: «**اللَّهُمَّ اقْسِمْ لِي مِنْ خَشْيَتِكَ...**» وَغَيْرُ ذَلِكَ قَلِيلٌ.... وَهَذِهِ أَحَادِيثُ - كَمَا أَسْـلَفْتُ - وِجْهَاتُ النَّظَرِ فِيهَا مُحْتَمَلَةٌ، لَكِنَّنِي أَحْبَبْتُ أَنْ أُشِـيرَ إِلَى رَأْيِي فِيهَا، وَاللهُ الْـمُوَفِّقُ.

أَمَّـا عَنِ الآثَارِ؛ فَالعَمَلُ فِيهَا مُرْهِقٌ، وَتَخْرِيجُهَا وَالحُكْمُ عَلَيهَا يَحْتَاجُ إِلَى وَقْتٍ طَوِيلٍ لِكَثْرَتِهَا، وَلَمْ يُسْعِفْنِي الوَقْتُ لاسْتِخْرَاجِ أَسَانِيدِهَا وَمِنْ ثَمَّ الحُكْمِ عَلَيْهَا.

۞ **الأَمْرُ الثَّانِي** - وَأَرَاهُ مُهِمًّا هُنَا - وَهُوَ مَا يَتَعَلَّقُ بِكِتَابِ «**مَدَارِجِ السَّـالِكِينَ**» - رَحِمَ اللهُ ابْنَ القَيِّمِ رَحْمَةً وَاسِـعَةً، وَقَدْ نَقَلَ أَخِي مُحَمَّدٌ حَفِظَهُ اللهُ بَعْضَ النُّقُولاتِ عَنْ هَذَا الكِتَـابِ، فَأَحْبَبْـتُ فِي هَذَا الْمُقَـامِ أَنْ أَلْفِتَ النَّظَـرَ إِلَى أَنَّ كِتَابَ «**الْمَدَارِجِ**» هَـذَا يَنْبَغِي أَنْ يُتَحَفَّظَ عَلَى مَا أَوْرَدَهُ مِنْ مَسَائِلَ وَتَقْسِيمَاتٍ وَأَلْفَاظٍ بَعِيدَةٍ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَحْيَانِ عَنْ طَرِيقِ أَهْـلِ السُّـنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، وَلِي فِي شَـأْنِهِ - إِنْ شَـاءَ اللهُ - تَفْصِيـلٌ يَأْتِي فِي مَوْضِعِـهِ؛ وَقَدْ كَثُرَ

فِي كِتَابِهِ هَذَا «**مَدَارِجِ السَّـالِكِينَ**» اسْـتِعْمَالُ أَلْفَاظٍ؛ كَأَلْفَاظِ: الْعَارِفِينَ - السَّـالِكِينَ ... إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأَلْفَاظِ الَّتِي أَكْثَرَ مِنْ اسْـتِعْمَالِهَا أَهْلُ التَّصَوُّفِ، وَلا تَكَادُ تُوجَدُ فِي آيَاتٍ أَوْ أَحَادِيـثَ أَوْ أَقْوَالِ سَـلَفِ الأُمَّةِ الصَّالِحِينَ. وإن كَانَ فِي الكِتَـابِ بَعْضُ النَّفْعِ؛ لكِنْ يُمَيِّزُهُ مَنْ لَهُ عِلْمٌ وبَصِيْرَةٌ.

۞ هَـذَا... وَفِي الْجُمْلَـةِ؛ فَكِتَـابُ أُخِي مُحَمَّـدٍ - حَفِظَهُ اللهُ تَعَـالَى - أَلا وَهُوَ كِتَابُ: «**فِقْهِ الزُّهْدِ**» كِتَابٌ نَافِعٌ، وَالْحَمْدُ لله؛ فَأَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُوَفِّقَهُ لِمَزِيدٍ مِنْ طَلَبِ العِلْمِ وَالدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ، وَأَنْ يَتَقَبَّلَ مَنَّا وَمِنْهُ صَالِحَ الأَعْمَالِ بِقَبُولٍ حَسَنٍ.. اللَّهُمَّ آمِينَ.

وصل اللهم على نبينا محمد وسلم

والحمد لله رب العالمين

كَتَبَهُ

أَبُو عَبْدِ اللّهِ مُصْطَفَى بْنُ العَدَوِي

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بَعْدُ؛؛

فقد قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾ [النساء: ٧٧].

«فوصف سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جميع الدنيا بأنها متاعٌ قليلٌ، وأنت أيها الإنسانُ تعلم أنك ما أُوتيتَ من القليل إلا القليل؛ ثم إنَّ القليل إن متعتَ به فهو لعبٌ ولهوٌ؛ لقوله تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ ﴾ [الحديد: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

فلا تبعْ أيها العاقل حياةً قليلةً تفنى بحياة كثيرة تبقى؛ كما قال الفضيل بن عياض: لو كانت الدنيا ذهبًا يفنى، والآخرة خزفًا يبقى؛ لوجب علينا أن نختار ما يبقى على ما يفنى؛ ثم تأمل بعقلك هل آتاك الله من الدنيا مثل ما أوتي سليمان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ حيث ملكه الله تعالى جميعَ الدنيا من إنسٍ وجنٍّ، وسخر له الريح والطير والوحوش، ثم زاده الله تعالى أحسن منها؛ حيث قال: ﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [ص: ٣٩]؛ فوالله ما حسبها رفعة، بل خاف أن يكون استدراجًا من حيث لا يعلم؛ فقال: ﴿ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ [النمل: ٤٠].

وهذا فصلُ الخطاب لمن تدبر.

هـذا؛ وقد قال الله تعـالى لك ولجميع أهل الدنيا: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣]؛ وقـال تعـالى: ﴿ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧]»[١].

ومـن علـم حقيقة ذلك حملَـهُ ذلك عـلى الرحلة في طلـبِ الآخرة، والمسـارعةِ إلى الخيرات، وامتثالِ أوامر الله وأوامر رسول الله ﷺ.

ومـا ضعف من ضعف وتأخر من تأخر إلا بسـبب حبه للدنيـا وثناء الناس عليه، ونفرتـه من ذمهم له؛ فإذا زهد في ذلك؛ في حـب الدنيا والحياة وحبِّ الثناء تصدَّى لكل معـارضٍ لقلبـه؛ ولا يكـون ذلك إلا بصـدق اللَّجَـأ إلى الله، وصحـة اليقـين والثقة فيما عنـد الله، وقـوة محبته له؛ وكلما كان الحب أقوى كانت اللذة أعظم بالمحبوب، فمن عرف الدنيا زهد فيها.

ومـن عـرف الله حق المعرفـة رغب فيما عنـده، وزهد في كل شيء سـواه؛ وهذا هو الزهد الكامل، وأعرف الناس بالله هم الأنبياء والمرسلون؛ ولذلك كانوا أعظم الزاهدين، وأفضل الورعين، وأئمة المتقين؛ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهكذا أهل الإيمان والتقوى.

ولقـد صور العلامة ابن القيـم هذه الحقيقة في أبياتٍ جميلةٍ فقـال[٢]: فصلٌ في زهد أهل العلم والإيمان وإيثارهم الذهب الباقي على الخزف الفاني.

لكن ذا الإيمان يعلم أن هذا كالظلال وكلُّ هذا فاني

كخيالِ طيف ما استتم زيارة إلا وصبح رحيله بأذان

---

(١) راجع: «المستطرف في كلِّ فنٍ مستظرف» (٢/ ٥٩٧، ٥٩٨).

(٢) كما في «القصيدة النونية» بشرحها (٢/ ٦٠٦، ٦٠٧).

وسحابة طلعت بيومٍ صائف فالظلُّ منسوخ بقربِ زمان

وكزهرة وافى الربيعُ بحسنها أوْ لامعًا فكلاهما أخوان

أو كالسراب يلوح للظمآن في وسط الهجير بمستوى القيعان

أو كالأماني طاب منها ذكرها بالقول واستحضارها بجنان

وهي الغرور رؤوس أموال المفاليس الأولى تجروا بلا أثمان

أو كالطعام يلذ عند مساغه لكن عقباه كما تجدان

هذا هو المثل الذي ضرب الرسول لها وذا في غاية التبيان

وإذا أردت ترى حقيقتها فخذ منه مثالًا واحدًا ذا شأن

أدخل بجهدك أصبعًا في اليم وانظر ما تعقلُه إذًا بعيان

هذا هو الدنيا كذا قال الرسول ممثلًا والحق ذو تبيان

قال ﷺ: «**ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بم يرجع**»(١). وقال: «**ما لي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكبٍ استظل بظل شجرة، ثم راحَ وتركها**»(٢).

«أيها الناس! إن الدنيا دار بلاء، والآخرة دار قرار، فخذوا لمقركم من ممركم، ولا تهتكوا أستاركم عند من لا تخفى عليه أسراركم، في الدنيا أنتم، ولغيرها خلقتم»(٣).

---

(١) يأتي؛ وهو صحيح.

(٢) صحيح، وسيأتي.

(٣) أخرجه أبو بكر الدنيوري في «المجالسة وجواهر العلم» رقم [١٣٠٤]، والخطيب في «تاريخه» (٩/ ٣٦٣)، عن الأصمعي قال: خطبنا أعرابي فحمد الله.. فذكره. وأخرجه الرافعي في «التدوين» (١/ ٢٣٠) عن الشافعي قال: يحكى عن بعض الحكماء أنه قال وهو يعظ: يا أيها الناس إنما الدنيا دار ممر..

إنمـــا هـــذه الحـــيـــاة مـتـاع	**والسفيه الغـوي مَـنْ يصطفيها**
مـا مـضـى فـات والمـؤمـل غيب	**ولـك الـسـاعـة الـتـي أنـت فيها**

وقال الآخر:

فلو كانت الدنيا جزاء لمحسن	**إذا لم يكن فيها معاش لظالم**
لقد جاع فيها الأنبياء كرامة	**وقد شبعت فيها بطون البهائم**

القرطبي في «التفسير» (١٦/ ٨٨).

وقد أتت الدنيا لنبينا ﷺ فلم يُردْها ولم يقبلها[١]؛ وإنما كان يطلب الكفاف ولا يرجو زيادة، وكان يقول: «**اللهم اجعل زرق آل محمد قوتًا**»[٢]؛ أي: كفافًا.

قال ابن بطال: «فيه دليل على فضل الكفاف وأخذ البلغة من الدنيا والزهد فيما فوق ذلك؛ رغبة في توفر نعيم الآخرة، وإيثارًا لما يبقى على ما يفنى، فينبغي أن تقتدي به أمته في ذلك». «الفتح» (١١/ ٢٦٩).

وكان النبي ﷺ يتمثل بقوله: «**اللهم إن العيش عَيْشُ الآخرة**»؛ فكان ﷺ في أعلى درجات الزهادة، ولم يطلب يومًا زيادة؛ بل كان المال إذا زاد عنده أخرجه وأنفقه إلا ما كان يرصُده ويعدُّه لديْنٍ من الديون[٣].

---

(١) كما في الصحيح، وسيأتي.

(٢) صحيح؛ أخرجه البخاريُّ [٦٤٦٠]، ومسلمٌ [١٠٥٥]، وفي لفظ: «اللهم ارزق آل محمد قوتًا»؛ أي: ما يقوت الأبدان ويكف عن الحاجة. وهذا معناه: طلب الكفاف؛ قاله القرطبي.

(٣) قلتُ (مصطفى): «ولهذا فقه ولا شك»، قلْتُ (محمد): وبيانه في رسالتنا تلك بإذن الله، ولقد سمعت من الشيخ مقبل - في شريط له - قال: إن المناصب وكراسي الحكام لا تساوي عندنا بعرة!! فرحمه الله تعالى؛ فلقد خرج من الدنيا ولم يأخذ منها شيئًا.

ولقى من شدة العيش ما لاقى، وعانى من المشقة والتعب ما عانى.

وكان طعامه غالبًا الأسودَيْن: التمر والماء[١]، وما رأى خبزًا مرققًا قط[٢]، وثبت أنه ما أكل على خوانٍ (مائدة) قط[٣]، مع قدرته على تحصيل ذلك، لكن آثر الباقي على

---

(١) وستأتي الروايات بذلك.

(٢) ولا تعارض بين هذا وبين ما ثبت في «صحيح مسلم» [١٩٤٨] أن النبي ﷺ قرب إليه خوان عليه لحم في قصة الضبِّ مع خالد والفضل، وبن عباس رضي الله عنهم؛ قال النووي رحمه الله في «شرحه لمسلم» (١٣/ ١٠٢): «وليس المراد بهذا الخوان ما نفاه في الحديث المشهور في قوله: ما أكل رسول الله ﷺ على خوان قط» بل شيء من نحو السفرة». اهـ. وأيده العظيم آبادي صاحب «عون المعبود» (١٠/ ٢٣٤)، وقال الحافظ في «الفتح» (٩/ ٥٨٠): «وأجاب بعضهم بأن أنسًا ما رأى ذلك ورآه غيره، والمثبت مقدم على النافي»، وهو ما رجحه ابن بطال في «شرحه للبخاري» (٩/ ٤٦٩) حيث قال: «وليس نفي أنس أن النبي ﷺ لم يأكل على خوانٍ ولا أكل شاة مسموطة يرد قول من روى عن النبي ﷺ أنه أكل على خوانٍ، وأنه أكل شواء، وإنما أخبر كلٌّ بما علم. وهذا ابن عباس يقول في الأضب أنهن أُكلن على مائدة النبي ﷺ؛ فأثبت له مائدة، وقد أنزل الله على قوم عيسى بن مريم المائدة حين سألوه إياها، وأكل المرقق والشاة المسموطة داخل في قوله تعالى: «**قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق**»، فجميع الطيبات حلال أكلها إلا أن يتركها تارك زهدًا وتواضعًا وشُحًّا على طيباته في الآخرة أن ينتقصها في الدنيا كم فعل النبي ﷺ، وذلك مباح له»، وقال القرطبي صاحب «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (١٦/ ١٣٤) معلقًا على حديث الضب: «وفيه دليل على جواز اتخاذ الأخونة، والأكل عليها، فإنه ﷺ قد كان له خوان، وأُكل عليه بحضرته، على ما اقتضاه ظاهر هذا الحديث، وما روي أنه ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، لم تكن لهم موائد، وأنهم كانوا يأكلون على السفر؛ فذلك كان غالب أحوالهم. والله تعالى أعلم».

(٣) قال ابن بطال: «أكل المرقق مباح، ولم يجتنب النبي ﷺ أكله إلا زهدًا في الدنيا وتركًا للنعيم وإيثارًا لما عند الله، كما ترك كثيرًا مما كان مباحًا له» «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٩/ ٤٦٩).

الفـاني[١]، وكذلـك أصحابه من بعده كأبي بكر وعمـر وعثمان وعلي وابن عمر ومصعب وابن عوف وأبي ذر وعائشة وسائر الصحابة الكرام رضوان الله عليهم وأتباعهم؛ كأمثال الحسن البصري وسعيد بن جبير وعمر بن عبد العزيز وسعيد بن المسيب وأويس القرني وابـن سـيرين ونحوهـم؛ فهؤلاء خـير القرون؛ كـما قال رسـول الله ﷺ: «**خير النـاس قرني، ثم الذيـن يلونهم، ثم الذين يلونهم**». أخرجه البخاري [٢٦٥١]، ومسـلم [٢٧٣٥]، عن عمران رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به.

وخُطَّتي في هذه الرسـالة – التي أسـألُ الله أن تكون زادًا لنا يوم نلقاهُ – على النحو التالي:

١ – بـدأتُ فيهـا بتعريـف الزهـد وحقيقته وفضلـه، ثم ثنيّـت بالتزهيد في الدنيـا، وبيان حقارتها بالنصوص القرآنية والنبوية وأقوال العلماء.

٢ – ثم تناولتُ زهد النبي ﷺ وأقواله في الزهد بعرض بعض النصوص الثابتة، عنه في ذلك.

٣ – ثم عقدتُ فصلًا في زهده ﷺ في الملبس والمطعم والمسكن وما شابه.

٤ – ثـم عن زهد الصحابة والتابعين بقدر ما تيسر جمعُهُ من الثابت الصحيح عنهم، وأذر ما سواه من ضعيف لم يثبت إسناده.

٥ – ثم بيان بعض المُعينات على الزهد وبعض ثماره.

---

(١) قـال الماوردي (فيما نقله عنه السـلمان في «معجزات النبـي ﷺ» ص (١١٢، ١١١): «وهو أزهـد النـاس فيما يُقتنى ويُدَّخر، وأعرضهم عما يسـتفاد ويحتكر، لم يُخلّف عينًـا ولا دينًا، ولا حفر نهـرًا، ولا شـد قـصرًا، ولم يـورث ولده وأهلـه متاعًا ولا مـالًا، ليصرفهم عن الرغبـة في الدنيا كما صرف نفسه عنها، فيكونوا على مثل حاله في الزهد فيها».

٦- ثم تقريرُ بعضِ الأمور التي قد يلتبس فهمها في موضوع الزهد بأقوالِ سلفِنا الصالح؛ كأمثال شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وقد عرضت ذلك أو بعضه في ثنايا الرسالة، والله أسأل أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل والنية، وأن يجعل عملنا لوجهه خالصًا، ولا يجعل لأحدٍ فيه شيئًا؛ إنه سبحانه سميعٌ قريبٌ مجيبٌ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

كتبه

أبي عبد الله محمد بن العفيفي

١٩ شعبان ١٤٢٥هـ

تم تحريره في جمادى الأولى لعام ١٤٣١هـ

هاتف رقم / ٠١٦٠٣٩٦٦٣٩

تعريف الزهد

لُغَةً:

الزهدُ: ضد الرغبة[١].

يُقال: يزهد فلانٌ في الشيء؛ أي: يرغبُ عنه.

والتزهُّد: التعبد.

يُقال: فلانٌ يتزهد: أي: يتعبد.

قال ابن منظور في «اللسان»: «الزهد والزَّهادة في الدنيا، ولا يُقال الزهد إلا في الدين خاصة، والزهدُ: ضدُّ الرغبة والحرص على الدنيا».

والتزهيد في الشيء وعن الشيء: خلاف الترغيب فيه. وزهده في الأمر: رغبته عنه؛ وفي حديث الزهري وسئل عن الزهد في الدنيا؛ فقال: «هو ألا يغلب الحلالُ شكْرَهُ، ولا الحرام صبره»[٢]؛ أراد: ألا يعجز ويقصر شكره على ما رزق الله من الحلال، ولا صبره عن ترك الحرام. «الصحاح». يُقال: زهد في الشيء وعن الشيء. وفلان يتزهد: أي: يتعبد» انتهى المراد.

والمعنى: إذا قدر على حرام صبر عنه وابتعد، وإذا حصل له حلال لم يشغله عن الشكر؛ بل قام بشكر الله عليه؛ قاله ابن رجب.

---

(١) «مختار الصحاح» ص[١٨٢] لمحمد بن أبي بكر الرازي.

(٢) أخرجه البيهقي في «الشعب» [٤٥٥٣]، [١٠٧٧٦]، وفي «الزهد الكبير» [٣٤]، وابن أبي الدنيا في «الزهد» [٩٣]، ومن طريقه ابن الأعرابي في «الزهد» رقم [٥]، وابن المقرئ في «المعجم» [٦٥]، وهو صحيح.
قال سفيان بن عيينة: «ما سمعت في الزهد قط شيئًا أحسن من هذا».

واصطلاحًا؛ عرَّفه أهل العلم بتعريفاتٍ؛ فقيل:

- **الزهد**: الإعراض عن الدنيا، واستصغارها، ومحو آثارها من القلب.

- **وقيل**: تركُ راحة الدنيا؛ طلبًا لراحة الآخرة.

- **وقيل**: هو أن يخلو قلبُك مما خلت منه يدك[١].

– واستدلَّ بعضهم في المراد بالزهد بقول الله تبارك وتعالى: ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ [الحديد: ٢٣].

فالزاهد؛ لا يفرح من الدنيا بموجود، ولا يأسف منها على مفقود.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[٢]:

«**الزهد المشروع**: هو ترك الرّغبة فيما لا ينفع في الدار الآخرة، وهو فضولُ المباح التي لا يستعانُ بها على طاعة الله، كما أن «**الورع المشروع**»: هو ترك ما قد يضرُّ في الدار الآخرة، وهو تركُ المحرمات والشبهات التي لا يستلزم تركها تركَ ما فعلُهُ أرجح منها؛ كالواجبات.

فأما ما ينفع في الدار الآخرة؛ فالزهد فيه ليس من الدين؛ بل صاحبهُ داخلٌ في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [المائدة: ٨٧]، كما أن الاشتغال بفضول المباحات، هو ضد الزهد المشروع، فإن اشتغل بها عن فعلِ واجبٍ أو فعلِ محرمٍ كان عاصيًا، وإلا كان منقوصًا عن درجة المقربين إلى درجة المقتصدين».

قال ابن القيم[٣] - في عبارة ابن تيمية -: «الزهد ترك ما لا ينفع في الآخرة»:

(١) «المدارج» (٢/ ١١) لابن قيم الجوزية.
(٢) في «الفتاوى» (١٠/ ٢١)، وقرر ذلك في (ص: ٥١١).
(٣) كما في «مدارج السالكين» (٢/ ١١،١٢).

«وهذه العبارة من أحسن ما قيل في «الزهد» وأجمعها»اهـ.

قلتُ: وثَمَّ أقوَال أخر نقلها العلامة ابن القيم في «المدارج»[(١)]؛ عن الأئمة أورد منها ما يلي:

- قال الإمام أحمد: «الزهد في الدنيا: قصرُ الأمل؛ واليأس مما في أيدي الناس». (وانظر: «جامع العلوم») لابن رجب [٢٩١].

وقال ابن رجب في «جامعه» [ص:٣٨٣]: «قال المرُّوذي: قيل لأبي عبد الله – يعني: أحمد – أي شيء الزهد في الدنيا؟ قال: قصر الأمل. مَنْ إذا أصبح قال: لا أمسى. قال: وهكذا قال سفيان: قيل لأبي عبد الله بأي شيء نستعين على قصر الأمل؟ قال: ما ندري إنما هو توفيق»ا.هـ، وروي عن مالك نحوه؛ كما في «الشعب» [١٠٧٧٩] [٧/ ٤٠٦].

- وقال عبد الله بن المبارك: «هو الثقة بالله مع حب الفقر، وقال: الزهد في الدنيا بقلبك».

- وقال عبد الواحد بن زيد: «الزهد: الزهد في الدينار والدرهم».

- وقال أبو سليمان الداراني: «ترك ما يشغل عن الله».

- وقال الأوزاعي: «بغضُ المحمدة وحب الثناء»[(٢)].

---

(١) قلت (مصطفى): لي ملاحظات كثيرة جِدًّا على كتاب «مدارج السالكين» وإجمالًا فليتفطن إلى ما فيه، وليحترز منه في كثير من المواطن.

(٢) ذكره عنه القرطبي في «التفسير»، [الكهف: ٧]. وقد سئل بعضهم عن حدّ الزهد، فقال: إن وجدنا أكلنا وإن فقدنا صبرنا.

وقال غيره: إن فقدنا شكرنا وإن وجدنا آثرنا، وقال غيره: حد الزاهد المنشرح صدرهُ يكون بثلاث: تفريق المجموع، وترك طلب القوت، والإيثار عند القوت. (القرطبي/ الحشر/ ويؤثرون على أنفسهم).

- **قال ابن القيم**: «وقد قال الإمام أحمد بن حنبل: الزهد على ثلاثة أوجه:

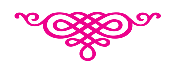
- **الأول** - ترك الحرام. (وهو زهد العوام).

- **والثاني** - ترك الفضول من الحلال. (وهو زهد الخواص).

- **والثالث**- ترك ما يشغل عن الله. (وهو زهد العارفين[(١)]).

وهـذا الكلام مـن الإمام أحمد يأتي على جميـع ما تقدّم من كلام المشـايخ، مع زيادة تفصيله، وتبيين درجاته، وهو من أجمع الكلام».

والـذي أجمـع عليه العارفـون[(٢)]: «أن الزهد سـفر القلب من وطـن الدنيا، وأخذه في منـازل الآخرة؛ وعلى هذا صَنَّف المتقدمـون كتب الزهد؛ كالزهد لعبد الله بن المبارك، وللإمام أحمد، ولوكيع، ولهناد بن السري، ولغيرهم» انتهى المراد.



(١) قلت (مصطفى): اصطلاح العارفين هذا اصطلاح لم يكن معهودًا زمن النبي ﷺ وأدخله المتصوفة، وتبعهم عليه بعض أهل السنة، وليس كل عارف صالحًا؛ بل هناك عارف ضآل مضلٌّ، وإبليس كان عارفًا كما أشـار القرطبي وغيره، وقد أقسـم بعزة الله، وعلـم أن الله أغواه؛ إذ قال: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ [الأعراف: ١٦]، وانظر: القرطبي في «تفسيره» لهذه الآية، والله الموفق.

(٢) انظر التعليق السابق.

ومن أقوال الصحابة في الزهد

وأهل العلم اختلفوا في معنى الزهد قديمًا وحديثًا - كما مرت أقاويلهم - وها هي طائفة من بساط ما ورد عن أصحاب النبي ﷺ :

١- عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه **قال:** «ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرةُ مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون؛ فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا؛ فإن اليوم عملٌ ولا حساب، وغدًا حسابٌ ولا عمل»(١).

قال الحافظ في «الفتح» (١١/ ٢٤٠،٢٤١): «ومن كلام عليٍّ أخذ بعض الحكماء قوله: الدنيا مدبرة والآخرة مقبلة؛ فعجبٌ لمن يقبل على المدبرة ويدبر على المقبلة» ثم قال: «وقيل: إن قصر الأمل حقيقة الزهد(٢)؛ وليس كذلك بل هو سبب؛ لأن من قصر أمله زهد، ويتولد من طول الأمل الكسل عن الطاعة، والتسويف بالتوبة، والرغبة في الدنيا، والنسيان للآخرة، والقسوة في القلب؛ لأن رقته وصفاءه إنما يقع بتذكر الموت

(١) أخرجه البخاريُّ في «الصحيح» (الفتح) (١١/ ٢٣٩) [الرقاق في الأمل وطوله] - معلقًا - وأبو داود في «الزهد» [١١٣]، وهنّاد [٥٠٩]، و«الزهد» لأحمد ص [١٦٢]، ولمعافي بن عمران [٢٢٠]، وعزاه الحافظ لابن أبي شيبة في «المصنف»، وابن المبارك في «الزهد» وأبي نعيم في «الحلية» (١٣/ ١٧٢،١٧٣) وهو صحيح.
وأخرجه ابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» رقم [٣]، والبيهقي (١٣/ ١٧٣،١٧٤) من طريق: علي بن أبي حنظلة مولى علي بن أبي طالب عن علي مرفوعًا؛ وأوله: «إن أشد ما أتخوف عليكم خصلتين». وسنده ضعيف. وله شاهد في «قصر الأمل» [٤]، والبيهقي في «الشعب» (٣/ ١٧٤) عن جابر مرفوعًا؛ لكنه ضعيف أيضًا؛ وعزاه الحافظ لأبي عبد الله بن منده.

(٢) وقد عرَّفه سفيان الثوري بهذا التعريف، كما سيأتي، وبه عرَّفه الإمام أحمد، نقل ابن القيم ذلك عنه في «المدارج» (٢/ ١١،١٢)، كما مرّ.
قال القرطبي في «التفسير» (١٠/ ٣٥٥) [الكهف: ٧]: «وقد اختلفت عبارات العلماء في الزهد؛ فقال قوم: قصر الأمل، وليس بأكل الخشن ولبس العباء؛ قاله سفيان الثوري. قال علماؤنا: وصدق رضي الله عنه فإن من قصر أملُهُ لم يتأنق في المطعومات، ولا يتفنن في الملبوسات، أخذ من الدنيا ما تيسر، واجتزأ منها بما يبلغ».

والقبر والثواب والعقاب وأهوال القيامة؛ كما قال تعالى: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: ١٦].

وقيل: من قصر أمله قلّ همه وتنور قلبه؛ لأنه إذا استحضر الموت اجتهد في الطاعة، وقل همّه، ورضي بالقليل».

٢- وعن عليٍّ أيضًا قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «طوبى للزاهدين في الدنيا، والراغبين في الآخرة، أولئك قومٌ اتخذوا أرض الله بساطًا، وترابها فراشًا، وماءها طيبًا، والكتاب شعارًا، والدعاء دثارًا، ورفضوا الدنيا رفضًا»(١).

٣- وعن ابن مسعود قال: «إن الله عَزَّوَجَلَّ جعل الدنيا كلها قليلًا؛ فما بقي منها إلا قليل من قليل، ومثل ما بقي منها كعين الغدير(٢)، شرب صفوُهُ، وبقي كدرُهُ»(٣).

٤- **وقال أيضًا**: «أنتم أكثر صلاةً وأكثر صيامًا وأكثر جهادًا من أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهم كانوا خيرًا منكم؛ قالوا: فيم ذاك، يا أبا عبد الرحمن؟ قال: «كانوا أزهد منكم في الدنيا، وأرغب منكم في الآخرة»(٤).

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» [٢٦]، و«الزهد» [٨٧]، والبيهقي في «الشعب» (١٣/ ١٧٩) ط الرشد، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٧٩) بإسنادٍ فيه ضعف.

(٢) القطعة من الماء يُغادرها السيلُ، أي يتركها؛ هذا قول أبي عبيد، وقال الليث: «الغدير؛ مستنقع الماء ماء المطر، صغيرًا كان أو كبيرًا؛ غير أنه لا يبقى إلى القيظ إلا ما يتخذه الناس من عِدٍّ، أو وحذٍ أو وقطٍ أو صهريج أو حائر».
قال أبو منصور: «الغدُّ: الماء الدائم الذي لا انقطاع له، ولا يسمى الماء الذي يجمع في غدير أو صهريج أو صنع عدًّا، لأن العِدّ ما يدوم، مثلُ ماءِ العين والرّكية»، انتهى من «لسان العرب» مادة [غدر] ص[٣٢١٧].

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» [١٢٣]، وأبو داود في «الزهد» برقم [١٣٧]، وأحمد في «الزهد» ص[١٩٧]. وهو صحيح.

(٤) أخرجه البيهقي في «الشعب» (١٣/ ١٨٤)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٣/ ٢٩٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٣٦)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣١٥)، والطبراني في «الكبير» (٩/ ١٦٧-١٦٨)، =

٥- قال أبو واقد الليثي (الحارث بن عوف - وكانت له صحبة): «تابعنا الأعمال أيهما أفضل؟ فلم نجد شيئًا أعون [أبلغ] على طلب الآخرة من الزهد في الدنيا»(١).

٦- وعن ابن مسعود قال: «ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأدِّ ما افترض الله عليك تكن أعبد الناس، واجتنب ما حرم الله عليك تكن من أورع الناس».

وسنده صحيح عن ابن مسعود موقوفًا عليه.

وهو عند أبي داود في الزهد برقم [١٣٩].

٧- وعن أبي ذر قال: «ذو الدرهمين يوم القيامة أشد حسابًا من ذي الدرهم»، وسند صحيح. وهو عند أحمد في «الزهد» ص[١٨٤]، وأبي داود في «الزهد» برقم [٢٠٢].



=وابن أبي الدنيا في «ذم الدنيا» رقم [١٧٦]، وهو في «الزهد» لأبي داود برقم [١٣١]، وهناد رقم [٥٧٥]، وابن الأعرابي في «الزهد» رقم [٥٦]. وهو صحيح.

(١) أخرجه أحمد في « الزهد» ص [٢٤٩]، وهناد في «الزهد» برقم [٥٥٨]، وابن الأعرابي في «الزهد» رقم[٥٧]، والبيهقي في «الشعب» [١٠٦٨٢]، وأبو داود في «الزهد» برقم [٣٨٥]، وسنده حسن. وتابعنا الأعمال: أحكمناها وأتقناها وأعطيناها حقها. انظر القاموس.

فضلُ الزهد وشرفه وحقيقته

الزهـد في الدنيا مقامٌ شريفٌ من مقامـات الصالحين؛ وعطاءٌ عظيمٌ لا يعرف قدره إلا العالمون، ونعمةٌ كبرى لا يحظى بها إلا المتقون؛ ولذلك أمر الله نبيه محمدًا ﷺ بقطع النظر عن الدنيـا وزهرتها؛ فقال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ (طه:١٣١).

قـال السـعديُّ في «التفسـير» (طه:١٣١): «أي: ولا تمـدن عينيـك معجبًـا، ولا تكرر النظر مستحسـنًا - إلى أحـوال الدنيا والممتعين بها؛ من المآكل والمشـارب اللذيذة، والملابس الفاخرة، والبيوت المزخرفة، والنساء المجملة، فإن ذلك كلَّه زهرة الحياة الدنيا، تبتهـج بهـا نفوس المغترين، وتأخـذ إعجابًا بأبصار المعرضين، ويتمتـع بها - بقطع النظر عـن الآخرة - القوم الظالمون، ثم تذهب سريعًا، وتمضي جميعًا، وتقتل محبيها وعشـاقها، فيندمـون حيث لا تنفع الندامـة، ويعلمون ما هم عليه إذا قدموا القيامة، وإنما جعلها الله فتنـة واختبـارًا؛ ليعلم من يقف عندهـا، ويغتر بها، ومن هو أحسـن عملًا؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ [الكهف:٧-٨].

﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ ورزق ربك؛ العاجل (من العلم والإيمان وحقائق الأعمال الصالحة) والآجل (من النعيم المقيم، والعيش السليم في جوار الرب الرحيم) خير مما متعنا به أزواجًا، في ذاته وصفاته، وأبقى لكونه لا ينقطع، أُكُلها دائمٌ وظلُّها؛ كما قال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلى:١٦-١٧].

وفي هذه الآية إشـارةٌ إلى أن العبد إذا رأى من نفسـه طموحًا إلى زينة الدنيا وإقبالًا عليها أن يذكر ما أمامها من رزق ربه وأن يوازن بين هذا وهذا». انتهى.

وسيأتي مزيدٌ في آخر الرسالة لفضل الزهد وبعض ثمراته وفوائده.

❁ حقيقَتُهُ:

❁ وتدبَّر هذا الكلام القيم في حقيقة الزهد للعلامة ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فقال ابن القيم في «المدارج» (٢/١٣،١٤): «لا يستحق العبد اسم الزهد حتى يزهد في (المال، والصور، والرياسة، والناس، والنفس، وكل ما دون الله».

❁ وليس المراد رفضها من الملك؛ فقد كان سليمان وداود عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ من أزهد أهل زمانهما، ولهما من المال والملك والنساء ما لهما. وكان نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أزهد البشر على الإطلاق، وله تسع نسوة، وكان علي بن أبي طالب(١) وعبد الرحمن بن عوف والزبير(٢) وعثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ من الزهاد مع ما كان لهم من الأموال(٣)، وكان الحسن بن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا من الزهاد، مع أنه من أكثر الأمة محبة للنساء، ونكاحًا لهن، وأغناهم.

وكان عبد الله بن المبارك من الأئمة الزهاد مع مالٍ كثير، وكذلك الليث بن سعد من أئمة الزهاد، وكان له رأس مالٍ يقول: «لولا هو لتمندل بنا هؤلاء».

ومِنْ أحسن ما قيل في الزهد؛ كلامُ الحسن - أو غيره -: «ليس الزهد في الدنيا بتحريم الحلال، ولا إضاعة المال، ولكن أن تكون بما في يد الله، أوثق منك بما في يدك، وأن تكون في ثواب المصيبة - إذا أصبت بها - أرغب منك فيها لو لم تصبك»؛ فهذا من أجمع كلامٍ في الزهد وأحسنه، وقد روي مرفوعًا(٤)» انتهى.

(١) لم يعلم عن عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ثراءٌ. والله أعلم. (قاله مصطفى).

(٢) انظر: «صحيح البخاري» رقم [٣١٢٩]، وكلام الحافظ في «الفتح» (٦/ ٢٧٠).

(٣) قال ابن الجوزي في «صيده» (ص: ٢٦): «كان لعليٍّ أربع حرائر، وسبع عشرة أمة، وبلغت صدقته أربعين ألفًا».

(٤) ولا يصحُّ مرفوعًا؛ فقد رواه الترمذي [٢٣٤٠]، وابن ماجه [٤١٠٠]، عن أبي ذر مرفوعًا؛ وقال الترمذي: «عمرو بن واقد: منكر الحديث» ا.هـ. وروي عن يونس بن ميسرة قوله؛ كما في=

فالزهدُ أن تزهد في كل ما سوى الله وكل ما يشغلك عنه وعن طاعته وعبادته؛ فهذا داود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَامُ قد ملكا الدنيا وكانا عند الله من الزاهدين، وكان داود يأكل من عمل يده(١).

۞ أقسامه:

قال العلامة ابن القيم في «الفوائد» ص[١٤٧]: «الزهد أقسام(٢):

١- زهد في الحرام؛ وهو فرض عين.

٢- وزهد في الشبهات؛ وهو بحسب مراتب الشبهة، فإن قويت التحقتْ بالواجب، وإن ضعفت كان مستحبًّا.

٣- وزهد في الفضول؛ وهو زهد فيما لا يعني من الكلام والنظر والسؤال واللقاء وغيره.

٤- وزهد في الناس.

٥- وزهد في النفس؛ حيث تهُونُ عليه نفسه في الله.

٦- وزهدٌ جامعٌ لذلك كله؛ وهو الزهد فيما سوى الله، وفي كل ما يشغلك عن الله.

وأفضل الزهد:

«إخفاء الزهد، وأصعبهُ: الزهد في الحُظوظ..»ا.هـ. المراد.

۞ وقسمه في «روضة المحبين» ص[٢٦٦] إلى خمسة أقسام؛ أعلاها الزهد في كل إرادة تخالف مراد محبوبه.

= «الشعب» (٧/ ٤٠٥) [١٠٧٧٤]، وابن أبي الدنيا في «الزهد» [١٠٧]، و«الزهد» لابن الأعرابي رقم [٦]، وفي «الزهد» لأحمد [١٨] عن يونس عن أبي مسلم الخولاني قوله. ولعله: أبو إدريس.

(١) أخرجه البخاريُّ في «الصحيح» [٢٠٧٢] عن المقدام مرفوعًا.

(٢) ونحوه في «عدة الصابرين» ص[٢٢٦].

قال ابن القيم: «وبين هذا وبين الزهد في الدنيا أعظم ما بين السماء والأرض؛ فالزهد خمسة أقسام:

۞ زهد في الدنيا.

۞ وزهد في النفس.

۞ وزهد في الجاه والرئاسة.

۞ وزهد فيما سوى المحبوب.

۞ وزهد في كل إرادة تخالف مراد المحبوب.

وهذا إنما يحصل بكمال المتابعة لرسول الحبيب؛ قال الله تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [آل عمران: ٣١].

فجعل سبحانه متابعة رسوله سببًا لمحبتهم له...».

❊ **وقال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **تعالى في «طريق الهجرتين» ص[٣٨١-٣٨٥]:**

«الزهد على أربعة أقسام:

أحدها- فرضٌ على كل مسلم، وهو الزهد في الحرام، وهذا متى أخلّ به انعقد سبب العقاب، فلابد من وجود سببٌ ما لم ينعقد سببه آخر يضاده.

الثاني- زهد مستحبٌّ، وهو على درجات في الاستحباب بحسب المزهود فيه، وهو الزهد في المكروه وفضول المباحات والتفنن في الشهوات المباحة.

الثالث- زهد الداخلين في هذا الشأن، وهم المشمرون في السير إلى الله، وهو نوعان:

أحدهما- الزهدُ في الدنيا جملة:

وليس المرادُ تخليها من اليد ولا إخراجَها وقعودَه صفرًا منها، وإنما المرادُ إخراجها من قلبه بالكلية؛ فلا يلتفت إليها، ولا يدعها تساكن قلبه، وإن كانت في يده فليس الزهد أن تترك الدنيا من يدك وهي في قلبك، وإنما الزهد أن تتركها من قلبك وهي في يدك. وهذا كحال الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز الذي يضرب بزهده المثل من أن خزائن الأموال تحت يده؛ بل كحال سيِّد ولد آدم ﷺ حين فتح الله عليه من الدنيا ما فتح، ولا يزيده ذلك إلَّا زهدًا فيها.

ومن هذا الأَثَر المشهور - وقد روي مرفوعًا[١] وموقوفًا -: «ليس الزهد في الدنيا بتحريم الحلال ولا إضاعة المال، ولكن الزهد في الدنيا أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أصبت بها أرغب منك فيها لو أنها بقيت لك».

والذي يصُحح هذا الزهد ثلاثة أشياء:

أحدها- علمُ العبد أنها ظلٌ زائلٌ وخيالٌ زائر؛ وأنها كما قال تعالى: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ [الكهف: ٤٥]، وسمَّاها سبحانه: ﴿ مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، ونهى عن الاغترار بها، وأخبرنا عن سوء عاقبة المغترين، وحذَّرنا مثل مصارعهم، وذمَّ من رضيَّ بها، واطمأن إليها.

وقال النبيُّ ﷺ: «**ما لي وللدنيا إنما كراكب قال في ظل شجرة ثم راح وتركها**»[٢].

---

(١) ولا يصح عن النبي ﷺ، وقد تقدم، وصوَّب ابن رجب في «جامع العلوم» وقفه.
(٢) سيأتي؛ وهو صحيح بنحوه.

فما اغتر بها، ولا سكن إليها إلا ذو همة دنية، وعقل حقير، وقدر خسيس.

الثاني- علمُهُ أن وراءها دارًا أعظم منها قدرًا، وأجل خطرًا، وهي دار، البقاء، وأن نسبتها إليها كما قال النبيُّ ﷺ: «**ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم إصبعه في اليم، فلينظر بم يرجع**»(١)؛ فالزاهد فيها بمنزلة رجل في يده درهم زغل، قيل له: اطرحه فلك عوضه مائة ألف دينار مثلًا، فألقاه من يده رجاء ذلك العوض؛ فالزاهد فيها لكمال الرغبة فيما هو أعظم منها زهد فيها.

الثالث- معرفته أن زهده فيها لا يمنعه شيئًا كتب له منها، وأن حرصه عليها لا يجلب له ما لم يقض له منها، فمتى تيقن ذلك وصار له به علم يقين هان عليه الزهد فيها؛ فإنه متى تيقن ذلك وثلج له صدره وعلم أن مضمونه منها سيأتيه بقي حرصه وتعبه وكده ضائعًا، والعاقل لا يرضى لنفسه بذلك؛ فهذه الأمور الثلاثة تسهل على العبد الزهد فيها، وتثبت قدمه في مقامه - والله الموفق لمن يشاءُ.

النوع الثاني- الزهد في نفسك:

وهو أصعب الأقسام وأشقُّها، وأكثر الزاهدين إنما وصلوا إليه ولم يلِجُوه؛ فإن الزاهد يَسهُل عليه الزهد في الحرام لسوء مغبته وقبح ثمرته، وحماية لدينه، وصيانةً لإيمانه، وإيثارًا للذة والنعيم على العذاب، وأنفة من مشاركة الفساق والفجرة، وحمية من أن يستأثر لعدوه، ويُسهِّل عليه الزهد في المكروهات وفضول المباحات؛ علمُهُ بما يفوته بإيثارها من اللذة والسرور الدائم والنعيم المقيم.

ويُسهل عليه زهده في الدنيا؛ معرفته بما وراءها وما يطلبه من العوض التام والمطلب الأعلى.

---

(١) سيأتي؛ وهو في «صحيح مسلم».

وأما الزهد في النفس؛ فهو ذبحها بغير سكين.

وهو نوعان:

أحدهما- وسيلة وبداية، وهو أن تميتها، فلا يبقى لها عندك من القدر شيءٌ، فلا تغضبُ لها، ولا ترضى لها، ولا تنتصر لها، ولا تنتقم لها، قد سبَّلت عرضها ليوم فقرها وفاقتها؛ فهي أهون عليك من أن تنتصر لها أو تنتقم لها، أو تجيبها إذا دعتك أو تكرمها إذا عصتك، أو تغضب لها إذا ذُمَّت، بل هي عندك أخس مما قيل فيها، أو ترفهها عما فيه حظك وفلاحك وإن كان صعبًا عليها. وهذا وإن كان ذبحًا لها وإماتةً عن طباعها وأخلاقها، فهو عين حياتها وصحتها، ولا حياة لها بدون هذا البتة.

وهذه العقبة هي آخر عقبة يشرف منها على منازل المقربين، وينحدر منها إلى وادي البقاء ويشرب من عين الحياة، ويخلص روحه من سجون المحن والبلاء وأسر الشهوات، وتتعلق بربها ومعبودها ومولاها الحق؛ فيا قرة عينها به، ويا نعيمها وسرورها بقربه، ويا بهجتها بالخلاصِ من عدوها، واللجوء إلى مولاها ومالك أمرها ومتولي مصالحها.

وهذا الزهد هو أول نقدة من مهر الحب فيا مفلس تأخر.

والنوع الثاني- غايةٌ وكمال، وهو أن يبذلها للمحبوب جملة بحيث لا يستبقي منها شيئًا؛ بل يزهد فيها زهد المحب في قدر خسيس من ماله قد تعلقت رغبة محبوبة به؛ فهل يجد من قلبه رغبة في إمساك ذلك القدر وحبسه عن محبوبة؟ فهكذا زهد المحب الصادق في نفسه، قد خرج عنها وسلَّمها لربه، فهو يبذُلها له دائمًا بتعرضٍ منه لقبولها.

وجميع مراتب الزهد المتقدمة مباد ووسائل لهذه المرتبة....» إلى آخر تلكم الكلمات التي تُكتب بماءِ الذهب؛ فهي كلمات القيم ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وطيب ربي ثراه.

فتدبرها - أخي - وحاول تطبيقها، وسل الله العون على ذلك؛ فهو المعين، والموفَّق من وفقه الله، ومن أعانه الله فهو المعان؛ نسأل الله أن يرزقنا حلاوة طاعته، والأنس به، والقرب منه، وأن يطرح الدنيا من قلوبنا، وأن يرزقنا الجد والعمل للآخرة، وأن يحشرنا مع قدوة المتقين وسيد الزاهدين سيد ولد آدم نبينا محمدٍ ﷺ .

لفتة وإيراد:

ما تقدم من كلامٍ حول مسألة حقيقة الزهد وقول العلامة: «لا يستحق العبد اسم الزهد حتى يزهد في المال و - ثم قال -: وليس المراد: رفضَها من الملك؛ فقد كان سليمان وداود عليهما السلام أزهد أهل زمانهما، ولهما من المال والملك والنساء ما لهما، وكان نبينا ﷺ من أزهد البشر على الإطلاق وله تسع نسوة[1]..الخ» انتهى المراد.

فالمراد من مقالته هذه؛ أن الغنى ليس منافيًا للزهد، ولكن كما قال الإمام أحمد: بشرط أن لا يفرح المرء إذا زادت (أمواله) ولا يحزن إذا نقصت؛ كما نقله عنه ابن القيم في «عدة الصابرين» ص [٢٢٥]؛ فقد يكون الغنيُّ من أزهد الزهاد، وهذا شرطُهُ كما تقدّم من كلام أحمد وغيره من الأئمة؛ فالدنيا في يده ليست في قلبه؛ تفتنُهُ وتشغله عن طاعة ربه وطاعة نبيه ﷺ . وهذا هو معنى كلام ابن القيم: (وليس المراد: رفضها من الملك)؛ فقد يملك الدنيا كسليمان وداود ويوسف مع أنهم من أزهد الخلق.

۞ والشريعة تقر أصحاب الأموال والثروات إذا كانو يؤدون حق الله فيها؛ فسعدُ ابن أبي وقاص يقول: «وأنا ذو مالٍ كثير» البخاري [٦٣٧٣]، ومسلم [١٦٢٨].

۞ **قال الحافظ في «الفتح» (٥/ ٤٣٣)**: «فيه إباحة جمع المال بشرطه».

---

(١) ليس ليشبع رغبته، ولكن ليحملْنَ الدين والسنة عنه ﷺ وينشرنها. وسيأتي عنه ﷺ كيف دفع عن نفسه طيبات الدنيا اختيارًا لطيبات الحياة الباقية.

وأثنـى رسـولُ الله ﷺ على أصحـاب الغنى في حالٍ وذمهم أشـدَّ الذم في حال!!

ففـي «الصحيحين» البخاري [٦٦٣٨]، ومسـلم رقم [٩٩٠] مـن حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قـال: انتهيـتُ إلى النبي ﷺ وهو جالـسٌ في ظلّ الكعبة فلـما رآني قال: «**هم الأخسرون وربّ الكعبة**». قال: فجئت حتى جلست فلم أتقارّ[١] أن قمت، فقلت: فـداك أبي وأمـي من هم؟ قال: «**هم الأكثرون أموالًا، إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا. من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله**[٢]. **وقليلٌ ما هم....**» الحديث.

وهنـا أبيّن أن أكثر النـاس – كما بيّن رسـول الله ﷺ – لا يقومون بحق المال، وعليه؛ فالأمر لا يطرد؛ كما قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٦/ ٢٧) – حين تكلم على قصة الزبير في «الفتح» [٣١٢٩] وفيه في آخره -: «وكان للزبير أربع نسوة، ورفع الثلث؛ فأصـاب كلَّ امرأةٍ ألف ألف ومائتا ألف»، وهذا لأنه كان له أرضٌ عظيمة من عوالي المدينة، فلما مات باعها ابنه عبد الله وباع الدور التي تركها الزبير أيضًا، فقضى عبد الله بن الزبير قضاء دين والده، ورفع الثلث الموصى به، وكان للزبير أربع نسوة، فأصاب كل امرأة من ثمن عقاراته ألف ألف ومائتا ألف[٣].

قال الحافظُ ابنُ حجر: «فيه أن لا كراهة في الاستكثار من الزوجات والخدم» ثم قال: «وكونُ هذا لا يكره للزبير وأنظاره لا يطرد»انتهى المراد.

---

(١) أي: لم يمكنني القرار والثبات.

(٢) وهذا؛ كما قال ﷺ: «**ما يسرني أن عندي مثل أُحد هذا ذهبًا، تمضي عليّ ثلاثة أيام، وعندي دينـار إلا شـيء أرصده لدين. إلا أن أقول بـه في عباد الله هكذا وهكذا وهكذا...**»، وهو مطلعٌ لحديث أبي ذر؛ كما في «الصحيح» [٦٤٤٤] أيضًا. وأخرجه من حديث أبي هريرة برقم: [٦٤٤٥].

(٣) وهناك اختلاف في العدد في بعض الروايات جمع بينها الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٦/ ٢٦٨).

فمن علم أنه بجمعه للأموال والاستكثار منها لا يصرفه ذلك عن دينه ولا يشغله عن عبادة ربه ويؤدي حق الله فيه فلا بأس والحالة هذه.

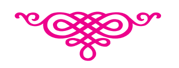
وانظر لسعد بن الربيع وهو يقول لأخيه عبد الرحمن بن عوف(١): «إني أكثر الأنصار مالًا، فأقسم لك نصف مالي، وانظر أي زوجتي هويت، نزلتُ لك عنها(٢) فإذا حلَّت(٣) تزوجتها».

يا الله! هل هذا حدث في عالم البشر؟!

نعم وربي حدث، ولكن ممن؟ ممن تربوا على مائدةِ القرآن وسنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فرسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو أستاذهم ومربيهم ومعلمهم.

فانظر لمساعدة الأخ لأخيه ليس درهمًا أو درهمين ولكن نصف ماله؛ فهل وظَّفنا أموالنا مثل هذا التوظيف؟ هل تنازل أحدٌ منا عن ماله أو نصف ماله أو رُبعه للفقراء والمحتاجين! لقد قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا حسد إلا في اثنتين: ..رجل آتاه الله مالًا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار**» أخرجه البخاري [٥٠٢٥]، ومسلم [٨١٥] عن ابن عمر.

فنسأل الله أن يجعلنا من المتقين الصادقين؛ إنه وليُّ ذلك ومولاه.



---

(١) وحديثه في «الصحيح» [٢٠٤٨]، [٣٧٨١].
(٢) يعني: طلقتها لأجلك.
(٣) أي: انقضت عدتها.

أبوابٌ في الترغيب والحثّ على التزهيد في الدنيا وبيان حقارتها وخستها (١)

إلا ما كان فيها من صالح الأَعمال

الزُّهْدُ في الدُّنْيا والزُّهْدُ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاس

وأُوجزُ ما سبق فيما يلي؛ فأقول:

أما الزهد في الدنيا؛ فقد كثر في القرآن الإشارةُ إلى مدحه، وإلى ذم الرغبة في الدنيا – وقد تقدّم بعضها.

---

(١) **قال ابنُ القيم في «طريق الهجرتين»** ص[٣٦]: «واعلم أنه يحسن إعمال اللسان في ذم الدنيا في موضعين:

– **أحدهما**– موضع التزهيد فيها للراغب.

– **والثاني**– «عندما يرجع به داعي الطبع والنفس إلى طلبها، ولا يأمن من إجابة الداعي فيستحضر في نفسه قلة وفائها، وكثرة جفائها، وخسّة شركائها، فإنه إن تمَّ عقله، وحضر رشده؛ زهد فيها ولابد».

۞ **وقال ابن رجب في «جامعه»** [٢٩٢]: «واعلم أن الذم الوارد في الكتاب والسنة للدنيا ليس راجعًا إلى زمانها الذي هو الليل والنهار المتعاقبان إلى يوم القيامة؛ فإن الله جعلهما خلفة لمن أراد أن يذكَّر أو أراد شكورًا... وليس الذم راجعًا إلى مكان الدنيا الذي هو الأرض التي جعلها الله لبني آدم مهادًا أو مسكنًا... **قال: وإنما الذم راجع إلى أفعال بني آدم الواقعة في الدنيا...**».

فالدنيا لا تذمُّ مطلقًا بل إنها تُحمد بالنسبة إلى من تزود منها الأعمال الصالحة. وأن فيها مساجد الأنبياء، ومهبط الوحي، وهي دار التجارة للمؤمنين اكتسبوا منها الرحمة، وربحوا بها الجنة؛ فهي نعم الدار لمن كانت هذه صفته.

وأما ما ذكر من أنها تغر وتخدع، فإنها تنادي بمواعظها، وتنصح بعبرها، وتبدي عيوبها بما ترى من أهلها من مصارع الهلكى وتغلّب الأحوال من الصحة إلى السقم، ومن الشبيبة إلى الهرم، ومن الغنى إلى الفقر، ومن العز إلى الذل. لكن محبها قد أصمه وأعماه حبها، فهو لا يسمع نداءها؛ كما قيل:

قد نادت الدنيا على نفسها ... لو كان في العالم من يسمع

كم واثقٍ بالعمر أفنيتُه ... وجامع بددت ما يجمع

«جامع العلوم» [٢٩٦]

۞ قال تعالى: ﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ﴾ [الأنفال: ٦٧].

۞ وقال تعالى: ﴿ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْآخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴾ [الرعد: ٢٦].

وتوعد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أعظم الوعيد لمن رضي بالحياة الدنيا، واطمأن إليها، وغفل عن آياته، ولم يرجُ لقاءه؛ فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [يونس: ٧-٨].

وعلى قدر رغبة العبد في الدنيا ورضاه بها يكون تثاقله عن طاعة الله، وطلب الآخرة، ويكفي في الزهد في الدنيا قولُه تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٠٥-٢٠٧][(١)].

وقد ذم الله من كان يريد الدنيا بعمله وسعيه ونيته؛ وقد ورد ذلك في حديث: «**إنّما الأعمال بالنيات**» [متفق عليه من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ].

والأحاديث في ذمّ الدنيا وحقارتها كثيرةٌ جدًّا، وقد تقدّم كثيرٌ منها. ومعنى الزهد في الشيء: الإعراض عنه لاستقلاله، واحتقاره، وارتفاع الهمة عنه؛ يُقال: شيء زهيد: أي قليلٌ حقير.

وقد تكلَّم السلفُ ومَنْ بعدهم في تفسير الزهد في الدنيا وتنوعت عباراتهم عنه، وورود في ذلك حديث مرفوع - لكنه لا يصحُّ والصحيح وقفه[(٢)] - عن أبي ذر قال: «**الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال، ولا إضاعة المال، ولكن الزهادة في الدنيا أن لا تكون بما في يديك أوثقَ مما في يد الله، وأن تكون في ثواب المصيبة - إذا أنت أصبت بها - أرغب فيها لو أنها بقيت لك**».

---

(١) «الفوائد» ص [١٠٩]، وانظر: ص[١١٧] فصل: (العابد الجاهل والعالم الفاجر).
(٢) كما قد تقدم قريبًا.

وأخرجه ابـن أبي الدنيـا عن يونـس بن ميسرة قولـه. وزاد: «وأن يكـون مادحك وذَامُّك في الحق سواء».

۞ **قـال ابن رجـب في «جامعه» ص[٣٤٧]** - وما تقدَّم من كلامه -: «ففسر الزهد في الدنيا بثلاثة أشياء كلُّها من أعمال القلوب لا من أعمال الجوارح، ولهذا كان أبو سليمان يقول: «لا تشهد لأحدٍ بالزهد؛ فإن الزهد في القلب»:

أحدها- أن يكون العبدُ بما في يد الله أوثق منه بما في يد نفسه؛ وهذا ينشأ من صحة اليقين وقوّته، فإن الله ضمن أرزاق عباده، وتكفَّل بها؛ كما قال: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾[هود:٦]، وقال: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات:٢٢]، وقال: ﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ﴾ [العنكبوت:١٧].

قال الحسن: «إن من ضعف يقينك أن تكون بما في يدك أوثق منك بما في يد الله عَزَّوَجَلَّ».

وقال الإمام أحمد: «أسرُّ أيامي إليَّ يوم أُصبح وليس عندي شيء».

وقيل لأبي حازم الزاهد: «ما مالُك؟ قال: لي مالان لا أخشى معهما الفقر: الثقة بالله، واليأس مما في أيدي الناس».

وقيل له: «أما تخاف الفقر؟ فقال: أنا أخاف الفقر ومولاي له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى».

وقال الفضيل بن عياض: «أصل الزهد الرضا عن الله عَزَّوَجَلَّ». وقال: «القنوع هو الزهد وهو الغنى».

فمن حقق اليقين؛ وثق بالله في أموره كلها، ورضي بتدبيره له، وانقطع عن التعلُّق بالمخلوقين رجاءً وخوفًا، ومنعه ذلك من طلب الدنيا بالأسباب المكروهة، ومن كان

كذلك كان زاهدًا في الدنيا حقيقةً، وكان من أغنى الناس، وإن لم يكن له شيءٌ من الدنيا؛ كما قال عمار: «كفى بالموت واعظًا، وكفى باليقين غنى، وكفى بالعبادة شغلًا».

وقال ابن مسعود: «اليقين: ألَّا تُرضي الناسَ بسخط الله، ولا تحمد أحدًا على رزق الله، ولا تلُمْ أحدًا على ما لم يؤتك الله؛ فإن الرزق لا يسوقه حرصُ حريصٍ، ولا يردُّه كراهةُ كاره، فإن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بقسطه وعدله وحكمه - جعل الرُّوح والفرح في اليقين والرضا، وجعل الهم والحزن في الشكِّ والسخط».

والثاني- أن يكون العبد إذا أُصيب بمصيبةٍ في دنياه من ذهاب مالٍ أو ولدٍ أو غير ذلك، أرغب في ثواب ذلك؛ مما ذهب عنه من الدنيا أن يبقى له، وهذا أيضًا ينشأ من كمالِ اليقين.

ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب. وقد كان ﷺ يقول في دعائه: «**اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تُهوِّن به علينا مصائب الدنيا**»(١).

والثالث- أن يستوي عند العبد حامدُه وذامُّه في الحق، وهذا من علامات الزهد في الدنيا، واحتقارها، وقلة الرغبة فيها؛ فإن من عظمت الدنيا عنده أحبَّ المدح وكره الذَّم.. أما من استوى عنده الأمران دلَّ على سقوط منزلة المخلوقين من قلبه وامتلائه من

(١) أخرجه الترمذيُّ [٣٥٠٢]، والنسائي في «الكبرى» (٦/ ١٠٦،١٠٧)، وابن المبارك في «الزهد» [٤٣١] رواية المروزي، وفيه عبيد الله بن زحر، فيه مقال، وضعفه ابن القطان في «بيان الوهم والإيهام» (٥/ ٨٣٠).
قلتُ: ولعبيد الله بن زحر متابع عند الحاكم (١/ ٥٢٨)، تابعه الليث بن سعد؛ لكن الراوي عنه أبو صالح كاتب الليث، وهو ضعيف؛ لكن الحديث بهذا يحتمل التحسين، والله أعلم. وتابعه ابن لهيعة أيضًا عند الطبراني في «الكبير» (١١/ ١٠٧)، وفي «الصغير» [٨٦٦]، وفي «الدعاء» [١٩١١]. قلت (مصطفى): «والراجح ضعفه عندي، والله أعلم».

محبة الحق وما فيه رضا مولاه. وقد رُوِي عن السلف عباراتٌ أُخر في تفسير الزهد في الدنيا، وكلُّها ترجعُ إلى ما تقدَّم.

وقد قسم كثير من السلف الزهد أقسامًا:

۞ فمنهم من قال: «أفضل الزهد: الزهد في الشرك، وفي عبادة ما عبد من دون الله، ثم الزهد في الحرام كلِّه من المعاصي. ثم الزهد في الحلال. وهو أقلُّ أقسام الزهد.

فالقسمان الأولان كلاهما واجب، والثالث: ليس بواجب.

۞ ۞ وقال إبراهيم بن أدهم: «الزهد ثلاثة أصناف: فزهدٌ فرضٌ، وزهدٌ فضلٌ، وزهدٌ سلامةٌ؛ **فالزهد الفرض**: الزهد في الحرام، **والزهد الفضل**: الزهد في الحلال، **والزهد السلامة**: الزهد في الشبهات». ثم قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

۞ **وأهلُ الزُّهد في فضول الدنيا أقسام:**

۞ فمنهم من يحصل له، فيمسكه ويتقرب به إلى الله، كما كان كثيرٌ من الصحابة وغيرهم.

قال أبو سليمان: «وكان عثمان وعبد الرحمن بن عوف خازنين من خزان الله في أرضه، يُنفقان في طاعته، وكانت معاملتهما لله بقلوبهما».

۞ ۞ ومنهم من يُخرجه من يده، ولا يُمسكه، وهؤلاء نوعان:

۞ منهم من يخرجه اختيارًا وطواعية.

۞ ومنهم من يخرجه ونفسه تأبى إخراجه، ولكن يجاهدها على ذلك، وقد اختُلف في أيهما أفضل؛ فقال ابن السماك والجنيد: الأول أفضل؛ لتحقق نفسه بمقام السخاء والزهد، وقال ابن عطاء: الثاني أفضل؛ لأن له عملًا ومجاهدة.

وفي كلام أحمد ما يدلُّ عليه أيضًا.

ومنهم من لم يحصل له شيءٌ من الفضول، وهو زاهد في تحصيله، إما مع قدرته، أو بدونها، والأول أفضل من هذا، ولهذا قال كثيرٌ من السلف: إن عمر بن عبد العزيز كان أزهد من أويس ونحوه، كذا قال أبو سليمان وغيره.

وكان مالك بن دينار يقول: الناس يقولون: مالكٌ زاهدٌ، إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز أتته الدنيا فاغرة فاها فتركها.

- وقد اختلف العلماء: «أيما أفضل: من طلب الدنيا من الحلال ليصل رحمه، ويقدّم منها لنفسه، أم من تركها فلم يطلبها بالكلية؟ فرجحت طائفة مَنْ تركها وجانبها، منهم الحسن وغيره، ورجّحت طائفة منْ طلبها على ذلك الوجه، منهم النخعي وغيره، روي عن الحسن عنه نحوه».

- والزاهدون في الدنيا بقلوبهم لهم ملاحظ ومشاهد يشهدونها:

۞ فمنهم من يشهد كثرة التعب بالسعي في تحصيلها؛ فهو يزهد فيها قصدًا لراحة نفسه؛ قال الحسن: «الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن».

۞ ومنهم من يخاف أن ينقص حظه من الآخرة بأخذ فضول الدنيا.

۞ ومنهم من يخاف طول الحساب عليها؛ قال بعضهم: «من سأل الله الدنيا، فإنما يسأل طول الوقوفِ للحساب».

۞ ۞ ومنهم من كان ينظر إلى حقارة الدنيا عند الله فيقذرها؛ كما قال الفضيل: «لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت عليَّ حلالًا، ولا أحاسب بها في الآخرة، لكنت أتقذرها كما يتقذر الرجلُ الجيفة إذا مرّ بها أن تصيب ثوبه».

۞ ومنهم من كان يخاف أن تشغله عن الاستعداد للآخرة والتزود لها؛ فعمر ابن المنكدر حين بُعث إليه مالٌ؛ بكى واشتد بكاؤه، وقال: «خشيت أن تغلب الدنيا على قلبي، فلا يكون للآخرة فيه نصيب، فذلك الذي أبكاني، ثم أمر به، فتصدق به على فقراء أهل المدينة.

- وخواصُّ هؤلاء يخشى أن يشتغل بها عن الله.

قال أبو سليمان: «الزهد ترك ما يشغل عن الله»، وقال: «كلُّ ما شغلك عن الله من أهلٍ ومالٍ وولدٍ؛ فهو مشؤوم».

فالزهد في الدنيا يراد به تفريغ القلب من الاشتغال بها، ليتفرغ لطلب الله، ومعرفته، والقرب منه، والأنس به، والشوق إلى لقائه (وهذه الأمور ليست من الدنيا).

۞ والزاهدون في الدنيا يحبهم الله تعالى. ولِمَ لا وقد زهدوا فيما رغب الله في الزهد فيه، واشتغلوا بما أمر الله بالاشتغال به. فأحبوا الله فأحبهم الله، وأحبوا الآخرة فخرجت الدنيا من قلوبهم.

قال عون بن عبد الله: «الدنيا والآخرة في القلب، ككفتي الميزان بقدْر ما ترجح إحداهما تخفُّ الأخرى».

۞ وبكلِّ حال؛ فالزهد في الدنيا شعار أنبياء الله وأوليائه وأحبائه؛ كما قال عمرو ابن العاص: «ما أبعد هديكم من هدي نبيكم ﷺ، إنه كان أزهد الناس في الدنيا، وأنتم أرغب الناس فيها»[(١)].

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ١٩٨، ٢٠٣)، والحاكم (٤/ ٣٢٦)، وابن حبان في «صحيحه» [٦٣٧٩]، والبيهقي في «الشعب» (٧/ ٣٤٣) بإسنادٍ صحيحٍ.

وقال ابن مسعود لأصحابه: «أنتم أكثر صومًا وصلاةً وجهادًا من أصحاب محمد ﷺ، وهم كانوا خيرًا منكم، قالوا: وكيف ذلك؟ قال: كانوا أزهدَ منكم في الدنيا، وأرغب منكم في الآخرة»[(١)].

۞ ثم الزهد فيما في أيدي الناس موجبٌ لمحبة الناس؛ ولا تكون عزيزًا إلا باستغنائك عن المخلوقين.

قال الحسن: «لا تزال كريمًا على الناس، أو: لا يزال الناس يكرمونك ما لم تعاط ما في أيديهم، فإذا فعلت ذلك، استخفُّوا بك، وكرهوا حديثك وأبغضوك».

وقال أيوب السختياني: «لا ينبل الرجل حتى يكون فيه خصلتان: العفة عما في أيدي الناس، والتجاوز عما يكون منهم».

وقد تكاثرت الأحاديث عن النبي ﷺ بالأمر بالاستعفاف عن مسألة الناس والاستغناء عنهم. فمن عفاً عنهم فإنهم يحبونه ويكرمونه لذلك؛ بل ويسود به عليهم؛ كما قال أعرابي لأهل البصرة: من سيّد أهل هذه القرية؟ قالوا: الحسن، قال: بم سادهم؟ قالوا: احتاج الناس إلى علمه، واستغنى هو عن دنياهم».

وما أحسن قول بعض السلف في وصف الدنيا وأهلها:

وما هي إلا جيفةٌ مستحيلةٌ ... عليها كلابٌ همُّهن اجتذابُها

فإن تجتنبها كنتَ سلْمًا لأهلها ... وإن تجتذبها نازعتك كلابُها

انتهى كلامُ ابن رجب الحنبلي في «جامع العلوم والحِكم» ص(٣٣٤-٣٦١) بتصرفٍ وتلخيصٍ. (الحديث الثالث والثلاثون).

---

(١) صحيح. وقد سبق.

متاعُ الدنيا قليلٌ، وظلٌّ زائل!!

فمتاعُ الدنيا قليلٌ ذاهب، وظلٌّ منقضٍ وزائل:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ [النِّسَاءِ: ٧٧].

وهذا ترغيبٌ للإقبال على الآخرة؛ وتزهيدٌ في متاع الدنيا القليل الضئيل.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله: ﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾ [النِّسَاءِ: ٧٧]، أي: آخرة المتقي خيرٌ من دنياه: ﴿ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ [النِّسَاءِ: ٧٧]؛ أي: من أعمالكم؛ بل توفونها أتم الجزاء، وهذه تسليةٌ لهم عن الدنيا، وترغيبٌ لهم في الآخرة، وتحريضٌ لهم على الجهاد».

وقال ابن أبي حاتم: « حدثنا أبي حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا حماد بن زيد عن هشام قال: قرأ الحسن: «قل متاع الدنيا قليل». قال: «رحم الله عبدًا صحبها على حسب ذلك؛ وما الدنيا كلها أولها وآخرها إلا كرجلٍ نام نومة، فرآى في منامه بعض ما يحب ثم انتبه».

وقال ابنُ معين: كان أبو مصهر ينشد:

«ولا خير في الدنيا لمن لم يكن له　　من الله في دار المقام نصيب

فإن تُعجب الدنيا رجالًا فإنها　　متاعٌ قليلٌ والزوالُ قريب»

انتهى

إذا كان متاعُ الدنيا إلى فناء؛ فلم الانبساطُ إليها، والانخداعُ بها، ولم الضحكُ الذي يفتك بصاحبه؟! ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا ﴾ [التَّوْبَةِ: ٨٢].

وعن ابن عباس في قوله تبارك وتعالى: ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا ﴾ [التَّوْبَةِ: ٨٢]، قال: «الدنيا قليل، فليضحكوا فيها ما شاؤوا، فإذا انقطعت وصاروا إلى الله تعالى؛ استأنفوا

في بكاءٍ لا ينقطعُ عنهم أبدًا»[1]. - يعني في (الآخرة) - أو -: (في النار)؛ فلِمَ الضحكُ الشديدُ؟! فابكِ على نفسك من الآن؛ وخفْ من الواحد الديَّان قبل فوات الأوان، وقبل أن يقال: مات فلان!!

فجعل الله سبحانه الدنيا دارًا فانية مزينة بزينةٍ زائلة؛ وما جعلها دار قرار، ولكن كما قال: ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧].

وهذا مثلٌ آخر للدنيا:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

[يونس: ٢٤-٢٥].

قال الحافظ ابن كثير في «التفسير» (٢/٣٩٨،٣٩٩): «ضرب تبارك وتعالى مثلًا لزهرة الحياة الدنيا وزينتها وسرعة انقضائها وزوالها بالنبات الذي أخرجه الله من الأرض بماء أنزل من السماء مما يأكل الناس من زروع وثمار على اختلاف أنواعها وأصنافها ومما تأكل الأنعام من أب وقضب وغير ذلك. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ أي: زينتها الفانية.

﴿وَٱزَّيَّنَتْ﴾: أي: حسنت بما خرج في رباها من زهور نضرة مختلفة الأشكال والألوان.

---

(١) أخرجه أسد بن موسى في «الزهد» رقم [١]، وصححه الحويني؛ وراجع الطبري عند هذه الآية، وكذا ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٣٦٣).

﴿وَظَنَّ أَهْلُهَآ﴾ الذين زرعوها وغرسوها.

﴿أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ﴾ أي: على جذاذها وحصادها؛ فبينما هم كذلك إذ جاءتها صاعقة أو ريح شديدة باردة فأيبست أوراقها وأتلفت ثمارها، ولهذا قال تعالى: ﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيدًا﴾؛ أي: يابسًا بعد الخضرة والنضارة ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾؛ أي: كأنها ما كانت حينًا قبل ذلك؛ وقال قتادة: كأن لم تغن كأن لم تنعم؛ وهكذا الأمور بعد زوالها كأن لم تكن.

ولهذا جاء في الحديث(1): «**يؤتى بأنعم أهل الدنيا؛ فيغمس في النار غمسة، فيقال له: هل رأيت خيرًا قط، هل مرّ بك نعيم قط؟ فيقول: لا، ويؤتى بأشد الناس عذابًا في الدنيا فيغمس في النعيم غمسة، ثم يقال له: هل رأيت بؤسًا قط؟ فيقول: لا**»، وقال تعالى إخبارًا عن المهلكين: ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ﴾ [هود: ٦٧-٦٨]، ثم قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾ [يونس: ٢٤]؛ أي: بين الحجج والأدلة ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيعتبرون بهذا المثل في زوال الدنيا من أهلها سريعًا مع اغترارهم بها وتمكنهم وثقتهم بمواعيدها وتفلّتها عنهم؛ فإن من طبعها الهرب ممن طلبها، والطلب لمن هرب منها».

وقال السعديُّ في «تيسير الكريم»: [يونس: ٢٤-٢٥]: «وهذا المثل من أحسن الأمثلة؛ وهو مطابق لحالة الدنيا؛ فإن لذاتها وشهواتها وجاهها ونحو ذلك؛ يزهو لصاحبه إن زها وقتًا حقيرًا، فإذا استكمل وتم؛ اضمحل وزال عن صاحبه، أو زال صاحبه عنه، فأصبح صفر اليدين منها ممتلئ القلب من همها وحزنها وحسرة».

ثم قال ابن كثير: «وقد ضرب الله تعالى الدنيا بنبات الأرض في غير ما آية من كتابه العزيز؛ فقال في سورة الكهف: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ

---

(1) وهو صحيح، وسيأتي.

فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴾ [الكهف: ٤٥]، وكذا في سورة [الزمر: ٢١]، و[الحديد: ٢٠] يضرب الله بذلك مثل الحياة الدنيا.

وقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ الآية [يونس: ٢٥]؛ لما ذكر تعالى الدنيا وسرعة زوالها رغّب في الجنة، ودعا إليها، وسماها دار السلام أي من الآفات والنقائص والنكبات؛ فقال: ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [يونس: ٢٥] اهـ.

قلت: وقد أورد ابن القيم عددًا من الآيات في هذا الباب؛ كقوله تعالى: ﴿ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴾ [الأعلى: ١٦-١٧]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيۡهَا صَعِيدٗا جُرُزًا ﴾ [الكهف: ٨]؛ أي: وإنا لمصيروها بعد الزينة إلى الخراب والدمار؛ فنجعل كلّ شيء عليها هالكًا صعيدًا جرزًا لا ينبت ولا ينتفع به. أو: وإن ما عليها لفانٍ وبائدٍ وإن المرجع لإلى الله(١).

قال ابن القيم في «المدارج»(٢) - بعد تعداده لهذه الآيات -: «والقرآن مملوء من التزهيد في الدنيا، والإخبار بخستها وقلتها وانقطاعها، وسرعة فنائها، والترغيب في الآخرة، والإخبار بشرفها ودوامها؛ فإذا أراد الله بعبدٍ خيرًا أقام في قلبه شاهدًا يعاين به حقيقة الدنيا والآخرة، ويؤثر منهما ما هو أولى بالإيثار» انتهى.

وقال تعالى: ﴿ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٢]

قال أبو عبد الله القرطبي في «التفسير» (٦/٢٦٦-وما بعدها عند هذه الآية):

«فيه مسألتان:

الأولى- قوله تعالى: ﴿ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ ﴾؛ أي: لِقِصَر مدتها؛ كما قال:

---

(١) ابن كثير (٣/ ٧٠).

(٢) (١/ ٤٣٧)، (المنزلة الثامنة عشر: الزهد).

فاعمل على مهلٍ فإنك ميت ... وما خير عيش لا يكونُ بدائم
تأمل إذا ما نلت بالأمس لذةً ... فأفنيتها هل أنت إلا كحالم

وقال آخر:

فاعمل على مهل فإنك ميت ... واكدح لنفسك أيها الإنسان
فكأن ما قد كان لم يك إذ مضى ... وكأن ما هو كائن قد كان

۞ **وقيل**: المعنى: متاع الحياة الدنيا لعب ولهو؛ أي: الذي يشتهونه في الدنيا لا عاقبة له، فهو بمنزلة اللعب واللهو.

ونظر سليمان بن عبد الله في المرآة؛ فقال: أنا الملك الشاب؛ فقالت له جارية له:

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى ... غير أن لا بقاء للإنسان
ليس فيما بدا لنا منك عيبٌ ... كان في الناس غير أنك فاني

وقيل: ﴿لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ باطل وغرور؛ كما قال: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]؛ فالمقصدُ بالآية تكذيب الكفار في قولهم: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ [الأنعام: ٢٩]، واللعب معروف، والتلعابة الكثير اللعب، والملعب مكان اللعب، يقال: لعب يلعب. واللهو أيضًا معروف، وكل ما شغلك فقد ألهاك، ولهوت من اللهو، وقيل: أصله الصرف عن الشيء؛ من قولهم: لهيتُ عنه؛ قال المهدويّ: وفيه بعد؛ لأن الذي معناه الصرف لامه ياء بدليل قولهم: لهيان، ولام الأولى واو.

الثاني- ليس من اللهو واللعب ما كان من أمور الآخرة؛ فإن حقيقة اللعب ما لا ينتفع به، واللهو ما يُلتهى به، وما كان مرارًا للآخرة خارج عنها؛ وذم رجل الدنيا عند

علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فقال عليٌّ: «الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار نجاة لمن فهم عنها، ودار غنىً لمن تزود منها»(١).

وقال محمود الورّاق:

لا تُتبع الدنيا وأيامها ذمًّا وإن دارت بك الدائرة
من شرف الدنيا ومن فضلها أن بها تستدرك الآخرة(٢)

وروى أبو عمر بن عبد البر(٣):

* عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الدنيا ملعونةٌ. ملعونٌ ما فيها إلا ما كان فيها من ذكر الله أو أدّى إلى ذكر الله، والعالم والمتعلم شريكان في الأجر، وسائر الناس همج لا خير فيه**». وأخرجه الترمذي(٤) عن أبي هريرة، وقال: «حديث حسن غريب».

وروى الترمذي(٥) عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء**».

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «ذم الدنيا» [١٤٧]، وفي «إصلاح المال» [١٠٨]، وابن عساكر في «تاريخه» (٤٢/ ٤٩٨)، بإسنادٍ فيه نظر؛ كما قال ابن رجب في «جامعه» [٣٩٩].

(٢) انظر: «صيد الخاطر» ص[١٥٩، ١٦٠]، (فصل؛ الدنيا معبر الآخرة).

(٣) بإسنادٍ ضعيفٍ: وهو عنده في «جامع بيان العلم» (١/ ١٣٣) رقم[١٣٣]، وقد قوّاهُ محققُه بطرقه حَفِظَهُ اللَّهُ، وضعف الألباني في «الإرواء» رقم[٤١٤] الزيادة: «**والعالم والمتعلم..**».
وانظر: «الزهد» لأحمد ص[١٧٠] عن أبي الدرداء موقوفًا بهذا اللفظ.
قلتُ: وقد أورده العلامة الألباني في «الصحيحة» رقم [٢٧٩٧]، وحذفه من «الضعيفة».

(٤) في «السنن» رقم [٢٣٢٢]، وكذا ابن ماجه [٤١١٢]، وغيرهم.
وانظر: «العلل» للدارقطني (٥/ ٨٩) [٧٣٥]، وابن أبي حاتم في «علله» (٢/ ١٢٤)، و«الضعيفة» [٣٦١٥]، كما في «ضعيف الجامع» (٣/ ١٦١، ١٦٢) رقم [٣٠١٩].

(٥) في «السنن» رقم [٢٣٢]، وكذا ابن ماجه [٤١١٠]، وهو حديثٌ منازعٌ فيه، وله طرقٌ كثيرة، بينها الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٣/ ٢٥٢)، وكلها لا تخلو من مقال، وراجع «شرح ابن ماجه =

وقال الشاعر:

تمتع من الأيام إن كنت حازمًا ... **فإنك منها بين ناهٍ وآمر**

إذا أبغت الدنيا على المرء دينه ... **فما فاته منها فليس بضائر**

ولن تعدل من الدنيا جناح بعوضة ... **ولا وزن رقٍّ من جناح لطائر**

فما رَضِي الدنيا ثوابًا لمحسن ... **ولا رَضِي الدنيا عقابًا لكافر**

وقال ابن عباس: «هذه هي حياة الكافر؛ لأنه يُزجيها في غرور وباطل؛ فأما حياة المؤمن فتنطوي على أعمال صالحة، فلا تكون لهوًا ولعبًا».

وقوله تعالى: ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ﴾ أي: الجنة لبقائها، وسميت آخرة، لتأخرها عنا، والدنيا لدنوها منا. ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ أي: الشرك. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أي: أفلا يعقلون أن الأمر هكذا؛ فيزهدوا في الدنيا، والله أعلم» انتهى المراد.

* واعلم أنه مهما أُوتي العبدُ من نعيمٍ في الدنيا وهو بعيدٌ عن الله وعن طاعته؛ فذلك لا ينجيه من العذاب، وانظر إلى أنعم أهل الدنيا في الدنيا كيف يكون حالُه في الآخرة إذا كفر بنعم الله عليه، ولم يستسْلِم لأمْرِ ربّه ونبيهِ ﷺ؛ كما في «صحيح مسلم»[١] من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيُصبغ في النار صَبغة، ثم يقال: يا ابن آدم! هل رأيت خيرًا قط؟ هل مرّ بك نعيمٌ قط؟ فيقول: لا والله يا رب! ويؤتى بأشد الناس بؤسًا في الدنيا، من أهل الجنة، فيصبغ صَبغة في الجنة، فيقال له: يا ابن آدم! هل**

=لمغلطاي» (٤/ ٤٦٦)، و«فيض القدير» (١/ ٥٥) و(٥/ ٣٢٨)، و«الصحيحة» [٦٨٦،٩٤٣]، وقوَّاه بشواهده الشيخ الأرناؤوط في تعليقه على «السير» (١٤/ ٥٥١) والحديث يُحسَّن لغيره، والله أعلم.

(١) رقم [٢٨٠٧].

رأيت بؤسًا قط؟ هل مرّ بك شدةٌ قط؟ فيقول: لا والله! يا ربّ! ما مرّ بي بؤسٌ قط؟ ولا رأيت شدة قط».

فلا تضحك كثيرًا؛ ولكن ابك كثيرًا، وليكن شغلك بما أنت قادمٌ عليه. فكِّر في اليوم الآخر والقيامة والنار، ولا تتشاغل بِحُطامٍ فانٍ لا يبقى ولا ينفع.

فلا سرور ولا قرة عين قط - وإن ملك العبد الدنيا - إذا انشغل بها، وترك فرائض الله، وارتكب محارمه، ولم يمتثل أوامره، ولم يجتنب نواهيه وزواجره.

وقد قال ابن تيمية في «الفتاوى» (٢٠/١٤٢): «ولا ريب أن الحرص والرغبة في الحياة الدنيا وفي الدار الدنيا من المال والسلطان مضر؛ كما روي الترمذي[(١)] عن كعب ابن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما ذئبان جائعان أُرسلا في زريبة غنم بأفسد لها من حرصِ المرء على المال والشرف لدينه»**، قال الترمذي: **«حديث حسن صحيح»**.

فذمَّ النبيُّ ﷺ الحرص على المال والشرف وهو الرياسة والسلطان. وأخبر أن ذلك يفسد الدين مثلَ أو فوق إفساد الذئبين الجائعين لزريبة الغنم.

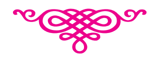
وهذا دليل على أن هذا الحرص إنما ذُمَّ؛ لأنه يفسد الدين الذي هو الإيمان والعمل الصالح، فكان ترك هذا الحرص بصالح العمل...».

وقال ابن تيمية أيضًا في «الفتاوى» (١١/١٠٨): «فحرص الرجل على المال والشرف يوجب فساد الدين، فأما مجرد الحب الذي في القلب إذا كان الإنسان يفعل ما

---

(١) في «السنن» [٢٣٧٦]، وأخرجه كذلك أحمد في «مسنده» (٣/ ٤٥٦، ٤٦٠)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (معلقًا ١/ ٤٩)، والدارمي [٢٧٣٠]، وابن حبان في «صحيحه» [٣٢٢٨] بإسنادٍ صحيح، كما قال ابن مُفلح في «الآداب الشرعية» (٣/ ٣٠٢)، وفي الباب عن عدة من الصحابة، وقد ألف ابن رجب الحنبلي فيه رسالة مفردة؛ كما في «مجموع رسائل ابن رجب» (١/ ٦١) ط الفاروق.

أمره الله به، ويترك ما نهى الله عنه، ويخاف مقام ربه، وينهى النفس عن الهوى، فإن الله لا يعاقبه على مثل هذا إذا لم يكن معه عملٌ وجَمْعُ المال، إذا قام بالواجبات فيه، ولم يكتسبه من الحرام، لا يعاقب عليه، لكن إخراج فضول المال، والاقتصار على الكفاية أفضل وأسلم وأفرغ للقلب، وأجمع للهمِّ، وأنفع في الدنيا والآخرة»اهـ.



سُؤالُ اللّهِ للعبدِ يوْمَ القِيامةِ عنِ المالِ

اعلـم - أخي - أن الإنسـان سيسـأل عن كل شيء امتلكه في هـذه الحياة الدنيا ولا ريب؛ فيسأل عن النقير والقطمير، وعن الصغير والكبير.

ومما سيسأل عنه، ولابد:

المــال

المـال هو مال الله، ولو ملَّكه للإنسـان، فإنه ليس تمليـكًا حقيقيًّا، فإنه لو كان تمليكًا حقيقيًّا لما سئل عنه.

ومن الأدلة الدالة على سؤال الله العبد عن المال:

قوله تعـالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيـمِ ﴾ [التكاثر: ٨]، وكان في مطلعها: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴾.

والمراد: التفاخر والتباهي بالأموال وكثرتها.

فالعبد إذا لم يؤد شكر ذلك بالطاعة، وأداء حق الله؛ عوقب على ذلك.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: ثم لتسـألن عن شـكر ما أنعم الله به عليكم من الصحة، والأمن، والرزق، وغير ذلك، ما إذا قابلتم به نعمه من شكره وعبادته».

وقـال السـعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيـمِ ﴾ الـذي تنعـم بـه في دار الدنيا، هل قمتم بشكره، وأديتم حق الله فيه، ولم تستعينوا به على معاصيه، فينعمكم نعيمًا أعلى منه وأفضل، أم اغتررتم به، ولم تقوموا بشكره، بل ربما استعنتم به على معاصي الله، فيعاقبكـم عـلى ذلـك؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ ﴾ [الأحقاف: ٢٠]» اهـ.



ومن ذلك:

۞ ما رواه مسلمٌ في «**صحيحه**» (١٨/ ٩٤نووي) من حديث مطرف، عن أبيه، قال: أتيت النبي ﷺ، وهو يقرأ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾، قال: «**يقول ابن آدم: مالي! مالي! قال: وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت**»(١).

۞ ۞ وفي «**صحيح مسلم**» أيضًا(٢) من حديث أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «**يقول العبد: مالي! مالي! إنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فاقتنى، وما سوى ذلك فهو ذاهب، وتاركه للناس**».

۞ ۞ ۞ **وفي «سنن الترمذي» [٢٤١٧] بإسنادٍ حسنٍ لغيره**(٣) من حديث أبي برزة الأسلمي، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة، حتى يسأل عن عُمره فيما أفناه، وعن علمه فيما فعل، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيما أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه**».

أخرجه الدارمي [٥٤٣]، وابن أبي الدنيا في «إصلاح المال» حديث [٣٠]، وأبو يعلى في «مسنده» [٣٤٣٤]، وأبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٢٣٢).

---

(١) ورواه الترمذي [٢٣٤٢،٣٣٥٤]، والنسائي (٦/ ٢٣٨)، وأحمد (٤/ ٢٤،٢٦)، وعبد بن حميد [٥١٣]، من حديث قتادة، عن مطرف به، ومطرف هو ابن عبد الله بن الشخير.

(٢) برقم [٢٩٥٩] محمد فؤاد (١٨/ ٩٤نووي)، وابن حبان؛ كما في «الإحسان» [٣٢٤٤].

وقد قال الطحاوي في «شرح المشكل» (٤/ ٣٤٧): «فكان ذلك على أن ما عاد من ماله إلى غيره بعد وفاته أنه ليس هو مالًا له؛ إذ لا منفعة لدينه حينئذٍ، كما لا منفعة له في مال غيره، ونعوذ بالله من ذلك، وإياه نسأل التوفيق».

(٣) لأجل أبي بكر بن عياش؛ فهو حسن الحديث، وسعيد بن عبد الله بن جريج صدوق ربما وهم.

قلت: وفي الباب حديث أخرجه الترمذي [٢٤١٦]، قال: حدثنا حميد بن مسعدة، قال: حدثنا حصين بن نمير أبو محصن، قال: حدثنا حسين بن قيس الرحبي، قال: حدثنا عطاء بن أبي رباح، عن ابن عمر، عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «**لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وماذا عمل فيما عَلِمَ**».

قال الترمذي: «هذا حديث غريب، لا نعرفه من حديث ابن مسعود، عن النبي ﷺ، إلا من حديث الحسين بن قيس، وحسين بن قيس يُضعَّف في الحديث من قبل حفظه»اهـ.

فالحديثُ من هذا الوجه ضعيفٌ لا يثبت، وأقلُّ أحوالِهِ أن يكون شاهدًا لحديثِ أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه.

فسارع أخي بالتخلص من هذا المال، ولا أعني إضاعته، والتفريط فيه، وإنما أعني المسارعة في تسخيره في الحلال الطيب، وإنفاقه في سبيل الله، وأكثِرْ من ذلك في وجوه الخير، ولا تكن من جامعيه[1]، ومكتنزيه، ومع ذلك، فأنت به شحيح، فتصدَّق وتَعَجَّل بالصدقة، قبل حلول الأجل، وقبل أن تأتيك منيتك، وأنت خاوٍ من صحيفتك، وتذكر حديث نبيك محمد ﷺ، الذي أخرجه الشيخان[2] من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: انتهيت إلى النبي ﷺ، وهو جالسٌ في ظلِّ الكعبة، فلما رآني قال: «**هم**

---

(١) أي: لا يكن المال همك الأكبر، ونهمتك العظمى، في هذه الحياة، وقد قال ﷺ: «منهومان لا يشبعان: طالب علم، وطالب دنيا» أخرجه الحاكم (١/ ٩٢)، والبيهقي في «المدخل» (١/ ٣٥٢) من طريق: أبي عوانة عن قتادة عن أنس رضي الله عنه. قلت: وقتادة مدلس وقد عنعن.
لكن للحديث طرقٌ قواه بها السخاوي في «المقاصد الحسنة» (١/ ٦٧٩)، والعجلوني في «كشف الخفاء» (٢/ ٢٨٨).

(٢) البخاري [٦٦٣٨]، ومسلم (٧/ ٧٣نووي)، (حديث ٩٩٠ تحقيق محمد فؤاد).

الأخسرون وربِّ الكعبة» قال: فجئتُ حتى جلستُ فلم أتقارَّ(١) أن قمت، فقلت: فداك أبي وأمي من هم؟ قال: «**هم الأكثرون أموالًا، إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا**» من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله: «**وقليلٌ ما هم، ما من صاحب إبل، ولا بقرٍ، ولا غنم، لا يؤدي زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت، وأسمنه تنطحه بقرونها، وتطؤه بأظلافها، كلما نفدت أخراها عادت إليه أولاها. حتى يقضى بين الناس**».

وكُنْ - أخي - من أهل الدثور، الذين يذهبون بالأجور.

۞ أخرج مسلم في «**صحيحه**» [١٠٠٦] من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ ناسًا من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالوا للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا رسول الله! ذهب أهل الدثور بالأجور(٢)، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم، قال:

---

(١) أي: لم يمكني القرار والثبات.

(٢) **قال ابن رجب الحنبلي في «جامع العلوم والحكم» ص[٥٦-٥٧]**:

«وفي هذا الحديث دليل على أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لشدة حرصهم على الأعمال الصالحة، وقوة رغبتهم في الخير، كانوا يحزنون على ما يتعذر عليهم فعله من الخير، مما يقدر عليهم غيرهم، فكان الفقراء يحزنون على فوات الصدقة بالأموال التي يقدر عليها الأغنياء، ويحزنون على التخلف عن الخروج في الجهاد؛ لعدم القدرة على آلته، وقد أخبر الله عنهم بذلك في كتابه، فقال: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩٢]».

تنبيه:

وأهل الدثور: هم أصحاب الأموال، والشرع لا يمنعهم من ذلك، والشريعة تقرُّ أصحاب الأموال والثروات، إذا كانوا يؤدون حق الله فيها، ويجوِّزُ لهم جمع المال بشروطه، وهكذا فَهِم الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ من قول سعد بن أبي وقاص: «وأنا ذو مالٍ كثير». فقال: «فيه إباحة جمع المال بشرطه» «الفتح» (٥/ ٤٣٣).

«**أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون؟ إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهيٌ عن منكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقةٌ**» قالوا: يا رسول الله! أيأتي أحدهما شهوته، ويكون له فيها أجر؟! قال: «**أرأيتم لو وضعها في الحرام، أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال؛ كان له أجر**».



اجعل همّك همَّ المعاد

ولا تجعل الدنيـا أكبر همك؛ وأفـرغ هموم الدنيا مـن قلبك ما اسـتطعت؛ واجعل همك همًّا واحدًا؛ هم الآخرة؛ واعلم يقينًا أن من كانت همته ونيتُهُ الآخرة أتته الدنيا وهي مقهورة راغمة.

۞ ففي «**سـنن ابن ماجه**»(١) و«**مسـند أحمد**» من حديث زيد بن ثابت قال: سمعت رسـول الله ﷺ يقـول: «**مـن كانت الدنيا همَّـهُ، فرق الله عليـه أمره، وجعل فقـره بـين عينيـه، ولم يأته مـن الدنيا إلا مـا كتب له، ومـن كانت الآخـرة نيتهُ؛ جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة**».

---

(١) برقم [٤١٠٥]، وأحمد (٥/ ١٨٣ بسـياقٍ طويـل) وفي «الزهد» له ص[٣٣]، وأخرجه كذلك أبو داود [٣٦٦٠]، والترمـذيُّ [٢٦٥٦]، وابـن ماجـه [٤١٠٥]، والدارميُّ [٢٢٩]، والنسـائيُّ في «الكبرى» [٥٨١٧] والطيالسي في «مسـنده» [٦١٧] من طرقٍ عن شـعبة عن عمر بن سليمان عن عبد الرحمن بن أبان بن عثمان عن أبيه عن زيد بن ثابت به.
قلت: وإسـنادهُ صحيحٌ، وجوَّد سنده العراقيُّ في «تخريج الإحياء» (٢/ ١١٦٩)، وقبله ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (٣/ ٤٣٢)، وصححه البوصيريُّ في «مصباح الزجاجة» (٤/ ٢١٢)، وقال المنذريُّ في «الترغيب» (٤/ ٥٦): «رواته ثقات»، وقال (٤/ ٥٧): «إسناده لا بأس به».
– وقـد توبـع أبان بن عثمان مـن عجلان المدني؛ كما عنـد الطبراني في «الأوسـط» (٧/ ٢٠١) وفي إسناده عراك بن خالد فيه لين؛ كما في «التقريب».
– وللحديـث شـاهد عن أنس عند الترمذي [٢٤٦٥]، وفي إسـناده يزيـد الرقاشي وهو ضعيف. لكن لا بأس به في المتابعات؛ كما قال المنذريُّ في «الترغيب» (٤/ ٥٧)، وفيه أيضًا الربيع بن صبيح صدوق سيء الحفظ؛ كما قال في «التقريب».
– وله شواهد أخرى أقواها ما سطرتُه هنا، ويشهد له في المعنى أيضًا الحديث الآتي: «**يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنًى..الحديث**» وسيأتي.
– وقد استشهد بحديثنا عددٌ من الأئمة وتناولوه بالشرح والبيان، فمعناهُ صحيحٌ ليس بمستنكر، والله تعالى أعلم.
تنبيه: اعلم أن ما كتب للعبد من الرزق يأتيه لا محالة؛ إلا أنه من طلب الآخرة يأتيه رزقه بلا تعب، ومن طلب الدنيا يأتيه بتعب وشدة ومشقة. «تعليق محمد فؤاد على ابن ماجه».

راغمة: أي مقهورة.

فمن جعل الهموم همًّا واحدًا؛ همّ المعاد، كفاه الله هَمَّ دنياه.

ولو قام العبد بأوامر الله، وسلك ما يحبه الله ويرضاه، واشتغل بعبادة ربه ومولاه، مع القناعة باليسير، والرضا بالقليل؛ لامتلأ القلب بالغنى وعدم التطلع والاستشراف إلى حُطام الدنيا الفاني، والغِنى الحقيقيُّ هو غنى النفوس.

وفي «**سنن الترمذي**»[(١)] و«**سنن ابن ماجه**» وغيرهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – وله شاهدٌ من حديث معقل بن يسار عند الحاكم في «**المستدرك**»[(٢)] وهو صحيح لغيره–؛ ولفظه: إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يقول ربكم تبارك وتعالى: يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ قلبك غنى وأملأ يديك رزقًا، يا ابن آدم لا تباعد مني فأملأ قلبك فقرًا، وأملأ يديك شغلا**».

وشاهدُهُ من التنزيل في قول الله: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [طه: ١٣٢]؛ بل و قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨]

وفي «مسند أحمد»[(٣)] من حديث أبي واقد الليثي قال: كنا نأتي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أُنزل عليه، فيحدثنا، فقال لنا ذات يوم: «**إن الله** عَزَّ وَجَلَّ **قال: إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة**

---

(١) برقم [٢٤٦٦]، وابن ماجه [٤١٠٧]، وابن أبي شيبة (٧/ ١٢٦)، وفيه زائدة بن نشيط؛ قال فيه الحافظ: «مقبول»؛ أي: حيث يتابع. وجهَّله ابن القطان في «بيان الوهم والإيهام» (٤/ ٦٤٢)، ووافقه الألباني في «الصحيحة» [١٣٥٩]، وللحديث شاهدٌ يقويه قد أشرتُ إليه. وجوَّده ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (٣/ ٢٦٢).

(٢) (٤/ ٣٢٦).

(٣) برقم [٢١٩٠٦].

قلت: وفي سنده هشام بن سعد متكلَّم فيه إلا أنه ثبت في روايته عن زيد بن أسلم كما قال أبو داود، واستشهد به الشيخان؛ كما في «تهذيب المزي».

وإيتاء الزكاة، ولو كان لابن آدم وادٍ لأحب أن يكون إليه ثانٍ، ولو كان له واديان لأحب أن يكون إليهما ثالث، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ثم يتوب الله على من تاب».

أما من شغلته الدنيا عن العمل للآخرة؛ فهذا كما قال الله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾ [الأعراف: ٥١].

وفي «سنن الترمذي»[1] من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري قالا: قال رسول الله ﷺ: «**يؤتى بالعبد يوم القيامة؛ فيقول الله له: ألم أجعل لك سمعًا وبصرًا ومالًا وولدًا وسخرت لك الأنعام والحرث وتركتك ترأس وتربع؛ فكنت تظن أنك ملاقيَّ يومك هذا؟ قال: فيقول: لا، فيقول له: اليوم أنساك كما نسيتني**».

قال الترمذي: «ومعنى: «**اليوم أنساك**» يقول: اليوم أتركك في العذاب، هكذا فسروه. ترأس: من الرئاسة والتقدم على القوم، وتربع: تأخذ ربع الغنيمة».

وفي رواية لمسلم [٢٩٦٨]: «**فيلقى العبدَ فيقول: أي فلْ؟ ألم أكرمك وأسوّدك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع؟** فيقول: بلى. **قال: فيقول: أظننت أنك ملاقيَّ؟** فيقول: لا. **فيقول: فإني أنساك كما نسيتني**».

ومن علم حقيقة الدنيا؛ جعلها زادًا لآخرته. فلا تكُنْ للدنيا حريصًا، تخدُمها وهي تزجرك عن نفسها بالأعراض والأمراض والآفات والعلل، كأنك لم تر حريصًا محرومًا، ولا زاهدًا مرزوقًا، ولا ميتًا عن كثير، ولا متبلغًا عن الدنيا باليسير.

ومن عرف أن الدنيا كالثلج يذوب، والآخرة كالدر يبقى؛ قويتْ رغبتُهُ في بيع هذه بتلك، وقد قال تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦]، وقال تعالى: ﴿وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [النساء: ٧٧].

---

(١) برقم [٢٤٢٨]، وسنده حسن؛ وأخرجه أحمد (٢٠/ ٤٩٢) بسند صحيح.

رغبة النبيِّ ﷺ عن طيبات الدنيا

لقد رغب رسول الله ﷺ عن طيبات الحياة الدنيا ورفضها، وقنع بالقليل، ورضي باليسير، وكان بإمكانه أن يحصل له من التوسع والتبسط فيها؛ ولكنه آثر الباقي على الفاني؛ وقال له ربه: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ [الضحى: ٤].

قال الحافظ ابن كثير: «أي: والدار الآخرة خيرٌ لك من هذه الدار، ولهذا كان رسول الله ﷺ أزهد الناس في الدنيا، وأعظمهم لها إطراحًا؛ كما هو معلومٌ بالضرورة من سيرته، ولما خُيّر عَلَيْهِ السَّلَامُ في آخر عمره بين الخلد في الدنيا إلى آخرها ثم الجنة وبين الصيرورة إلى الله عَزَّوَجَلَّ؛ اختار ما عند الله على هذه الدنيا الدنية» انتهى.

وفي «الصحيحين»[١] من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن عمر بن الخطاب قال: قلت: يا رسول الله! ادع الله فليوسع على أمتك؛ فإن فارس والروم وُسع عليهم وأعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله، وكان متكئًا؛ فقال: «**أوَ في شكٍّ أنت يا ابنَ الخطاب؟ أولئك قومٌ عُجلت لهم طيباتهم في الدنيا**».

وفي رواية لمسلم: «فدخلتُ على رسول الله ﷺ وهو مضطجعٌ على حصير. فجلست فأدنى عليه إزارَهُ. وليس عليه غيرُهُ. وإذا الحصير قد أثَّر في جنبه. ومثلها قَرَظًا في ناحية الغرفة. وإذا أَفِيقٌ معلَّق. قال: فابتدرت عيناي. قال: «**ما يبكيك؟ يا ابن الخطاب!**» قلتُ: يا نبي الله! وما لي لا أبكي؟ وهذا الحصير قد أثَّر في جنبك. وهذه

(١) البخاري [٢٤٦٨]، ومسلم [١٤٧٩]، وهو جزءٌ من حديث طويل.

قلت: تقدَّم أن توظيف المال في سبل الخير لا ينافي الزهد - بمعنى أن الغنى لا ينافي الزهد -؛ فكيف والنبي ﷺ بهذه الحال؟

والجواب - كما ذُكر - أن المال إنما يرغب فيه ليستعان به على الآخرة، والتقرب إلى الله وطاعته به؛ والنبي ﷺ لم يحتج إلى المال من هذا الوجه. ومن ثمَّ رفض الدنيا أيما رفض، ورغب عنها رغبةً في الحياة الطيبة الدائمة - الآخرة - وانظر: «الفتح» (١١/ ٢٨٤، ٢٨٥).

خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى وذاك قيصر وكسرى في الثمار والأنهار. وأنت رسول الله ﷺ وصفوته. وهذه خزانتك؛ فقال: «**يا ابن الخطاب! ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا؟**».

❁ ولذلك قال رسول الله ﷺ؛ كما في «سنن الترمذي» برقم [٢٣٧٧]، و«مسند أحمد» [٣٧٠٩]، وابن ماجه في «السنن» برقم [٤١٠٩] بسندٍ صحيح[١] من حديث عبد الله بن مسعود قال: نام رسول الله ﷺ على حصير؛ فقام وقد أثّر في جنبه؛ فقلنا: يا رسول الله! لو اتخذنا لك وِطاءً؟ فقال: «**ما لي وما للدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكبٍ استظلَّ تحت شجرة ثم راح وتركها**».

قال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

وفي «مسند أحمد» [٢٧٤٤][٢]، من حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ دخل عليه عمر وهو على حصيرٍ قد أثّر في جنبه؛ فقال: يا نبي الله، لو اتخذت فراشًا أوثر من هذا؟ فقال: «**ما لي وللدنيا؟ ما مثلي ومثلُ الدنيا، إلا كراكبٍ سار في يوم صائفٍ، فاستظل تحت شجرة ساعةً من نهار، ثم راح وتركها**».

* وفي «الصحيحين»[٣] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو كان لي مثل أحد ذهبًا ما يسرُّني أن لا تمر عليّ ثلاث ليالٍ وعندي منه شيءٌ إلا شيئًا أرصدُهُ لديْن**».

---

(١) وانظر: «المسند» برقم [٤٢٠٨].

(٢) وأخرجه عبد بن حميد برقم [٥٩٧]، وسنده حسن، على كلامٍ في هلال بن خباب؛ فقال الحافظ في «التقريب» [٨٢٥٨]: «صدوق تغير بأخرة».

(٣) البخاري [٦٤٤٥]، ومسلم [٩٩١].

وفي «الصحيحين»(١) أيضًا من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنتُ أمشي مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حرّة المدينة فاستقبلَنا أُحدٌ؛ فقال: **«يا أبا ذر!»** لت: لبيك يا رسول الله! قال: «**ما يسرّني أن عندي مثل أحد هذا ذهبًا تمضي عليَّ ثالثة وعندي منه دينار، إلا شيئًا أرصدُهُ لديْن، إلا أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا وهكذا - عن يمينه وشماله، ومن خلفه - ثم مشى، ثم قال: إن الأكثرين هم المقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا - عن يمينه وعن شماله ومن خلفه - وقليل ما هم...** الحديث».

معاني:

- أرصدهُ لدين: أعدُّه لدين.

قال الحافظ في «الفتح» (٢٧٥/١١): «في الحديث: الحث على الإنفاق في وجوه الخير، وأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان في أعلى درجات الزهد في الدنيا، بحيث أنه لا يحب أن يبقى بيده شيءٌ من الدنيا إلا لإنفاقه فيمن يستحقه، وإما لإرصاده لمن له حق.. وفيه تقديم وفاء الدين على صدقة التطوع».

فكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أزهد الناس في الدنيا مع القدرة عليها، وإذا حصلت له، ينفقها هكذا وهكذا في عباد الله، ولم يدّخر لنفسه شيئًا لغدٍ؛ فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا ينظر إلى هذه الدنيا نظرة قومٍ قد تسارعوا إليها وتنافسوا فيها؛ وأدّى ذلك إلى مشاحنات وخصوماتٍ فيما بينهم، بل وبين الإخوة أنفسهم في أمور الميراث ونحوها؛ وهذا مصداق ما أخبر به النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري ومسلم(٢) من حديث المسور بن مخرمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفيه: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «...**فوالله! ما**

---

(١) البخاري [٦٤٤٤]، ومسلم [٩٤].

(٢) البخاري [٣١٥٨، ٤٠١٥]، ومسلم [٢٩٦١].

الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تُبسط الدنيا عليكم، كما بُسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم».

وزاد بعضهم: «**وتلهيكم كما ألهتهم**».

* **قال الحافظ في «الفتح» (٦/ ٣٠٤)**: «وفي هذا الحديث... أن المنافسة في الدنيا، قد تجرُّ إلى هلاك الدين».

قلت: وقد بوّب له البخاري في موضعٍ من «صحيحه» حديث[٦٤٢٥]، بقوله: «باب: ما يحذر من زهرة الدنيا، والتنافس فيها».

وقال الحافظ في شرحه هناك؛ في «الفتح» (١١/ ٢٤٩):

- قوله: «**فوالله! ما الفقر أخشى عليكم**»: «وهذه الخشية يحتمل أن يكون سببها؛ علمه أن الدنيا ستفتح عليهم، ويحصل لهم الغنى بالمال».

- وقوله: «**فتنافسوها**»: «والتنافس من المنافسة؛ وهي: الرغبة في الشيء، ومحبة الانفراد به، والمغالبة عليه».

- وقوله: «**فتهلككم**»: «أي: لأن المال مرغوبٌ فيه؛ فترتاح النفس لطلبه، فتمنع منه، فتقع العداوة المقتضية للمقاتلة المفضية إلى الهلاك».

قال ابن بطال: «فيه أن زهرة الدنيا ينبغي لمن فتحت عليه أن يحذر من سوء عاقبتها وشر فتنتها، فلا يطمئن إلى زخرفها ولا ينافس غيره فيها. ويستدل به على أن الفقر أفضل من الغنى؛ لأن فتنة الدنيا مقرونة بالغنى، والغنى مظنة الوقوع في الفتنة التي قد تجر إلى هلاك النفس غالبًا، والفقير آمن من ذلك»انتهى.

۞ وفي «صحيح مسلم» برقم [٢٩٦٢] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ قال: «**إذا فتحت عليكم فارس والروم، أيُّ قومٍ أنتم؟**» قال

عبد الرحمن بن عوف: نقول كما أمرنا الله[١]، قال رسـول الله ﷺ: «**أو غير ذلك تتنافسون، ثم تتحاسدون، ثم تتدابرون، ثم تتباغضون، أو نحو ذلك. ثم تنطلقون في مساكين المهاجرين، فتجعلون بعضهم على رقاب بعض**».

- معاني:

- **التدابر**: الإعراض والتقاطع.
- **تجعلون بعضهم على رقاب بعض**: أي تجعلون بعضهم أمراء على بعض.

*** قال النووي في «شرح مسلم» (١٨/ ٩٦،٩٧):**

قـال العلـماء: التنافس إلى الشيء؛ المسـابقة إليه وكراهة أخذ غـيرك إياه، وهو أول درجات الحسد.

وأما الحسدُ؛ فهو تمني زوال النعمة عن صاحبها.

والتدابر: التقاطع. وقد بقى مع التدابر شيءٌ من المودة أو لا يكون مودة ولا بغض؛ وأما التباغض؛ فهو بعد هذا؛ ولهذا رتبت في الحديث؛ ثم ينطلقون في مساكين المهاجرين: أي: ضعفائهم فيجعلون بعضهم أمراء على بعض؛ هكذا فسروه» انتهى.

وفي «الصحيحين»[٢] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: جلس رسول الله ﷺ على المنبر، وجلسنا حوله، فقال: «**إن مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها**».

---

(١) أي: نحمده ونشكره ونسأله المزيد من فضله. قاله النووي.
(٢) البخاري [١٤٦٥]، ومسلم [١٠٢٥].

وفي رواية[1]: «**إن أكثر ما أخاف عليكم ما يُخرج الله لكم من بركات الأرض؟**» قيل: وما بركات الأرض؟ قال: «**زهرةُ الدنيا**»: فقال له رجل: هل يأتي الخير بالشر[2]؟ فصمت النبي ﷺ حتى ظننتُ أنه ينزل عليه[3]، ثم جعل يمسح عن جبينه، فقال: «**أين السائل**» قال: أنا. قال أبو سعيد: لقد حمدناه حين طلع لذلك، قال النبي ﷺ: «**لا يأتي الخير إلا بالخير؛ إن هذا المال خضرةٌ حُلْوة، وإن كلّ ما أنبت الربيعُ يقتل حبطًا أو يُلِمُّ، إلا آكلة الخضرة، أكلتْ حتى إذا امتدت خاصرتاها استقبلت الشمس، فاجترت وسلَطت وبالت، ثم عادت فأكلت، وإن هذا المال حلوة. من أخذه بحقه، ووضعه في حقه، فنعم المعونة هو. وإنْ أخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع**».

- **معاني الحديث:**

- **زهرة الدنيا**: المراد بالزهرة: الزينة والبهجة؛ والمراد: (ما فيها من أنواع المتاع والثياب والزروع وغيرها مما يفتخر الناس بحسنه مع قلة البقاء).

- «**المال خضرة حلوة**»: **قال الحافظ**: «معناه أن صورة الدنيا حسنة مؤنقة، والعرب تسمي كل شيء مشرق ناضر أخضر».

قال ابن الأنباري: قوله: «**المال خضرة حلوة**»: «ليس صفة المال، وإنما هو للتشبيه، كأنه قال: المال كالبقلة الخضراء الحلوة. أو (التاء) في قوله: «**خضرة وحلوة**» باعتبار ما يشتمل عليه المال من زهرة الدنيا، أو: على معنى فائدة المال أي أن الحياة به أو العيشة،

---

(١) للبخاري [٦٤٢٧]، ومسلم أيضًا.

(٢) أي: هل يستجلب الخير الشر؟ والمعنى: أتصير النعمة عقوبة؟ لأن زهرة الدنيا نعمة من الله؛ فهل تعود هذه النعمة نقمة؟. «الفتح» (١١/ ٢٥٠).

(٣) أي: الوحي.

أو: أن المراد بالمال هنا الدنيا لأنه من زينتها؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ (الكهف:٤٦)، وقد وقع في حديث أبي سعيد أيضًا المخرج في «السنن»: «**الدنيا خضرة حلوة**» فيتوافق الحديثان ويحتمل أن تكون التاء للمبالغة».

- **الربيع**: الجدول.
- **حبطًا**: انتفاخ البطن من كثرة الأكل.
- **يُلِمُّ**: يقرب من الهلاك.
- **الخضرة**: ضرب من الكلأ يعجب الماشية.
- **امتدت خاصرتاها**: جانبا البطن من الحيوان (عظم جنباها من الشبع).
- **اجترَّت**: مضغت ما أخرجته من بطنها من العلف.
- **ثلطت**: ألقت ما في بطنها (الرجيع الرقيق)؛ ثم عادتْ فأكلت.

۞ **والمعنى**: أنها إذا شبعت فثقل عليها ما أكلت تحيلت في دفعه بأن تجتر فيزداد نعومة ثم تستقبل الشمس فتحمي بها فيسهل خروجه، فإذا خرج زال الانتفاع فسلمت.

قال الأزهري: «هذا الحديث فيه مثلان:

أحدهما- للمفرط في جمع المانع من إخراجها في وجهه - وهو ما تقدّم - أي: الذي يقتل حبطًا.

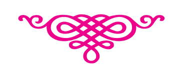
والثاني- المقتصد في جمعها وفي الانتفاع بها وهو آكلة الخضر». «الفتح» (١١/ ٢٥٢).

۞ وقد بيّن النبيُّ ﷺ أن سرَّ هوان الأمة وضعفها وتكالب الأمم عليها هو حبُّ الدنيا والرغبة عن الآخرة؛ ففي «سنن أبي داود»، و«مسند أحمد»، و«مسند الطيالسي»، و«التاريخ الكبير» للبخاري، والطبراني في «الكبير»[(١)] من طرق عن ثوبان

(١) أخرجه أبو داود [٤٢٩٧]، وأحمد (٥/ ٢٧٨)، والطيالسي [٩٩٢]، والبخاري في «**تاريخه**» (٣/ ٢/ ٣٥٣)، والطبراني [١٤٥٢] عن ثوبان مرفوعًا. =

مولى النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها**»، فقال قائل: ومن قلةٍ نحن يومئذٍ؟ قال: «**بل أنتم يومئذٍ كثير؛ ولكنكم غثاء كغثاء السيل؛ ولَيَنْزَعَنَّ الله من صُدور عدوكم المهابة منكم، وليذيقن الله في قلوبكم الوهن**»، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟! قال: «**حب الدنيا وكراهية الموت**».

وهذا إن دلّ فإنما هو دالٌّ على زهادته ﷺ في الدنيا واختياره الآخرة على الأولى لعلمه بمعائب الدنيا، فلم يرضها لنفسه ولا لمن يحبه من أمته؛ أعاذنا الله من فتنة الدنيا وعذاب الآخرة برحمته(١).



= **قلتُ**: وهو حديثٌ جيدٌ؛ كما قال الهيثميُّ في «المجمع» (٧/ ٢٣٠)، وقد صححه لطرقه وشواهده العلامة الألباني في «الصحيحة» [٩٥٨].

(١) قاله البيهقي في «الشعب» (٢/ ١٧٥) [١٤٧٧].

تعوُّذ النبيِّ صلى الله عليه وسلم من فتنةِ الغنى(١) وفتنةِ الفقرِ

ففي «الصحيحين»(٢) من حديث أم المؤمنين عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم، والمأثم والمغرم، ومن فتنة القبر، وعذاب القبر، ومن فتنة النار، وعذاب النار، ومن فتنة الغنى**(٣)**، وأعوذ بك من فتنة الفقر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، اللهم اغسل عني خطاياي بماء الثلج والبرد ونق قلبي من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، وباعد بيني وبين خطاياي، كما باعدت بين المشرق والمغرب**».

---

(١) وفي «سنن الترمذي» [٢٣٣٦]، وغيره بسندٍ حسنٍ عن كعب بن عياض أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إن لكل أمةٍ فتنة، وفتنة أمتي المال**».

بل و قال تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ ﴾ [التغابن: ١٥].

(٢) البخاري [٦٣٦٨]، ومسلم [٢٠٧٩].

وقد قال العلامة ابن القيم رحمه الله **في «مفتاح دار السعادة» (١/ ٤٢٠)**: «إن غنى المال قد يكون سبب هلاك صاحبه كثيرًا، فإنه معشوق النفوس، فإذا رأت من يستأثر بمعشوقها عليها سعت في هلاكه، كما هو الواقع، ثم قال: إن اللذة الحاصلة من غنى المال إما لذة وهمية، وإما لذة بهيمية، فإن صاحبه التذ بنفس جمعه وتحصيله فتلك لذة وهمية خيالية. وإن التذ بإنفاقه في شهواته فهي لذة بهيمية».

(٣) وفي رواية للبخاري [٦٣٧٧]: «**وشر فتنة الغنى، وشر فتنة الفقر**». **وقد قال الغزالي في «الإحياء»** (٣/ ٣٦٦ دار الحديث):

«ولما كانت الطباع مائلة إلى اتباع الشهوات القاطعة لسبيل الله، وكان المال مسهلًا لها، وآلة إليها، عظم الخطر فيما يزيد على قدر الكفاية، فاستعاذ الأنبياء من شره، حتى قال نبينا صلى الله عليه وسلم: «**اللهم اجعل قوت آل محمد كفافًا**» فلم يطلب من الدنيا إلا ما يتمحض خيره، وقال: «**اللهم أحيني مسكينًا، وأمتني مسكينًا، واحشرني في زمرة المساكين**».

قلت: وهو حديثٌ منازعٌ في تصحيحه وتضعيفه.

قال الغزالي؛ كما في «الفتح» (١١/ ١٨١) في مسألة فتنة الغنى والفقر: «فتنة الغِنَى الحرص على جمع المال، وحبه حتى يكسبه من غير حِلِّه، ويمنعه من واجبات إنفاقه وحقوقه، وفتنة الفقر يراد به: الفقر المدقع، الذي لا يصحبه خير، ولا ورع، حتى يتورط صاحبه بسببه فيما لا يليق بأهل الدين والمروءة، ولا يبالي بسبب فاقته على أي حرام وثب، ولا في أي حالة تورط».

وقيل: «المراد به: فقر النفس الذي لا يرده ملك الدنيا بحذافيرها، وليس فيه ما يدل على تفضيل الفقر على الغنى، ولا عكسه»اهـ.

قلت: وهذا محمولٌ على ما إذا خشي من المال فتنة، أما إذا سأل المرء ربه إياه؛ ليقوم بالإنفاق به، وكي لا يتكفف، ويسأل الناس شيئًا، فقد سأل رسول الله ﷺ ربَّهُ ذلك؛ كما في «صحيح مسلم»[(١)] من حديث ابن مسعود، أن رسول الله ﷺ كان يقول: «**اللهم إنّي أسألك الهدى والتقى والعفة والغنى**».

قال النووي: «أما العفاف والعفة، فهو: التنزه عما لا يباح، والكف عنه، والغنى هنا غنى النفس، والاستعفاف عن الناس، وعما في أيديهم»اهـ.

بل دعا الرسول ﷺ لأنس بن مالك بأن يكثر الله ماله[(٢)].

ففي «الصحيحين»[(٣)] من حديث أم سليم رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله! أنس خادمك، ادع الله له، قال: «**اللهم أكثر ماله وولده، وبارك له فيما أعطيته**». وهذا لمن لم يخش عليه الفتنة.

---

(١) مسلم (١٦/ ٤١) نووي.

(٢) وقد قال ﷺ: «**نعم المال الصالح للرجل الصالح**» وهو حديثٌ صحيحٌ. أخرجه أحمد (٤/ ٢٠٢)، وعند ابن ماجه [٢١٤١] عن يسار بن عبد الله الجهني أن النبي ﷺ قال: «**لا بأس بالغنى لمن اتقى...**» وقال في «الزوائد»: «إسناده صحيح».

(٣) البخاري (٢٩٨٢، ٦٣٧٩)، ومسلم [٢٤٨٠].

وفي فقه الحديث يقول الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفيه دليل لمن يفضل الغني على الفقير، ومن قال بتفضيل الفقير أجاب عن هذا: بأن هذا قد دعا له النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن يبارك له فيه، ومتى بورك فيه، لم يكن فيه فتنة، ولم يحصل بسببه ضرر، ولا تقصير في حق، ولا غير ذلك من الآفات التي تتطرق إلى سائر الأغنياء، بخلاف غيره» ا.هـ.



فَصْلٌ
مِنْ أَقْوَالِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الزُّهْدِ

وهـذا مزيدٌ - على ما تقدَّم - من أقوال سـيد الورعين وإمام الزاهدين؛ في التزهيد من الدنيا، وبيان حقارتها وخستها وهوانها، والتعظيم من أمر الآخرة.

١ - أخـرج الشـيخان[(١)] مـن حديـث أنـس قـال: «خرج رسـول ﷺ إلى الخنـدق، فـإذا المهاجرون والأنصار يحفـرون في غداةٍ باردة، فلم يكن لهـم عبيد يعملون ذلـك لهـم، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع، قال: «**اللهم إن العيش عيش الآخرة... فاغفر اللهم للأنصار والمهاجرة**».

فقالوا مجيبين: «نحن الذين بايعوا محمدًا... على الجهاد ما بقينا أبدًا».

زاد في روايـة[(٢)]: «قـال: يؤتـون بملء كفي من الشـعير، فيُصنع لهم بإهالةٍ سـنخة توضع بين يدي القوم، والقوم جياع وهي بشعة في الحلق ولها ريح منتن».

إهالة: دهن يؤتدمُ به (سواء كان زيتًا أو سمنًا أو شحمًا).

سنخة: أي تغير لونها وطعمها (من قدِمها).

ريح منتن: عتيقة جدًّا حتى عفّنت وأنتنت. «الفتح» (٧/ ٤٥٦).

٢ - وفي «صحيح البخاري»[(٣)] من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: أخذ رسـول الله ﷺ بمنكبي؛ فقال: «**كن في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابر سبيل**».

---

(١) البخاري [٢٨٣٤]، ومسلم [١٨٠٥].

(٢) البخاري [٤١٠٠].

(٣) برقـم [٦٤١٦]، وفي روايـة عنـد الترمـذي [٢٣٣٣]، وهناد في «الزهد» [٥٠٠]، وابن أبي شـيبة (٧/ ٧٥) بـاب (مـا ذكـر عـن نبينا في الزهـد) من طريق ليث عـن مجاهد عن ابن عمـر قال: أخذ رسـول الله ﷺ ببعض جسـدي؛ فقال: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وعد** =

وكان ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك».

المنكب: مجمع العضد والكتف.

قال الحافظ في «الفتح» (١١/٢٣٨): «قال ابن بطال:.. وفي ذلك إشارة إلى إيثار الزهد في الدنيا وأخذ البلغة منها والكفاف، فكما لا يحتاج المسافر إلى أكثر مما يبلغه إلى غاية سفره؛ فكذلك لا يحتاج المؤمن في الدنيا إلى أكثر مما يبلغه المحل».

وقال غيره:

هذا الحديث أصل في الحث على الفراغ عن الدنيا، والزهد فيها، والاحتقار لها، والقناعة فيها بالبلغة.

وقال النووي: «معنى الحديث: لا تركن إلى الدنيا، ولا تتخذها وطنًا، ولا تحدث نفسك بالبقاء فيها، ولا تتعلق منها بما لا يتعلق به الغريب في غير وطنه».

٣- وفي «صحيح مسلم» برقم [٢٨٥٨] من حديث المستورد بن شداد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«ما الدنيا في الآخرة إلا مثلُ ما يجعل أحدكم إصبعه هذه في اليم فلينظر بم يرجع»**.

اليم: البحر.

قال النووي في «شرح مسلم» (١٧/١٩٢): «ومعنى الحديث: ما الدنيا بالنسبة إلى الآخرة في قصر مدتها، وفناء لذاتها، ودوام الآخرة، ودوام لذاتها ونعيمها، إلا كنسبة الماء الذي يَعْلق بالإصبع إلى باقي البحر».

=**نفسك في أهل القبور**» فقال لي ابن عمر: «إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء وإذا أمسيت..». وفي سنده ضعف، وقوّاه بطرقه العلامة الألباني في «الصحيحة» برقم [١١٥٧].

وقال ابن القيم في «عدة الصابرين» ص [٤٥٥]: «تمثيله لها ﷺ بمُدخل إصبعه في اليم، فالذي يرجع به إصبعه من البحر هو مثل الدنيا بالنسبة إلى الآخرة، وهذا من أحسن الأمثال؛ فإن الدنيا منقطعة فانية ولو كانت مدتها أكثر ممّا هي. والآخرة أبدية لا انقطاع لها، ولا نسبة للمحصور إلى غير المحصور، بل لو فرض أن السموات والأرض مملوءتان خردلًا، وبعد كل ألف سنة طائر ينقل خردلة، لفنى الخردل، والآخرة لا تفنى، فنسبة الدنيا إلى الآخرة في التمثيل كنسبة خردلة واحدة إلى ذلك الخردل» انتهى.

٤- وفي «صحيح مسلم» برقم[٤٩٥٧] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ مرّ بالسوق، داخلًا من بعض العالية، والناس كنفهُ، فمرّ بجدي أسك ميت، فتناوله؛ فأخذه بأذنه، ثم قال: «**أيُّكُم يحبُّ أن هذا له بدرهم؟**» فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟ قال: «**أتحبون أنه لكم؟**» قالوا: والله! لو كان حيًّا كان عيبًا فيه؛ لأنه أسك، فكيف وهو ميت؟ فقال: «**فوالله؛ للدنيا أهون على الله من هذا عليكم**».

معاني:

- **كنفه**: جانبه.
- **أسك**: مقطوع الأذن أو صغير الأذنين.

٥- وفي «صحيح مسلم» برقم [٢٩٥٨] من حديث مطرف قال: أتيت النبي ﷺ؛ وهو يقرأ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر:١] قال: «**يقول ابن آدم: مالي. مالي**». قال: «**وهل لك يا ابن آدم! من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت؟**».

٦- وفي لفظ عند مسلم أيضًا [٢٩٥٩] من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**يقول العبدُ: مالي. مالي. إنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أُعطي فاقتنى، وما سوى ذلك فهو ذاهب، وتاركه للناس**».

معاني:

- **فاقتنى**: ادخره لآخرته؛ أي: ادخّر ثوابه.

وفي رواية: «**فأقنى**» أي: أرضى. بحذف التاء. قاله النووي (١٨/ ٩٤).

٧- وفي «صحيح البخاري» برقم[٦٤٤٩] من حديث: عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء**».

وأخرجه مسلم في «الصحيح» [٢٧٣٧] عن ابن عباس رضي الله عنهما.

قلت: والفقر وحده ليس سببًا لدخول الجنة لكن يشترط مع الفقر الصلاح؛ وعليه؛ ففيه مزية وفضيلة للفقر.

قال الحافظ في «الفتح» (١١/ ٢٨٤): «ظاهر الحديث التحريض على ترك التوسع من الدنيا؛ كما أن فيه تحريض النساء على أمر الدين لئلا يدخلن النار...».

٨- وفي «الشعب» للبيهقي (١٣/ ٣٤،٣٥)، وابن أبي عاصم في «الزهد» رقم[١٦٩]، وأحمد في «الزهد» ص[١٩٠]: وغيرهم من طريق (الحسن، ومورق، وأبي سفيان وغيرهم) كلهم قالوا: دخل سعد بن مالك على سلمان يعوده، فقال: أبشر يا أبا عبد الله مات رسول الله ﷺ وهو عنك راضٍ؛ فقال سلمان: فكيف يا سعد، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ليكن بلغةُ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب حتى يلقاني**» ولا أدري ما هذه الأساود حولي.

قـال: فبكينا جميعًا. وأخرجه أيضًا وكيع في «الزهد» رقم [٦٧]، وهو صحيح، وله شـاهدٌ عن خباب مرفوعًـا؛ ولفظه: «**إنّما يكفي أحدكم مـن الدنيا كزاد الراكب**» أخرجه ابن أبي عاصم في «الزهد» رقم [١٧٠]، وسنده رجاله ثقات.

وهو عند البيهقي في «الشعب» (١٣/ ٣٨،٣٩) وابن أبي شيبة «المصنف» (٧/ ٧٦).
فهذا هو الذي يكفي العبد ويغنيه أن يسير في هذه الدنيا مسير المسافر في أحماله وأثقاله وفي سيره وحلِّهِ وترحاله؛ فكيف! والمساكن والدور والأموال والسيارات والعقارات..!!

ألا فليقنـع كلُّ امـرئ بما قسـم الله له وألا ينظـر إلى من فوقهُ؛ وليمتثـل وصية إمام الزاهدين نبينا محمد ﷺ التي تقدمت.

٩- وفي «صحيح مسلم» رقم[١٠٥٤] من حديث عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**قد أفلح من أسلم ورزق كفافًا وقنعه الله بما آتاه**».

وفي لفظٍ من حديث فضالة بن عبيد الأنصاري مرفوعًا: «**طوبى لمن هدي للإسلام، وكان عيشه كفافًا وقنع**»[(١)].

- **كفافًا**: أي بقدر الحاجة. - **وقنع**: أي رضي به.

قلتُ: وقد بوب النوويُّ لحديث ابن عمرو بقوله: «بابٌ في الكفاف والقناعة».

وقال في «شرحه على مسلم» (١٤٥/٧): «الكفاف؛ الكفاية بلا زيادة ولا نقص».

قـال المنـاويُّ في «الفيـض» (٣٧٢/٤): «فلـم يطلب زيـادة عليه؛ لعلمـه بأن رزقه مقسـوم لـن يعدو ما قـدر له، ولهذا قيل لحكيم: مـا الغنى؟ قال: قلـة تمنيك، ورضاك بما يكفيك».

---

(١) أخرجـه الترمـذي [٢٣٤٩]، وأحمـد (٦/ ١٩)، وفي «الزهـد» ص [٨]، والنسـائي في «الكبرى» [١١٧٩٣] بسندٍ صحيحٍ.

١٠- وفي «الصحيحين»[(١)] من حديث أبي سعيد الخدري؛ أن ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم. حتى إذا نَفِدَ ما عنده قال: «**ما يكن عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغنِ يغنه الله، ومن يصبر يصبره الله، وما أعطى أحدٌ من عطاءٍ خيرٌ وأوسعُ من الصبر**».

قال النووي (٧/١٤٥): «وفي هذا الحديث الحث على التعفف والقناعة والصبر على ضيق العيش، وغيره من مكاره الدنيا»ا.هـ.

وعلَّق البخاري قبل هذا الحديث بأثر عمر: «وجدنا خير عيشنا بالصبر».

١١- وفي «صحيح مسلم» برقم [٢٩٧٩] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وذلك من طريق أبي عبد الرحمن الحبلي قال: «سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص؛ وسأله رجل؛ فقال: ألسنا من فقراء المهاجرين؟ فقال له عبد الله: ألك امرأة تأوي إليها؟ قال: نعم، قال: ألك مسكن تسكنه؟ قال: نعم، قال: فأنت من الأغنياء. قال: فإن لي خادمًا. قال: فأنت من الملوك. قال أبو عبد الرحمن، وجاء ثلاثة نفر إلى عبد الله بن عمرو بن العاص، وأنا عنده؛ فقالوا: يا أبا محمد: إنا والله ما نقدر على شيء؛ لا نفقةٍ ولا دابةٍ ولا متاعٍ، فقال لهم: ما شئتم؛ إن شئتم رجعتم إلينا فأعطيناكم ما يسَّر الله لكم، وإن شئتم ذكرنا أمركم للسلطان، وإن شئتم صبرتم؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفًا**» قالوا: فإنا نصبر، لا نسأل شيئًا».

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٦٩، ٦٤٧٠)، ومسلم [١٠٥٣]. وفي رواية: «**ومن يتصبر يصبره الله**».

١٢- وفي «السنن»(١) من حديث عبد الله بن مغفل قال: «**نهى رسول الله ﷺ عن الترجل إلا غبًّا**».

- **الترجل**: تمشيط الشعر وتنظيفه وتسريحه وتحسينه.

- **غبًّا**: يومًا بعد يوم (يفعل يومًا ويترك يومًا).

والمراد: النهي عن المواظبة والمداومة، والمبالغة في التزين، والتهالك به، والاشتغال بالترفه، وهذا لا يناقضه الحديث الآخر، ولفظه: «**من كان له شعر فليكرمه**»؛ لأن النظافة للشعر مطلوبة؛ ولكن ينبغي ألا تكون بهذه المبالغة بحيث يقف كثيرًا أمام المرآة، فهذا غير محمود لما يدخل ذلك من تضييع لأوقاتٍ، المسلمُ أحوج إليها، وغير ذلك.

۞ وحديث: «**من كان له شعر فليكرمه**» أخرجه أبو داود [٤١٦٣]، وغيره من حديث أبي هريرة مرفوعًا، وحسَّن إسناده الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٠/ ٣٦٨) ثم

---

(١) أخرجه الترمذي [١٧٥٦]، وأبو داود [٤١٥٩]، والنسائي (٨/ ١٣٢)، وأحمد (٤/ ٨٦) من طريق: يحيى القطان عن هشام بن حسان عن الحسن البصري عنه به، وقد أعلَّه الذهبيُّ في «السير» (٦/ ٣٦٣)، فقال بعد هذا الطريق: «وله علة؛ فقد رواه حماد بن سلمة عن قتادة عن الحسن مرسلًا، ورواه بشر بن المفضل عن يونس عن الحسن وابن سيرين قولهما «وهذا أقوى».
قلتُ: وأشار إلى هذه العلة النسائي في «الكبرى» [٩٣١٦]، وقال المناويُّ في «الفيض» (٦/ ٣١١): «قال أبو الوليد: وهذا وإن رواه ثقات، لكنه لا يثبت؛ لأن رواية الحسن عن عبد الله بن مغفل فيها نظر». وقال المنذري: «في الحديث اضطراب». أما تصحيح من صححه من أهل العلم؛ فلعله لشواهده؛ فله شاهدٌ عند الترمذي في «الشمائل» [٣٦]، من حديث حميد بن عبد الرحمن عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ: «أن النبي ﷺ كان يترجل غبًّا»، وحسنه العراقي في «المغني» كما في «تخريج الإحياء» (١/ ٨٦)، وصححه النوويُّ في «المجموع» (١/ ٢٩٣)، وابن حجر في «الفتح» (١٠/ ٣٦٧)، وله شاهدٌ عند أحمد (٦/ ٢٢)، وأبي داود [٤١٦٠]، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: «إن رسول الله ﷺ كان ينهانا عن كثير من الإرفاه» وجوده العراقي في «المغني» (٢/ ١١١٣).
والإرفاه: الترجل كل يوم.

قال: «وله شاهدٌ من حديث عائشة في «الغيلانيات» وسنده حسن أيضًا»، وكذا حسنه النووي في «المجموع» (١/ ٢٩٣).

قلتُ: وفيه ابن أبي الزناد؛ لا يحتج به؛ لذا قال العراقيُّ في «المغني» (١/ ٨٦): «وليس إسناده بالقوي». وعدَّ الذهبي في «الميزان» (٢/ ٥٧٦) الحديث من مناكيره؛ لكنه متابع من ابن أبي ذئب كما في جزء أبي نعيم: «تسمية ما انتهى إلينا من الرواة عن سعيد ابن منصور» [٥٨]، ولعل التصحيف وارد هنا في اسم ابن أبي ذئب، والله أعلم، خاصة وقد ورد من طرقٍ أخرى عن سعيد بن منصور بإثبات ابن أبي الزناد، وليس ابن أبي ذئب؛ كما في «المعجم الأوسط» للطبراني (٨/ ٢٢٦) والبيهقي في «الشعب» (٥/ ٢٢٤)، أما شاهدُهُ، وهو حديث عائشة؛ فأخرجه البيهقي في «الشعب» (٥/ ٢٢٤)، والطحاوي في «المشكل» (٨/ ١٤٠)، وأبو بكر الشافعي في «الغيلانيات» [٧٦٦]، وفيه ابن إسحاق وهو مدلس قد عنعن. وثم شواهد أخرى فيها اختلاف، أوردها البيهقي في «الشعب» (٦٤٥٧-٦٤٦١)؛ **فالطرقُ جميعها لا تخلو من مقال، والله أعلم.**

١٣- وفي «صحيح مسلم» برقم [٢٩٥٦] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر**»[1]؛ فجعل التشديد والتضييق

---

(١) قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «معناه: أن كل مسجون ممنوع في الدنيا، من الشهوات المحرمة والمكروهة، مكلف بفعل الطاعات الشاقة؛ فإذا مات استراح من هذا، وانقلب إلى ما أعد الله تعالى له من النعيم الدائم، والراحة الخالصة من النقصان، وأما الكافر فإنما له من ذلك ما حصل في الدنيا، مع قلته، وتكديره بالمنغصات، فإذا مات، صار إلى العذاب الدائم وشقاء الأبد».

وكثيرًا ما شاهدنا هذا ورأيناه رأي العين، بعضهم يسافر إلى ألمانيا أو إيطاليا وغيرها من دول الكفر للعمل هناك، (والله أعلم بما يعمل!!)، ثم تراه يشقى من أجل تحصيل المال ليبني بها العمارات والدور والمحلات، فإذا هو قد وصلنا خبره، وأنه قد مات! مات قبل أن يرى ثمرة ما جناه وحصله وأضاع عمره من أجله!!، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

على أهل الإيمان حتى يحبوا لقاء الله وجنته ورضوانه، وجعلت الدنيا جنة للكافر حتى يكرهوا لقاء الله: ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة: ٨٥].

١٤- وفي «مسند أحمد» (٦/ ١٨) و«سنن الترمذي» برقم [٢٣٦٨] من حديث فضالة بن عبيد أن رسول الله ﷺ: كان إذا صلى بالناس يخر رجالٌ من قامتهم في الصلاة من الخصاصة وهم أصحاب الصفة حتى يقول الأعراب: هؤلاء مجانين أو مجانون؛ فإذا صلى رسول الله ﷺ انصرف إليهم فقال: «**لو تعلمون ما لكم عند الله لأحببتم أن تزدادوا فاقة وحاجة**» قال فضالة: وأنا يومئذ مع رسول الله ﷺ.

قال الترمذي: «حديث صحيح».

قلتُ: وهو كما قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فالسند صحيح.

والخصاصة: الفاقة والجوع الشديد. قاله النووي في «الرياض» رقم [٥١٥].

١٥- وفي «الصحيحين» البخاري [٦٤٤٦]، ومسلم [٧٢٦] من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**ليس الغنى عن كثرة العرض. ولكن الغنى غنى النفس**».

فغنى النفس هو الكفاف.

قال الحافظ في «الفتح» (١١/ ٢٧٧): «قال ابن بطال: ليس حقيقة الغنى كثرة المال؛ لأن كثيرًا ممن وسَّع الله عليه في المال، لا يقنع بما أوتي، فهو يجتهد في الازدياد، ولا يبالي من أين يأتيه، فكأنه فقير؛ لشدة حرصه، وإنما حقيقة الغنى غنى النفس، وهو من استغنى بما أوتي، وقنع به، ورضي، ولم يحرص على الازدياد، ولا ألح في الطلب، فكأنه غني».

ونقل الحافظ عن القرطبي قوله:

«**معنى الحديث**: إن الغنى النافع، أو العظيم، أو الممدوح، هو غنى النفس، وبيانه أنه إذا استغنت نفسه كفَّت عن المطامع فعزت، وعظمت، وحصل لها من الحظوة والنزاهة والشرف، والمدح، أكثر من الغِنَى الذي يناله من يكون فقير النفس، لحرصه، فإنه يورطه في رذائل الأمور، وخسائس الأفعال، لدناءة همته وبخله، ويكثر من يذمه من الناس، ويصغر قدره عندهم، فيكون أحقر من كل حقير، وأذل من كل ذليل.

والحاصل: أن المتصف بغنى النفس يكون قانعًا بما رزقه الله[1]، لا يحرص على الازدياد لغير حاجة، ولا يلح في الطلب، ولا يلحف في السؤال، بل يرضى بما قسم الله له، فكأنه واجد أبدًا، والمتصف بفقر النفس على الضد منه، لكونه لا يقنع بما أعطي، بل هو أبدًا في طلب الازدياد من أي وجه أمكنه، ثم إذا فاته المطلوب حزن وأسف، فكأنه فقير من المال؛ لأنه لم يستغن بما أُعطي، فكأنه ليس بغني، ثم غنى النفس إنما ينشأ عن الرضا بقضاء الله تعالى، والتسليم لأمره، علمًا بأن الذي عند الله خير وأبقى، فهو معرض عن الحرص والطلب، وما أحسن قول القائل:

غنى النفس ما يكفيك من سدِّ حاجة ... فإن زاد شيئًا عاد ذاك الغنى فقرًا

وقال الطيبي: «يمكن أن يراد بغنى النفس حصول الكمالات العلمية والعملية، وإلى ذلك أشار القائل:

ومن ينفق الساعات في جمع ماله ... مخافة فقر فالذي فعل هو الفقر»

أي: ينبغي أن ينفق أوقاته في الغنى الحقيقي، وهو تحصيل الكمالات، لا في جمع المال، فإنه لا يزداد بذلك إلا فقرًا. انتهى.

---

(١) كما سبق في الحديث الصحيح: «**قد أفلح من أسلم ورزق كفافًا وقنعه الله بما آتاه**».

ثـم عقَّـب الحافظ بقوله: وهـذا وإن كان يمكن أن يراد، لكن الـذي تقدم أظهر في المراد، وإنما يحصل غنى النفس بغنى القلب، بأن يفتقر إلى ربه في جميع أموره، فيتحقق أنه المعطي المانع، فيرضى بقضائه، ويشكره على نعمائه، ويفزع إليه في كشف ضرائه، فينشأ عن افتقار القلب لربه غنى نفسه عن غيره، وبه تعالى.

والغنى الوارد في قوله: ﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾ [الضحى: ٨] يتنزل على غنى النفس؛ فإن الآيـة مكية، ولا يخفى ما كان فيه النبي ﷺ قبل أن تفتح عليه خيبر، وغيرها من قلة المال، والله أعلم.ا.هـ كلام الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١٦- وعـن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسـول الله ﷺ قـال: «**يكبر**[(١)] **ابن آدم، ويكبر معه اثنان: حب المال، وطول العمر**».

أخرجه البخاري [٦٤٢١]، وأحمد (٢/ ٣٥٨،٤٤٧).

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يزال قلب الكبير شابًّا في اثنتين: في حب الدنيا، وطول الأمل**»[(٢)].

أخرجه البخاري [٦٤٢٠]، ومسلم [١٠٤٦].

قـال الحافـظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في «الفتح» (١١/٢٤٥)**: «قال النووي: هذا مجاز واستعارة، ومعناه أن قلـب الشـيخ كامل الحـب للمال؛ متحكـم في ذلك، كاحتكام قوة الشـاب في شبابه».

---

(١) في رواية للترمذي [٢٤٤٢]: «**يهرم ابن آدم، ويشب منه اثنتان: الحرص على العمر، والحرص على المال**».

(٢) أي: محبة طول العمر، كما في حديث أنس السابق.

وفي روايـة للترمـذي [٢٤٤١]، وأحمـد (٢/ ٣٧٩) مـن طريق أبي صالح عـن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**قلـب الشـيخ شـاب على حب اثنتين: طول الحياة، وكثرة المال**» وهـو عند ابن ماجه [٤٢٣٣] من طريق: العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قال عياض: «هذا الحديث فيه من المطابقة، وبديع الكلام الغاية، وذلك أن الشيخ من شأنه أن تكون آماله، وحرصه على الدنيا قد بليت على بلاء جسمه، إذا انقضى عمره، ولم يبق له إلا انتظار الموت، فلما كان الأمر بضده ذم. قال: والتعبير بالشاب إشارة إلى كثرة الحرص وبعد الأمل الذي هو في الشباب أكثر، وبهم أليق، لكثرة الرجاء عادة عندهم في طول أعمارهم ودوام استمتاعهم ولذاتهم في الدنيا..».

وقال غيره: «الحكمة في التخصيص بهذين الأمرين: أن أحب الأشياء إلى ابن آدم: نفسه، فهو راغب في بقائها، فأحب لذلك طول العمر، وأحب المال؛ لأنه من أعظم الأسباب في دوام الصحة، التي ينشأ عنها غالبًا طول العمر، فكلَّما أحس بقرب نفاد ذلك، اشتد حبه له، ورغبته في دوامه».

١٧- وأخرج البخاري [٦٤٣٦]، ومسلم [١٠٤٩] عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**لو أن لابن آدم واديان من مال؛ لابتغى ثالثًا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب**».

۞ وفي رواية [٦٤٣٨]: «**لو أن ابن آدم أُعطي واديًا مَلْئًا من ذهب، أحب إليه ثانيًا، ولو أُعطي ثانيًا، أحب إليه ثالثًا، ولا يسد جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب**»(١).

وانظر: «شرح النووي» (٧/ ١٣٩)، و«سنن الترمذي» حديث[٢٤٤٠].

١٨- وفي «صحيح البخاري» رقم[٢٨٨٧] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة، إن أُعطي**

---

(١) قال البخاري في «صحيحه» [٦٤٤٠]: «وقال لنا أبو الوليد، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس، عن أبي قال: «كنا نرى هذا من القرآن حتى نزلت: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر :١]».



رضي، وإن لم يُعط لم يرض» وفي لفظٍ: «**وإن لم يُعط سخط**». وزاد في رواية: «**تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش**».

معاني:

- **تعس**: ضد سعد. يعني: شقي، والتعس هو الشر، وقيل: أن يخر على وجهه.

- **انتكس**: أي: عاود المرض.

- **وإذا شيك فلا انتقش**: المعنى: إذا أصابته الشوكة فلا وجد من يخرجها منه بالمنقاش، وهذا دعاء من النبي ﷺ على من جعلوا الدرهم والدينار حياتهم حتى صاروا عبيدًا له.

بل ترى كثيرًا من عُبَّاد المال يعيشون حياة التعساء؛ ولم يهنؤوا بعيش أبدًا. همٌّ ونكد، وضعفٌ ومرضٌ؛ فالمرء فيهم تراه مبتلى بالأمراض التي تسحب كل أمواله التي جمعها فلا يبقى له منها شيء، ولا قوة إلا بالله.

١٩ -وفي «الصحيحين» البخاري [٦٤٩٠] ومسلم [٢٩٩٣] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا نظر أحدكم إلى من فُضِّل عليه في المال، والخلق؛ فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فضل عليه**».

وفي رواية لمسلم: «**انظروا إلى من أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله**».

تزدروا: تحتقروا وتنتقصوا.

٢٠- وفي «الأدب المفرد» [٣٠٠]، و«سنن الترمذي» [٢٣٤٦]، وابن ماجه [٤١٤١]، و«مسند الحميدي» [٤٣٩] من حديث عبيد الله بن محصن أن رسول الله ﷺ قال:

«من أصبح منكم آمنًا في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه؛ فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها» وهذا الحديث لا يصح عن النبي ﷺ (١).

٢١- وقال ﷺ: **«غدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم - أو: موضع قدم من الجنة؛ خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما فيها ولملأت ما بينهما ريحًا، ولنصيفها - يعني: الخمار - خير من الدنيا وما فيها»**. عند البخاري [٦٥٦٨]، وعنده أيضًا [٢٧٩٦] بلفظ: **«ولقاب قوس أحدكم في الجنة خير مما طلعت عليه الشمس»**. كلُّ هذا؛ تحفيزًا للعمل للدار الآخرة والجنة؛ نسأل الله أن يرزقنا نعيمها؛ إنه خير مسؤول.

---

(١) **قلتُ**: وفي إسناد عبد الرحمن بن أبي شميلة وهو مجهول؛ قال ابن القطان في «بيان الوهم والإيهام» (٣/ ٦٠) معلقًا على قول الترمذي: «حسن غريب»؛ فقال ابن القطان: «ولم يبين لم لا يصح، وذلك أنه من رواية مروان بن معاوية قال: حدثنا عبد الرحمن بن أبي شميلة وهو أيضًا لا تعرف حاله، وإن كان قال فيه ابن معين وأبو حاتم: مشهور، فإنما يعنيان برواية حماد بن زيد عنه، وكم من مشهور لا تقبل روايته».

قلتُ: وفي الإسناد علةٌ أخرى؛ ألا وهي جهالة سلمة بن عبيد الله بن محصن؛ كما قال غير واحدٍ من أهل العلم. قال الذهبي في «الميزان» (٢/ ١٩١): «قال أحمد: لا أعرفه، ولينه العقيلي» ثم أورد هذا الحديث، وجهله الحافظ في «التقريب»، وقال العقيلي في «الضعفاء» (٢/ ١٤٦): «وقد رُوي مثل هذا الكلام عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ بإسنادٍ يشبه هذا في اللين».

وحديث أبي الدرداء عند ابن حبان في «صحيحه» [٦٧١] وهو ضعيفٌ جدًّا؛ كما بينه العلامة الألباني في «الصحيحة» (٥/ ٣١٧)، وله شاهدٌ عن ابن عمر، أخرجه الطبراني في «الأوسط» [١٨٢٨]، ولكن فيه عطية - وهو العوفي - وهو ضعيف مدلس، وفيه كذلك علي بن عابس ضعيفٌ أيضًا، وكذلك فضيل بن مرزوق صدوق يهم؛ كما قال الحافظ؛ **فالخلاصة أن هذا الحديث كل طرقه لا تنهض لتقويته**، والله أعلم.



أبوابٌ في زهدِه ﷺ

في الملبس والمطعم والمسكن ونحو ذلك

عن عمرو بن العاص قال – وهو على المنبر – للناس: «**ما أبعد هديكم من هدي نبيكم ﷺ أما هو، فأزهد الناس في الدنيا، وأما أنتم فأرغب الناس فيها**»

أخرجه أحمد في «المسند» رقم [١٧٨١٥] بسندٍ صحيح.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «رسولُ الله ﷺ إمام الزهد، كان لا يردُّ موجودًا، ولا يتكلف مفقودًا، بل إن حضر لحم دجاجٍ أكله، أو لحم غنم أكله، أو حلواء، أو عسل، أو فاكهة أكله، وإن لم يجد شيئًا لم يتكلفه،

وكان إذا حضر طعامًا، فإن اشتهاه أكله وإلا تركه، ولا يتكلف ما لا يحضر.

وربما ربط على بطنه الحجر من الجوع، وقد كان يقيمُ الشهر والشهرين لا يوقد في بيته نار». «منهاج السنة» (٧/ ٤٩٠، ٤٩١).

وقال أيضًا في رسالته في «الزهد والورع» ص [٧٤]: «وكان ﷺ عادته في المطعم أنه لا يردُّ موجودًا، ولا يتكلف مفقودًا، ويلبس ما تيسر من قطنٍ وصوفٍ وغير ذلك، وكان القطنُ أحبَّ إليه».



زهده صلى الله عليه وسلم في المطعم

أما عن زهده صلى الله عليه وسلم في المطعم، فقد تواردت نصوصٌ كثيرةٌ من السُّنَّة الصحيحة التي تبين كيف كان عيشُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعامُهُ، وقد خرج من الدنيا ولم يملأ بطنه في يومٍ واحدٍ من طعامين[(١)]! مع إمكان حصول التوسع والتبسط في الدنيا له، ولكنه صلى الله عليه وسلم آثر اختيار نعيم الآخرة على نعيم الدنيا، وآثر الباقي على الفاني.

فالدنيا كالثلج يذوب والآخرة كالدر يبقى.

۞ وإليك طائفةً من النصوص النبوية في ذلك:

١ - ففي «الصحيحين»[(٢)] من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت لعروة: «ابن أختي[(٣)] إن كنا لننظر إلى الهلال ثلاثة أهلةٍ في شهرين، وما أوقدت في أبياتِ رسول الله صلى الله عليه وسلم نار». فقلت: ما كان يُعيشكم[(٤)]؟ قالت: الأسودان؛ التمر والماء[(٥)]، إلا أنه قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيرانٌ من الأنصار كان لهم منائح، وكانوا يمنحون

---

(١) أما في أزماننا؛ فالهمم موجهةٌ إلى نفخ البطون بأنواع الأطعمة - إلا من رحم الله - ولن تجد في هذه الأيام منْ تُقدَّم إليه الأطعمة بألوانها وأشكالها لها فيعرض عنها أو يأخذ ما يكفيه منها أو ما يقيم صلبه ويعينه على العبادة؛ بل شهوة البطون قد غلبت وتمكنت؛ فهل من مدَّكر؛ نسأل الله القصد، وعليك أن تنظر في حال نبيك صلى الله عليه وسلم في عيشه ومأكله؛ فهو خير أسوة وقدوة.

(٢) البخاري [٦٤٥٩]، وكذا [٢٥٦٧]، ومسلم [٢٩٧٢] [٢٨].

(٣) أي: يا ابن أختي؛ لأن أمه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهم.

(٤) في رواية: «ما كان طعامكم؟».

(٥) والسواد للتمر دون الماء، فوصفا بوصف واحد تغليبًا. **قال الحافظ (٥/ ٢٣٥)**: «هو على التغليب، وإلا فالماء لا لون له، ولذلك قالوا: الأبيضان اللبن والماء».

رسـول الله ﷺ من أبياتهم[(١)] فيسقيناه»؛ أي: فيسـقينا منه. والمنائح: جمع منيحة وهي العطية والهبة.

- قولـه: «**ثلاثـة أهلة**» مفسر عند مسـلم: «الهلال ثم الهلال ثم الهـلال ثلاثة أهلة في شهرين».

قـال الحافـظ (٥/٢٣٥): «ولا شـك أن أمر العيش نسـبي، ومن لا يجـد إلا التمر أضيـق حـالًا ممن يجد الخبز مثلًا، ومـن لم يجد إلا الخبز أضيق حالًا ممـن يجد اللحم مثلًا، وهذا أمرٌ لا يدفعه الحس، وهو الذي أرادات عائشة» انتهى.

قلـت: ومـن وجد لحمًا أو خبـزًا مثلًا، فآثر الخبـز على اللحم وهو يجـد من اللذة في ذلك؛ فلا شـك - إن تحمَّل - أنه أفضل من الآخر، وأن ذلك سـبيل إلى الزهد في الدنيا، وقصر الأمل فيها، وترك التكلف لأجلها، والعون على العبادة. وانظر: «تفسير القرطبي» (الأعراف:٣٢/ جـ٣).

والأمر يختلف في مدى التحمل والصبر من شخصٍ لآخر.

۞ فمنهم من يطيق خشن المأكل والمطعم.

۞ ومنهم من لا يتحمل التخشـن، ويهتم بحسـن المطعم من غير زيادة في التنعم والتبسـط وقصد الالتـذاذ؛ فهذا لا حرج فيـه، ولا يخرجُهُ كذلك عـن الزهد، لكنه دون الأول؛ فإيثـار الجـوع والتخشـن في العيش مع القـدرة وعدم الضرر أعـلى وألذ. وانظر: «مختصر منهاج القاصدين» لابن قدامة المقدسي، و«جامع العلوم» لابن رجب ص[٢٩٣]، وكما تقدم فهذه هي حالة نبينا ﷺ، من إيثاره الباقي على الفاني[(٢)].

(١) في رواية: «**من ألبانهم**».

(٢) وهذا هو الغالب في حياته ﷺ ومعيشته؛ لكنه إن تيسر له أي مطعوم قبلَهُ ولم يرده، وإن لم يتيسر لم يتكلّف؛ فصلاة الله وسلامه عليه. **قال أبو الحسن علي بن المفضل المقدسي:** «إنه لم ينقل=

ومن هذه الأحاديث أيضًا:

٢- في «صحيح البخاري» رقم[٥٣٨٥]، [٦٤٥٧ وهذا لفظه]، من حديث قتادة قال: كنا نأتي أنس بن مالك وخبّازه قائم، وقال: «كلوا فما أعلم النبي ﷺ رأى رغيفًا مرققًا حتى لحق بالله، ولا رأى شاة سميطًا[1] بعينه قط».

رغيفًا مرققًا: أي ملينًا محسنًا؛ فلم يكن عندهم مناخل ينخلونه.

٣- وفي «صحيح مسلم» [٢٩٧٤] من حديث عائشة زوج النبي ﷺ قالت رضي الله عنها: «لقد مات رسول الله ﷺ وما شبع من خبزٍ وزيتٍ في يومٍ واحدٍ مرتين» وفي رواية: «من خبز لحم».

= عن النبي ﷺ أنه امتنع عن طعام لأجل طيبه قطّ(*)، بل كان يأكل الحلوى والعسل والبطيخ والرطب، وإنما يكره لما فيه من التشاغل بشهوات الدنيا عن مهمات الآخرة، والله تعالى أعلم». قال القرطبي: «وقد كره بعض الصوفية أكل الطيبات...» قال: «وقول الله عز وجل أولى ما امتُثل واعتمد عليه. قال الله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾ [الأعراف: ٣٢]، وكان ﷺ يأكل البطيخ بالرطب ويقول: «**يكسر حرَّ هذا بردَ هذا، وبرد هذا بحرِّ هذا...**» انتهى المراد من تفسيره لآية [الأعراف: ٣٢].

(*) **قال ابن تيمية في «الاستقامة» (١/ ٣٤٠)**: «والتحقيق أن العمل لا يمدح ولا يذم لمجرد كونه لذة، بل إنما يُمدح ما كان لله أطوع، وللعبد أنفع، سواء كانت فيه لذة أو مشقة؛ فرُبَّ لذيذٍ هو طاعة، ومنفعة، ورب مشق هو طاعة ومنفعة، ورب لذيذ أو مشق صار منهيًّا عنه.. كما يُستعان بالأكل والشرب على العبادات؛ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٧٢]».

(١) أي: مشوية. «اللسان» ص[٢٠٩٣]، وانظر: «الفتح» (٩/ ٤٤١) في الجمع بين الراويات.

٤- وفي «الصحيحين»[(١)] من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «تُوفي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما في رفي[(٢)] من شيء يأكله ذو كبدٍ[(٣)]، إلا شطرُ شعيرٍ في رفٍّ لي، فأكلت منه حتى طال عليّ، فكلْتُه[(٤)]. ففني» أي: فرغ.

وفي رواية عند أحمد (٦/ ١٠٨): «فليتني لم أكن كلته».

٥- وفي «صحيح البخاري» [٥٤١٣] من حديث سهل بن سعد، وذلك من طريق أبي حازم قال: سألت سهل بن سعد فقلتُ: هل أكل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النقيَّ؟ فقال سهل: ما رأى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّقِيَّ من حين ابتعثه الله حتى قبضه الله. قال: فقلتُ: هل كانت لكم في عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مناخِلُ؟ قال: ما رأى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْخلا[(٥)] من حين ابتعثه الله حتى قبضه الله. قال: قلت: كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول؟ قال: كنا نطحنه وننفخهُ[(٦)]، فيطير ما طار، وما بقى ثرّيناه فأكلناه»[(٧)].. أي: بللناه بالماء. قاله الحافظ ثم قال: «قوله: فأكلناه»؛ يحتمل أن يريد أكلوه بغير عجن ولا خبز، ويحتمل أنه أشار بذلك إلى عجنه بعد البل وخبزه ثم أكله».

- والنقيُّ هو: خبز الدقيق الحواري وهو النظيف الأبيض؛ كما في حديث مسلم في صفة أرض البعث: «يحشر الناس على أرض عفراء كقرصة النقى». قاله الحافظ.

---

(١) البخاري [٦٤٥١]، ومسلم [٢٩٧٣].
(٢) الطاق في الحائط.
(٣) يشمل جميع الحيوانات (ذو حياة).
(٤) كأن الكيل أذهب البركة؛ وانظر: «الفتح» (١١/ ٢٨٥).
(٥) قال الحافظ (٩/ ٤٦١): «والمنخل من الأدوات التي جاءت بضم أولها».
(٦) لتطير منه شعوره، والنهي عن النفخ في الطعام خاصٌّ بالطعام المطبوخ. «الفتح» (٩/ ٤٥٩).
(٧) وهو في «الصحيح» برقم [٥٤١٠] أيضًا.

فلم ير رسولُ الله ﷺ خبزًا مرققًا[(١)] بأبي هو وأمي ﷺ.

٦- وفي «صحيح البخاري» برقم [٥٤١٤] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه مرّ بقومٍ بين أيديهم شاةٌ مَصْلِيَّة فدعوه، فأبى أن يأكل وقال: «خرج رسول الله ﷺ من الدنيا. ولم يشبع من خبز الشعير».

٧- وفي «الصحيحين»[(٢)] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة من طعامِ برٍّ ثلاث ليالٍ تباعًا حتى قبض». وآل محمد يطلق ويراد به النبي ﷺ نفسه أحيانًا؛ كما قد جاءت روايات تؤيد ذلك في هذا الموطن وأشار إلى بعضها الحافظ في «الفتح» (١١/ ٢٩٧) حيث قال: «ووقع في رواية الأعمش عن منصور فيه بلفظ[(٣)]: «ما شبع رسول الله ﷺ»، وفي رواية عبد الرحمن بن عابس عن أبيه عن عائشة: «ما شبع آل محمد ﷺ من خبز بُرٍّ مأدوم» أخرجه مسلم[(٤)]، وفي رواية عبد الرحمن بن يزيد عن الأسود عن عائشة: «ما شبع آل محمد ﷺ من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض». أخرجاه[(٥)].

وعند مسلمٍ[(٦)] من رواية يزيد بن قسيط عن عروة عن عائشة: «ما شبع رسول الله ﷺ من خبزٍ وزيتٍ في يوم واحدٍ مرتين» وعند ابن سعد أيضًا من طريق الشعبي عن عائشة: «أن رسول الله ﷺ كانت تأتي عليه أربعة أشهر ما

---

(١) كما في حديث أنس المتقدم، وهذا على ما علمه ﷺ كما ذكر.

وقد بوب له ابن حبان (تحت: ٦٣٦٠) بقول: «ذكر البيان أن المصطفى ﷺ عند الوجود كان يتنكب السرف في أسباب الأكل وكذلك يأمر أهله».

(٢) البخاري [٦٤٥٤]، ومسلم [٢٩٧٠].

(٣) عند مسلم (٢٩٧٠/ ٢١).

(٤) في «الصحيح» رقم [٢٩٧٠] [٢٣] دون قوله (مأدوم) لكنها عند البخاري [٥٤٢٣].

(٥) انظر: «صحيح مسلم» (٢٩٧٠/ ٢٢).

(٦) في «الصحيح» [٢٩٧٤].

يشبه من خبز البر» وفي حديث أبي هريرة نحو حديث الباب. ذكره المصنف في الأطعمة من طريق سعيد المقبري عنه: «ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تباعًا من خبز حنطة حتى فارق الدنيا»، وأخرجه مسلم أيضًا عن أبي هريرة: «خرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير في اليوم الواحد غداءً وعشاءً» وتقدم أيضًا في حديث سهل بن سعد: «ما شبع رسول الله ﷺ شبعتين في يوم حتى فارق الدنيا» أخرجه ابن سعد والطبراني[(١)]، وفي حديث عمران بن حصين: «ما شبع من غداء أو عشاء حتى لقى الله..» أخرجه الطبراني[(٢)]». انتهى المراد.

هكذا كان الحبيب ﷺ في نفسه يتنكب الشبع في اليوم الواحد أكثر من مرة؛ فهل وقع هذا الصنيع لأحدنا، مع ابتعاده عن السرف في أسباب الأكل، فلم يكن لينتقي أكلته ما لونها وما طعمها وما صفتها؟ وهل هي بتوابل وخضروات؟ وهل معها بوهرات وما شابه؛ فلم يكن يدقق؛ بل حيثما تيسر أكل، مع أنه لو استطاع أن يجعل جبال مكة ذهبًا لفعل؛ وقد أعطاه الله مفاتيح خزائن الأرض كلها ووضعت بين يديه[(٣)]؛ ولكنه زهد وتواضع وطلب أن يكون عبدًا رسولًا.

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٤٠٧)، والطبراني في «الكبير» (٦/ ١٥٩، ١٦٠)، قال الهيثميُّ في «المجمع» (١٠/ ٥٦٤): «وفيه عبد الحميد بن سليمان وهو ضعيف»، وله شاهدٌ عن عائشة عند ابن سعد (١/ ٤٠٢)، وفيه موسى بن عبيدة الربذي، وهو ضعيف.

(٢) في «المعجم الكبير» (١٨/ ١٣٩)، وفيه عمرو بن عبيد متروك؛ كما قال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٥٦٤)، وهو في «المسند» (٤/ ٤٤١) بلفظٍ مقارب.

(٣) كما في «صحيح مسلم» برقم [٥٢٣]، من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**بُعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب، وبينما أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت بين يدي**».

قال أبو هريرة: «فذهب رسول الله ﷺ وأنتم تنتثلونها». تستخرجون ما فيها.

ظهورُ أثر الجوع على نبينا ﷺ

لقـد تعرَّض النبي ﷺ في بعض المواقف لشـدةِ الجوع حتى أثَّر على صوته العـذب الطاهر؛ بل وربط على بطنه عصابة من شـدة الجو وجعـل يتلوى ويتقلب ظهرًا لبطن؛ كما وصفه الصحابة رضي الله عنهم وأحسو بحاله ﷺ.

ففي «صحيح مسـلم» [٢٠٤٠] [١٤٢] مـن حديث أنس بن مالك قال: «قال أبو طلحة لأم سـليم: قد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفًا أعرف فيه الجوع... الحديث».

وفي روايـةٍ لمسـلمٍ أخـرى: «قـال أنـس: رأى أبوطلحـة رسـول الله ﷺ مضطجعًـا في المسـجد يتقلـب ظهرًا لبطـن، فأتى أمّ سـليم؛ فقال: إني رأيت رسـول الله ﷺ مضطجعًا في المسجد يتقلّب ظهرًا لبطن وأظنه جائعًا...».

وفي روايةٍ ثالثةٍ: «قال أنس بن مالك: جئت رسول الله ﷺ يومًا، فوجدته جالسًـا مع أصحابه يحدثهم؛ وقد عصَّب بطنه بعصابة - قال أسـامه أحد الرواة -: وأنا أشـك -: عـلى حَجَر؛ فقلت لبعـض الصحابة: لم عصّب رسـول الله ﷺ بطنه؟ فقالـوا: مـن الجوع، فذهبـت إلى أبي طلحة، وهو زوج أمّ سـليم بنت ملحـان، فقلتُ: يا أبتـاه! قد رأيت رسـول الله ﷺ عصَّـب بطنه بعصابة، فسـألت بعض أصحابه، فقالـوا: من الجوع، فدخل أبو طلحة على أمي؟ فقـال: هل من شيء؟ فقال: نعم. عندي كِسَرٌ من خبزٍ وتمراتٍ، فإن جاءنا رسـولُ الله ﷺ وحده أشـبعناه وإن جاء آخر معه قلّ عنهم.. الحديث».

۞ وحصـل شيءٌ مـن ذلـك كذلـك في حفـر الخنـدق؛ ففـي «صحيـح البخاري» [٤١٠٢]، ومسـلم [٢٠٣٩] مـن حديث جابر بـن عبد الله قال: لما حُفـر الخندق رأيت

برسول الله ﷺ خَمصًا. فانكفأتُ إلى امرأتي. فقلت لها: هل عندكِ من شيء؟ فإني رأيت برسول الله ﷺ خمصًا شديدًا.. الحديث بطوله».

وفي روايةٍ لجابرٍ رضي الله عنه عند البخاري [٤١٠١](١):

«فقال: إنا يوم الخندق نحفر، فعرضت كُدْيَةٌ(٢) شديدة، فجاءوا النبي ﷺ فقالوا: هذه كُدْية عرضت في الخندق؛ فقال: «**أنا نازل**» ثم قام وبطنه معصوبٌ بحجر، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقًا، فأخذ النبي ﷺ المِعْول، فضرب في الكُدْية فعاد كثيًا أهْيل أو أهْيمَ، فقلتُ: يا رسول الله ائذن لي إلى البيت، فقلت لامرأتي: رأيت بالنبي ﷺ شيئًا ما كان في ذلك صبر؛ فعندك شيء؟

فقالت: «عندي شعيرٌ وعَناق، فذبحتُ العناق، وطحنت الشعير، حتى جعلنا اللحم في بالبرمة..».

وفي «صحيح مسلم» برقم [٢٩٧٨] من حديث سماك بن حرب قال: سمعت النعمان يخطب قال: ذكر عمر ما أصاب الناس من الدنيا؛ فقال: «لقد رأيتُ رسول الله ﷺ يظلُّ اليوم يلتوي، ما يجد دَقَلًا يملأ به بطنه».

قال السنديُّ في «شرح ابن ماجه» (٢/ ٥٣٦): «قوله: يلتوي: قيل: أي: يتقلب ظهرًا لبطن ويمينًا وشمالًا. وقال الطيبي: الالتواء: الاضطراب عند الجوع والضرب. (الدقل) بفتحتين أي: أردأ التمر».



---

(١) وأورده مختصرًا برقم [٣٠٧٠].

(٢) القطعة الشديدة الصلبة من الأرض.

رسولُ الله ﷺ وصاحباه في جوع شديد تسبّب في إخراج ثُلاثتهم من بيوتهم يبحثون عن الطعام

لقد كان الجوعُ وضيق العيش سببًا لإخراج أكرم الخلق على الله – وهو نبينا ﷺ – وصاحبيه كذلك أبي بكر وعمر من بيوتهم، فتوافقوا جميعًا على أمر واحد؛ فذهبوا يبحثون على من يطعمهم جميعًا.. والحديث في «صحيح مسلم» برقم: [٢٠٣٨] وإليك ذلك المشهد:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يومٍ أو ليلة؛ فإذا هو بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما [(١)] فقال: «**ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟**» قالا: الجوعُ يا رسول الله؛ قال: «**وأنا والذي نفسي بيده! لأخرجني الذي أخرجكما قوموا**» فقاموا معه. فأتى رجلًا من الأنصار. فإذا هو ليس في بيته. فلما رأته المرأة. قالت: مرحبًا! وأهلًا! فقال لها رسولُ الله ﷺ: «**أين فلان؟**» قالت: ذهب يستعذبُ لنا من الماء، إذ جاء الأنصاريُّ فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه، ثم قال: الحمد لله ما أحدٌ اليوم أكرمَ أضيافًا مني. قال: فانطلق فجاءهم بعذْقٍ فيه بسرٌ وتمر ورطب. فقال: كلوا من هذه. وأخذَ المُدْية. فقال له رسولُ الله ﷺ: «**إياك! والحلوب**» فذبح لهم. فأكلوا من الشاة. ومن ذلك العذق. وشربوا، فلما أن شبعوا ورَوُوْا؟ قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «**والذي نفسي بيده! لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة. أخرجكم من بيوتكم الجوع، ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم**».

---

(١) في رواية: (بينما أبو بكر قاعد وعمر معه، إذ أتاهما رسول الله ﷺ؛ فقال: «**ما أقعدكما ها هنا؟**» قالا: أخرجنا الجوعُ من بيوتنا والذي بعثك بالحق).



رسولُ اللّه ﷺ وبلال

وبلال من أوائل من أسلم رضي الله عنه.

لقد مرت برسول الله ﷺ وبلال أوقاتٌ عصيبةٌ من جُوعٍ وشدةٍ وضيقٍ وتعبٍ؛ ففي «سنن الترمذي» وابن ماجه و«مسند أحمد»(١) وغيرهم من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول ﷺ: «**لقد أوذيتُ في الله، وما يؤذي أحدٌ، ولقد أُخفت في الله وما يخاف أحد، ولقدْ أتت عليَّ ثالثة ومالي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا ما وارى إبط بلال**».

وفي رواية: «ومال ولعيالي».

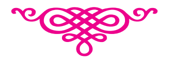
قال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

معاني:

- **ذو كبد**: أي ذو حياة (من إنسانٍ أو حيوان أو طير...).

- **إلا ما وارى**: أي إلا مقدار ما يحمل بلال ويواريه تحت إبطه(٢).

فانظر - رحمني الله وإياك - كيف كان رسول الله ﷺ وعيالُه وأصحابُه يمرون بهذه الأحوال، ويطوون الأيام والليالي جوعًا وشدَّة؟!



---

(١) أحمد (٣/ ١٢٠)، والترمذي برقم[٢٤٧٢]، وابن ماجه برقم [١٥١]، **وهو صحيح**.

(٢) قاله محمد فؤاد عبد الباقي في «تعليقه على ابن ماجه» (١/ ٥٤).

دفعُ إشكال

قال الحافظ في «الفتح» (٢٩٧/١١): «قال الطبري: استشكل بعضُ الناس كون النبي ﷺ وأصحابه كانوا يطوون الأيام جوعًا مع ما ثبت أنه (كان يرفع لأهله قوت سنة)؛ (وأنه قسم بين أربعة أنفسٍ ألفَ بعير مما أفاء الله عليه)، (وأنه ساق في عمرته مائة بدنة فنحرها وأطعمها المساكين)، (وأنه أمر لأعرابي بقطيع من الغنم) وغير ذلك.

مع ما كان من أصحاب الأموال كأبي بكر وعمر وعثمان وطلحة وغيرهم مع بذلهم أنفسهم وأموالهم بين يديه؛ وقد أمر بالصدقة فجاء أبو بكر بجميع ماله، وعمر بنصفه، وحث على تجهيز جيش العسرة فجهزهم عثمان بألف بعير إلى غير ذلك.

والجواب:

أن هذا كان منهم في حالةٍ دون حالةٍ لا لِعَوزٍ وضيق؛ بل تارة للإيثار، وتارة لكراهة الشبع ولكثرة الأكل» انتهى.

قال الحافظ: «وما نفاه مطلقًا فيه نظر[1] لما تقدم من الأحاديث آنفًا؛ وقد أخرج ابن حبان في «صحيحه» عن عائشة: «من حدثكم أنا كنا نشبع من التمر فقد كذبكم، فلما افتتحت قريظة أصبنا شيئًا من التمر والودك» وتقدّم في غزوة خيبر من رواية عكرمة عن عائشة: «لما فتحت خيبر قلنا الآن نشبع من التمر».. والحق أن الكثير منهم كانوا في حال ضيق قبل الهجرة حيث كانوا بمكة، ثم لما هاجروا إلى المدينة كان أكثرهم كذلك فواساهم الأنصار بالمنازل والمنائح، فلما فتحت لهم النضير وما بعدها ردوا عليهم منائحهم، كما تقدم ذلك واضحًا في كتاب «الهبة».

---

(١) يعني: من كلام الطبري أنهم لم يكونوا في ضيق؛ فهذا فيه نظر كما قال الحافظ.

۞وقد بوّب أبو حاتم ابن حبان في «صحيحه» (١٤/ ٢٧٣) رقم[٦٣٥٩] بابًا قال فيه: «ذكر الخبر الدال على أن حالة المصطفى ﷺ كانت حالة اختيار لا اضطرار».

وقريبٌ من ذلك: قوله ﷺ: «**لقد أخفت في الله وما يخاف أحد، ولقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد، ولقد أتت عليّ ثلاث من يومٍ وليلة مالي ولبلال طعام يأكله أحد إلا شيء يواريه إبط بلال**»(١).

أخرجه الترمذي وصححه، وكذا أخرجه ابن حبان بمعناه.

نعم؛ كان رسول الله ﷺ يختار ذلك مع إمكان حصول التوسع والتبسط في الدنيا له»ا.هـ. المراد.

فلم يكن الشأن فيهم العوز والحاجة والفقر فقط؛ بل كان لبعضهم أموال، ولكنهم كانوا يؤثرون على أنفسهم(٢)، ولا يطلبون إلا ما يكفيهم، وما زاد أخرجوه هنا وهناك في سبيل الله؛ كما في «الصحيحين» خ [٢٩٠٤] وم [١٧٥٧] من حديث عمر رضي الله عنه قال: كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب، فكانت للنبي ﷺ خاصة، فكان ينفق على أهله نفقة سنة(٣)، وما بقي يجعله في الكُراع والسلاح، عُدَّة في سبيل الله».

فهكذا كان رسول الله ﷺ يبذل ما في يديه ولا يُبقي معه شيئًا؛ كما قال ﷺ: «**لو كان لي مثلُ أحدٍ ذهبًا ما يسرني أن لا تمر عليَّ ثلاث ليالٍ وعندي منه شيء، إلا شيئًا أرصدُهُ لدين**» أخرجه البخاري [٦٤٤٥] عن أبي هريرة. وفي حديث أبي ذر عنده [٦٤٤٤] زاد: «**إلا أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله ومن خلفه**».

---

(١) تقدم في الباب السابق، وهو صحيح.
(٢) كما قال الحافظ أيضًا (٩/ ٤٢٩).
(٣) أي: يحبس لهم ويدخر.

۞ قولـه: أرصـده: أي: أعُـدُّهُ أو أحفظُهُ؛ **قـال الحافظ في «الفتـح» (١١/ ٢٧٥) في فوائـد الحديث**: «فيـه أن النبي ﷺ كان في أعلى درجـات الزهد في الدنيا بحيث إنـه لا يحـب أن يبقى بيده شيء من الدنيا إلا لإنفاقه فيمن يسـتحقه، وإما لإرصاده لمن له حق، وإما لتعذر من يقبله».

ثـم قد تعتريـه ﷺ أحوال يأكل فيها ويطعم من غير قصدٍ[١] أو طلب؛ بل حيثما توافق وتيسر، ولكنه في غالب أحواله كان يجانب اتخاذ الأسباب في الأكل والشرب وسائر المطعومات لأنه سيد الزاهدين ﷺ، ورُوي عنه ﷺ أنه: «كان لا يدخر شيئًا لغد»[٢].

۞ وقـد دفع هذا الإشـكال الـذي أوردناه غير واحدٍ من أهـل العلم؛ فمن ذلك ما نقله البيهقيُّ في «الشـعب» (٢/ ١٧٥) عن أبي سـهل رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قـال: «فإن قال قائل: كان للنبـي ﷺ درع وسـيف وقوسٌ وفـرس وبغل وحمار، وكان يحبس لنسـائه قـوت سـنة مما أفاء الله عَزَّوَجَلَّ عليه، وكل هذا ادخار؛ فكيف نسـلِّم عـلى هذه الأخبار هذا الخـبر المأثور: «كان لا يدخر شـيئًا لغد»؟ فقال: وجه ذلك أنـه كان يتعامل فيما بينه وبين مولاه على حسـن الظـن والانتظار دون الحبـس والادخار، وكان لا يحجز لنفسـه ليومه من أمسـه، ولكن يعدها لديْنِـه، وهكذا آلات الحرب كان يحبسـها لنصر الأولياء وكبت

---

(١) كما قال ابن حبان في «الصحيح» (١٤/ ٢٦٨) [٦٣٥٥].

(٢) أخرجـه الترمـذيُّ [٢٣٦٢]، وابن حبـان في «صحيحه» [٦٣٥٦]، والطـبريُّ في «تهذيب الآثار» [٢٤٩٠] من طريق جعفر بن سليمان الضبعي عن ثابت عن أنس مرفوعًا. قال الترمذيُّ: «حديث غريب، وقد رُوي هذا الحديث عن جعفر بن سليمان عن ثابت عن النبي ﷺ مرسلًا».
قلـتُ: وروايـة جعفـر بن سـليمان عن ثابت متكلـم فيها. وقد جـوَّد الحديث عدد مـن أهل العلم كالضيـاء وابن مفلح والمناوي، وغيرهم، لكن فيه ما سـبق من مقال، والله أعلم. وانظر: «الميزان» (١/ ٤١١)، و(٣/ ٣٩١)، و«لسان الميزان» (١/ ٣٣٢)، و«الكامل» (٢/ ١٤٩).

الأعداء على حكم الاستعمال مما تصدق به في حياته؛ ولهذا قال: «**إنا لا نورث، ما تركناه صدقة**»[(١)].

وأما ما كان يُنبذ له، فإنما نساؤه كن ينبذن له ما صار في ملكهن ويدهن تمليكًا وتمويلًا منه لهن.

إنه لم يكن يدَّخر شيئًا،وما احتبس عنده من شيء على نية الغد، ولكن: يصرفه في نائبةٍ من نوائب الدين. وقيل: لا يدخر ملكًا، بل يدخر تملكًا. وقيل: لم يكن يدخر على أمل البقاء إلى غد». انتهى. وانظر: «الفتح» (٩/ ٥٠٣).

قلت: وهذا هو الفارق.

ترى كثيرًا من المسلمين هذه الأزمان في قلق إذا لم يُعدّوا لأنفسهم ويملأو بيوتهم أطعمة وألوانًا من المأكولات لشهور؛ بل لسنواتٍ قادمة زاعمين أنهم يعملون للمستقبل، وقد يموت هذا الإنسان من يومه، ثم أين حسن الظن بالله والثقة فيما عنده؟! وأنه سبحانه متكفل بأرزاق العباد، وأنه لن تموت نفسٌ حتى تستكمل رزقها وأجلها؛ فلم الخوف ولم القلق ولم الاضطراب؟ والرزق آتٍ لا محالةٍ، وكما أن الموت يطلبك ولو كنت في بروج مشيدة؛ فكذلك الرزق يطلبك.

وقد قيل:

يا ابن آدم خُلقت للعبادة فلا تلعب، وضمن لك الله رزقك فلا تتعب.

۞ وفي «صحيح البخاري» برقم [٢٧٣٩] من حديث عمرو بن الحارث: خَتَنِ رَسُولِ الله ﷺ أَخِي جويريَّة بنْت الحَارِثْ قَالَ: «مَا تَرَكَ رَسُولُ الله ﷺ

(١) أخرجه البخاريُّ [٤٠٣٣]، ومسلم (١٧٥٧/ ٤٩) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

عند موته دِرْهَمًا وَلا دِينَارًا وَلا عَبْدًا وَلا أَمَةً وَلا شَيْئًا؛ إِلا بَغْلَتَهُ الْبَيْضَاءَ وَسِلاحَهُ وأرضًا جعلها صَدَقَةً».

وأخرجه أيضًا في مواضع أخرى برقم[٢٨٧٣،٢٩١٢،٣٠٩٨،٤٤٦١] وفي رواية من هذه الروايات: «وأرضًا جعلها لابن السبيل صدقة».

۞ وفي «صحيح مسلم» [١٦٣٥] من حديث عائشة قالت: «ما ترك رسول الله ﷺ درهمًا ولا دينارًا ولا شاةً ولا بعيرًا ولا أوصى بشيء»[(١)]؛ فلم يترك رسول الله ﷺ شيئًا، وهذا لأن رسول الله ﷺ وسائر إخوانه من الأنبياء لا يورثون؛ كما قال ﷺ: «**لا نُورث ما تركنا فهو صدقة**». أخرجه البخاري [٣٠٣٤]، ومسلم [١٧٥٩] عن عائشة مرفوعًا.

ولذلك فما ترك رسول الله ﷺ شيئًا لأقربائه ينتفعون به بعد موته، وما تركه من شيءٍ يسير إنما هو صدقة، والصدقة لا تحلُّ لآل محمد؛ كما في «الصحيحين» البخاري [١٤٨٥]، ومسلم [١٠٦٩] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال للحسن بن علي: «**أما علمت أن آل محمد ﷺ لا يأكلون الصدقة**».

ولذلك فالأمر يختلف، ومن ثم قال ﷺ لسعد بن أبي وقاص: «**إنك إن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالةً يتكففون الناس في أيديهم**». أخرجه البخاري [٢٧٤٢]، ومسلم [١٦٢٨].

الشاهد؛ أن رسول الله ﷺ خرج من الدنيا ولم يدع شيئًا، وكلُّ ما تركه (سلاح وبغلته البيضاء، وأرض جعلها صدقة). وليس في بيته شيءٌ آخر؛ فهل هذا إلا لكمال زهده وإعراضه عن الدنيا ﷺ؟

---

(١) وبوّب له النووي بقوله: «باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه».

زهدُهُ ﷺ في المسْكن

كان ﷺ أشدَّ الناس زهدًا في أبنيتِه ودورِه ومسكنه[(١)].

وقد وصفَ جماعةٌ من التابعين بيوت أزواج رسول الله ﷺ.

۞ ففي «الأدب المفرد» رقم [٤٥٥] للبخاري من حديث الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «كنت أدخل بيوت أزواج النبي ﷺ في خلافة عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأتناول سُقُفَها بيديَّ». وسنده صحيح.

۞ ۞ وأخرج أيضًا في «الأدب» رقم [٤٥٦] من حديث داود بن قيس رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «رأيت الحجرات[(٢)] من جريد النخل، مغشَّاة من خارج بمسُوح الشَّعْر، وأظن عرض البيت من باب الحجرة إلى باب البعث نحوًا من ست أو سبع أذرعٍ، وأحرزُ البيت الداخل عشر أذرع، وأظن سُمكُه بين الثمان والسبع نحو ذلك ووقفت عند باب عائشة، فإذا هو مستقبلَ المغرب». وهو صحيح.

فتدبر بيوت النبي ﷺ.

۞ قريبة السقف.

---

(١) وقد أخبر ﷺ أن التطاول في البنيان واتخاذ القصور وتشييدها والتفاخر بها من علامات الساعة وأشراطها؛ ففي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (وفيه أن النبي ﷺ: لما سأله جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ عن أشراط الساعة؟) قال ﷺ: «**وإذا تطاول رعاة الإبل البُهم في البنيان**».

قال القرطبي: «المقصود الإخبار عن تبدل الحال بأن يستولي أهل البادية على الأمر ويتملكوا البلاد بالقهر فتكثر أموالهم وتنصرف هممهم إلى تشييد البنيان والتفاخر به، وقد شاهدنا ذلك في هذه الأزمان». انظر: «الفتح» (١/ ١٥٠)، ووصف الرعاة بالبهم؛ قيل: لأنهم مجهولو الأنساب، وهناك أقوال أخرى. انظرها في «الفتح».

(٢) حجرات أزواج نبينا ﷺ.

۞ مصنوعة بجريد النخل.

۞ مغطَّاة من الخارج بالشّعر.

۞ ۞ هكذا بيوته ﷺ؛ فلم يكن يتفرغ وينشغل بتوسيعها أو تزيينها؛ لأن الأمر أعجل من هذا[(١)]، وقد أخبر ﷺ: «**أن المسلم يؤجر في كل شيء ينفقه، إلا شيءٌ يجعله في هذا التراب**»[(٢)].

أي: الذي يوضع في البنيان.

قال الحافظ في «الفتح» (١٠/١٣٥): «وهو محمول على ما زاد على الحاجة»[(٣)].

وقال (١١/ ٩٥): «وهذا محمولٌ على ما لا تمس الحاجة إليه مما لابدَّ منه للتوطن وما يقِي البرد والحر».

وكذلك يُمنع تطويلُ البناء وتشييده وإنفاق المال فيه، ويذمُّ إذا كان سيشغله عن أمر دينه، ويُغير من قلبه، ويُفتن به، ولا يستقيم حاله!!.

۞ **أما من سلك سبيل التوسعة؛** لا من أجل التباهي والافتخار والتعالي، ولكن بنية توظيفه في الخير، أو في راحة البال، وللعون على عبادة وطاعة الكبير المتعال، أو لحاجة الأولاد وكثرتهم، أو لإعانة المحتاجين ممن ليسوا أصحاب مسكن ودور، أو لاستقبال أضيافٍ يشق إدخالهم في بيوت الأهل والأزواج؛ فهذا لا يذم بحالٍ، وإنما المذموم: المفتُون بما يبنيه ويُشيِّده ويشغلُهُ عن ربه ونبيِّهِ ﷺ؛ لكن من احتاج

(١) انظر: «مسند أحمد» (٢/ ١٦١)، و«سنن الترمذي» [٢٣٣٥]، وأبي داود [٥٢٣٥].

(٢) كما في «صحيح البخاري» [٥٦٧٢] من حديث خباب.

(٣) وفي «صحيح مسلم» برقم [٢٠٨٤] من حديث جابر أن رسول الله ﷺ قال: «**فراشٌ للرجل، وفراشٌ لامرأته، والثالث للضيف، والرابع للشيطان**» وبوّب النووي له بقوله: «كراهة ما زاد على الحاجة من الفراش واللباس». **قُلت**: والمسكن داخلٌ في ذلك.



إلى التوسعة للاستفراغ بالنفس، وترويضها على طاعة الله وعبادته، بعيدًا عما يشوش عليها، ويعطيها مزيدًا من الراحة والاستقرار فلا بأس. ورُبَّ رجلٍ يشتغل بالدعوة إلى الله لو جلس بين أهله وأولاده في مسكن واحدٍ لشوّشوا عليه وهزّوا عليه أفكاره؛ فهذا الصنف يحتاج إلى هدوءٍ واستقرارٍ وراحة بال. أما إذا استطاع العبدُ إقامة دينه واليسر في القيام بالطاعات في بيتٍ متواضعٍ ونفسُهُ منشرحة بذلك؛ فهذا خير وأفضل، والأمر يرجع إلى النفع الديني لكل إنسانٍ، والله أعلم. وحسب ابن آدم ثوب يواري عورته، وطعام يقيم صلبه، وبيت يكِنُّه.

هذا كلُّه شيء والتشييد والتطاول المسرف - كما نراه في هذا الزمان - أن يكون للرجل بيت يكفيه ويأويه هو وذويه؛ فيحرص أشد الحرص أن يبني عمارات يسكنها ويتباهى بها وينفق عليها الملايين من الأموال،كي تشيَّد وتزخرف؛ فهذا هو المذموم.

۞ **خلاصة القول:** إذا كان هذا البناء يرجع بالنفع الديني ولا يُفتن به المرء ولا يكون سبيلًا من سبل التباهي والافتخار والتطاول على عباد الله، فاتخاذه في هذه الحالة لا بأس به[1]؛ وإلا فلا، والله تعالى أعلم.

---

(١) وقد أخبر ﷺ أن من سعادة المرء (المسكن الواسع)؛ أخرجه الطيالسي [٢١٠]، وأحمد (١/ ١٦٨)، وابن حبان [٤٠٣٢]، والخطيب في «تاريخه» (١٢/ ٩٩)، والضياء في «الأحاديث المختارة» (٢/ ٢٤)، عن سعد بإسنادٍ صحيح؛ كما قال الضياء المقدسي، وله شاهدٌ عند أحمد من حديث نافع بن عبد الحارث (٣/ ٤٠٧، ٤٠٨)، وبرقم [١٥٣٧٢].
وفي سند أحمد خميل، وهو مقبول كما في «التقريب» أي: حيث يتابع وإلا فلين، والحديث بشاهده الأول صحيح إن شاء الله.

۞ وراجع: «أنيس الساري» ص[٤٨٥١]، ط. مؤسسة الريان. و«الصحيحة» [٢٨٢].

صفة فراشه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

لقد كان فراشُ حبيبنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي كان ينام عليه، وكذلك وسادته[(١)] التي يتكئ عليها؛ من أدم وحشوه من ليف.

ففي «صحيح البخاري» رقم [٦٤٥٦]، و«صحيح مسلم» [٢٠٨٢]، من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: «إنما كان فراشُ[(٢)] رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي ينام عليه أدمًا، حشوه من ليف».

أي: ورق النخل. **والأدم**: هو الجلد مطلقًا. وقيل: الجلد المدبوغ الأحمر أو الأسود.

والوسادة: مخدته التي ينام عليها بالليل من أدم.

فانظر وتدبر كيف كان ضجاع المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع تأثير خشونة ضجاعه في جنبه الشريف؛ كما في حديث عمر وسيأتي.

وهذا يدلُّ على كمال زهده وإعراضه عن الدنيا ونعيمها وفاخر متاعها.

۞ ويدخلُ في هذا مسجده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي بناه بالمدينة كان سقفه من النخل والجريد، وعضادتاه[(٣)] (جانبا الباب) من الحجارة. وكان يسقط بداخلِه ماءُ المطر؛ حتى إنه سجد مرة في ماءٍ وطين.

كما في «صحيح البخاري» رقم [٢٠١٦]، و«صحيح مسلم» برقم[١١٦٧] من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا.

---

(١) كما في حديث عمر عند الشيخين (خ٤٦٨ وم١٤٧٩).

(٢) وفي رواية: «ضجاع». أي: ما يُضطجع عليه.

وانظر رواية عند البيهقي في «الشعب» [١٤٦٨].

(٣) البخاري [٤٢٨]، ومسلم [٥٢٤].

اضطجاعه ﷺ على حصير
وحالُ بيتهِ من الداخل

فلقـد كان النبـي ﷺ يضطجعُ على حصـير ليس بينه وبينه فـراش؛ فيؤثر رملُ الحصير بجنبهِ وجسده، وهذا من زهدِه في دنياه.

* ففـي «الصحيحـين»(١) مـن حديث ابن عبـاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن عمر بـن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «فدخلت على رسول الله ﷺ ؛ فإذا هو مضطجع على رمال حصير، ليس بينه وبينه فراش، قد أثَّر الرمال بجنبهِ، متكئٌ على وسـادة من أدمٍ حشـوها ليف(٢)، فسلمت عليه».

وفي رواية(٣): «فرأيت أثر الحصير في جنب رسـول الله ﷺ فبكيت؛ فقال: «**ما يبكيك؟**» فقلتُ: يا رسول الله! إن كسرى وقيصر فيما هما فيه. وأنت رسولُ الله؛ فقال رسول الله ﷺ : «**أما ترضى أن تكون لهما الدنيا ولك الآخرة؟**»».

وفي لفظ: فقلتُ: ادع الله فليوسّع على أمتك، فإنّ فارس والروم وُسِّع عليهم وأعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله، وكان متكئًا، فقال: «**أو في شكٍّ أنت يا ابن الخطاب؟ أولئك قومٌ عُجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا**» فقلتُ: يا رسول الله: استغفر لي...الحديث.

وفي الحديث وصفُ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لبيت رسول الله ﷺ .

قال: «فرفعت رأسي في البيت، فوالله! ما رأيت فيه شيئًا يردُّ البصر إلا أهبًا ثلاثة». وفي رواية مسـلم: «فنظرت ببصري في خزانة رسول الله ﷺ ، فإذا أنا بقبضةٍ من

---

(١) البخاري [٢٤٦٨]، ومسلم [١٤٧٩].

(٢) وفي رواية: «وتحت رأسه وسادةٌ من أدم حشوها ليف».

(٣) لمسلم.

شـعير نحو الصاع، ومثلها قرظًا[١] من ناحية الغرفة، وإذا أفيق[٢] معلق. قال: فابتدرت عيناي» يعني: من البكاء.

وفي رواية[٣]: «ثم رفعتُ بصري في بيته[٤]؛ فوالله ما رأيت فيه شيئًا يردُّ البصر غير أَهَبةٍ ثلاثٍ».

الأهبة: بمعنى الأهب، وهو الجلد قبل الدباغ. وقيل: الجلد مطلقًا دبع أو لم يدبغ.

قـال الحافظ في «الفتـح» (٩/١٩٩): «والذي يظهر أن المـراد به هنا جلد شرع في دبغـه ولم يكمل، لقوله - في رواية سـماك بن الوليد -: «فـإذا أفيقٌ معلق»؛ والأفيق بوزن عظيم: الجلد الذي لم يتم دباغه».

وهذا إن دلّ فإنما يدلُّ أن بيته ﷺ خاوٍ من زينة الدنيا.

فـما في بيتـه ﷺ خوانٌ يأكل عليـه (يعني: مائدة) ولا سُـكرُّجة (قيل: هي صحاف صغار يؤكل فيها)، و(قيل: قصعة مدهونة). قالوا: (تسـتخدم للتشهي والهضم وتعين عليه)؛ فلم يكن ﷺ بحاجةٍ إلى الهضم والشبع؛ وقد حدّث أنس بن مالك بذلك؛ ففي «صحيح البخاري» [٥٣٨٦] من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ما علمت النبي ﷺ أكل على سُكرُّجَّة قط، ولا خُبز له مرقّق قط، ولا أكل على خوانٍ قط[٥].

---

(١) **القرظ**: ورق السَّـلَم، ضرب من الشجر الذي يدبغ به. «تاج العروس» (٢٠/ ٢٥٦)، و«اللسان» (٧/ ٤٥٤). وجمعه أَفَق بفتحهما كأديم وأدم.

(٢) **الأفيق**: الجلد الذي لم يتم دباغه.

(٣) انظر أطراف الحديث جميعها تحت رقم [٨٩] عند البخاري.

(٤) أي: نظرت فيه.

(٥) سبق في أوائل الكتاب الجمعُ بين هذا وبين ما ثبت عنه ﷺ من أنه قُدم له خوانٌ عليه لحم، بأن الغالب من حاله ﷺ تركُ الأكل عليه أو أن الخوان المنفي في حديث أنس نوعٌ مخصوصٌ، وهو الذي كان استعماله من دأب المترفين وصنيع الجبارين أهل الكبر، والله تعالى أعلم.

قيل لقتادة (الراوي عن أنس): «فعلى ما كانوا يأكلون؟ قال: على السُّفر».

السفر: جمع سفرة، وهو ما يتخذه المسافر من طعام[1]، وأكثر ما يصنع في جلد، فنقل اسم الطعام إلى ما يوضع فيه. «الفتح» (٩/ ٤٤٣).



(١) فأصل السفرة الطعام؛ لكنها اشتهرت لما يوضع عليها الطعام. «**الفتح**» (٩/ ٤٤١).

زهده ﷺ في الملبس

۞ في «الصحيحين»[(١)] من حديث أبي بردة (ابن أبي موسى الأشعري) قال: «أخرجت إلينا عائشة كساءً وإزارًا غليظًا؛ فقالت: قبض روح النبي ﷺ في هذين».

۞ **وفي رواية مسلم:** «دخلتُ على عائشة فأخرجت إلينا إزارًا غليظًا مما يصنع باليمن. وكساءً من التي يسمونها المُلبّدة. قال: فأقسمتْ بالله؛ إن رسول الله ﷺ قُبض في هذين الثوبين».

الملبدة: المرقعة. قيل: هي التي ضرب بعضها في بعض حتى تتراكب وتجتمع. «الفتح» (١٠/ ٢٨٩).

۞ وفي «صحيح مسلم»[(٢)] من حديث عائشة قالت: «خرج النبي ﷺ ذات غداةٍ، وعليه مِرْطٌ مُرحَّلٌ من شعر أسود».

معاني:

١- **مِرْطٌ**: كساء، تارة يكون من صوف، وتارة من شعر، أو كتان، أو خز يؤتزر به[(٣)].

وقد بوّب النووي للحديث بقوله: «بابُ التواضع في اللباس، والاقتصار على الغليظ منه واليسير في اللباس والفراش وغيرهما، وجواز لبس ثوب الشعر وما فيه أعلام».

---

(١) البخاري في «الصحيح» رقم [٥٨١٨]، ومسلم [٢٠٨٠].
(٢) برقم [٢٠٨١].
(٣) النووي «شرح مسلم» (١٤/ ٥٧)، و«مختار الصحاح» ص[٢٨٣] مادة (مرط).



٢- **والمرحل**: أي عليه صورة رحال الإبل، ولا بأس بهذه الصورة، وإنما يحرم تصوير الحيوان.

وقال الخطابي: «المرحل الذي فيه خطوط».

٣- **من شعر أسود: قال النووي**: «قيدتْهُ بالأسود؛ لأن الشعر قد يكون أبيض».

قال النووي (١٤/ ٥٦): «في هذه الأحاديث ما كان عليه النبي ﷺ من الزهادة في الدنيا والإعراض عن متاعها وملاذها وشهواتها وفاخر لباسها ونحوه واجتزائه بما يحصل به أدنى التجزئة في ذلك كله، وفيه الندب للاقتداء به ﷺ في هذا وغيره» انتهى.

قلتُ: ومع جواز لبس هذه الثياب؛ وهو - كما ورد - حالُ رسولنا ﷺ وما كان عليه من الزهد؛ مع هذا لا بأس لمن يلبس أحسن الثياب وأجمل اللباس؛ وهذا محمولٌ في أوقات، وذاك في أوقاتٍ أخرى.

ففي الجُمعِ والمناسباتِ واستقبالِ الوفود وفي الأعياد وما شابه يستحبُّ للمرء أن يتزين بأحسن الزينة، وأجمل الثياب؛ ففي «الصحيحين»[1] من حديث ابن عمر قال: أخذ عمر جبة من إستبرق تباع في السوق فأخذها فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ابتع هذه تجمل بها للعيد والوفود - وفي رواية مسلم: لو اشتريت هذه فلبستها للناس يوم الجمعة وللوفد إذا قدموا عليك - فقال له رسول الله ﷺ: «**إنما هذه لباس من لا خلاق له**».

فأقره رسول الله ﷺ لكن أنكر عليه كونها من حرير!!.

(١) البخاري [٩٤٨]، ومسلم [٢٠٦٨].

۞ وفي «الصحيحين»[1] مـن حديث أنس وقد سُـئِل: «أي اللبـاس كان أحبَّ إلى رسول الله ﷺ أو أعجب إلى رسول الله ﷺ؟ قال: **الحِبَرة**».

معاني:

الحِبَرة: قال النووي (١٤/ ٥٦): «هي بكسر الحاء وفتح الحاء، وهي ثياب من كتان أو قطن محبرة (أي: مزينة)، والتحبير التزيين والتحسين».

وقـال الحافـظ في «الفتـح» (١٠/ ٢٨٨): «قـال الجوهري: الحبرة بـوزن عنبة: برد يمان». **وقال الهروي**: «موشية مخططة».

وقـال الـداودي: «لونها أخضر؛ لأنها لباس أهل الجنة». كـذا قال. **وقال ابن بطال**: «هـي مـن برود اليمين تصنع من قطـن وكانت أشرف الثياب عندهـم». **وقال القرطبي**: «سميت حبرة؛ لأنها تحبر (أي: تزين)، **والتحبير**: التزيين والتحسين».

۞ وفي «صحيح البخاري» [٣٧٦] من حديث أبي جحيفة قال: «رأيت رسـول الله ﷺ في قبةٍ حمراء من أدم».

۞ ۞ وفي «الصحيحين» البخاري [٣٥٥١] ومسلم [٢٣٣٧] من حديث البراء بن عـازب رضي الله عنه قـال: «كان النبي ﷺ مربوعًا بعيد ما بين المنكبين، له شَـعْر يبلغ شحمة أذنيه، رأيته في حلةٍ حمراء. لم أر شيئًا قط أحسن منه».

وقـد عقد البخـاري في «صحيحـه» (١٠/ ٣١٤) بابًا بعنوان: (باب مـا كان النبي ﷺ يتجوز من اللباس والسبط)اهـ. أي: يستعمل ما يتيسر له.

۞ **والحلة**: ثوبان. إزار ورداء.

---

(١) البخاري [٥٨١٢،٥٨١٣]، ومسلم [٢٠٧٩].

فالثياب الحسنة لها وقت وحال، والثياب الخشنة لها حالٌ تختلف عن الحال الأولى؛ وقد قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾[1] [الضحى: ١١]؛ والله أعلم.

وقد كان ﷺ تطيبه عائشة بأطيب ما يجد تقول: «حتى أجد وبيص الطيب في رأسه ولحيته» البخاري [٥٩٢٣].

فهكذا رسول الله ﷺ يعاهد أحوال نفسه، وكان السواك لا يفارقه.



(١) وقد بوب الحافظ ابن حجر في «المطالب العالية» (١٠/ ٢٩٥) بابًا بعنوان: «باب استحباب إظهار النعمة إذا لم يكن سرف ولا مخيلة». وأورد حديث النبي ﷺ: «**إن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده، ويكره البؤس والتباؤس**» وهو عند الترمذي [٢٨١٩]، بسندٍ حسن.

فصلٌ

في بيان لُبسِ المرقَّعِ من الثيابِ وتركِ التجمُّل

قال القرطبي في «التفسير» [الأعراف: ٣٢] في بيانٍ وتوضيحٍ نفيسٍ له عند هذه الآية:

«قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٢]:

فيه أربع مسائل:

✿ **الأولى-** قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ﴾ [الأعراف: ٣٢].

بيّن أنهم حرّموا من تلقاء أنفسهم ما لم يحرّمه الله عليهم.

والزينةُ هنا: الملبس الحسن إذا قدر عليه صاحبه. وقيل: جميع الثياب، كما روي عن عمر[١]: «إذا وسَّع الله عليكم فأوسعوا».

وروي عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب شيخ مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أنه: «كان يلبس كساء خزٍّ بخمسين دينارًا يلبسه في الشتاء، فإذا كان في الصيف تصدق به أو باعه فتصدق بثمنه». وكان يلبس في الصيف ثوبين من متاع مصر مُمَشَّقين ويقول: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾ [الأعراف: ٣٢].

الثانية- وإذا كان هذا؛ فقد دلّت الآية على لباس الرفيع من الثياب، والتجمل بها في الجمع والأعياد، وعند لقاء الناس ومزاورة الإخوان.

قال أبو العالية: «كان المسلمون إذا تزاوروا تجمّلوا».

---

(١) كما في «صحيح البخاري» [٣٦٥].

۞ وفي «صحيح مسلم»[1] من حديث عمر بن الخطاب أنه: رأى حُلّة سِيرَاء[2] تباع عند باب المسجد، فقال: يا رسول الله، لو اشتريتها ليوم الجمعة وللوفود إذا قدموا عليك؟ فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنما يلبس هذا من لا خلاق له في الآخرة**».

فما أنكر عليه ذكر التجمل، وإنما أنكر عليه كونها سيراء، وقد اشترى تميم الداري حلّةً بألف درهم كان يصلي فيها. وكان مالك بن دينار يلبس الثياب العدنية الجياد. وكان ثوب أحمد بن حنبل يشترى بنحو الدينار. أين هذا ممن يرغب عنه ويؤثر لباس الخشن من الكتان والصوف من الثياب. ويقول: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦]، هيهات. أترى من ذكرنا تركوا لباس التقوى، لا والله! بل هم أهل التقوى وأولو المعرفة والنُّهى، وغيرهم أهل دعْوى، وقلوبهم خالية من التقوى.

قال خالد بن شوذب: «شهدت الحسن وأتاه فرقد، فأخذ الحسن بكسائه فمدّه إليه وقال: يا فُريقد، يا ابن أم فريقد، إن البر ليس في هذا الكساء، إنما البر ما وقر في الصدر وصدّقه العمل. ودخل أبو محمد ابن أخي معروف الكرخي على أبي الحسن بن يسار وعليه جبة صوف، فقال له أبو الحسن: «يا أبا محمد، صوّفت قلبك أو جسمك؟ صوّف قلبك والبس القُوهِيّ على القوهِي».

وقال رجلٌ للشبليّ: «قد ورد جماعة من أصحابك وهم في الجامع، فمضى فرأى عليهم المرقعات والفُوَط، فأنشأ يقول:

---

(١) برقم [٢٠٦٨] وهو في «صحيح البخاري» برقم [٢٦١٢] عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) **قال أبو عبيد:** «الحلل برود اليمن، والحلة: إزار ورداء، والسيراء» **قال مالك:** «هو الوشى من الحرير». **وقال الأصمعي:** «ثياب فيها خطوط من حرير أو قز، وإنما قيل لها سيراء لتسيير الخطوط فيها». **وقال الخليل:** «ثوب مضلع بالحرير، وقيل: مختلف الألوان فيه خطُوط ممتدة كأنها السيور». «الفتح» (١٠/ ٣٠٩، ٣١٠).

أمـا الخـيـام فـإنـهـا كـخـيـامـهـم وأرى نـسـاء الـحـي غـيـر نـسـائـه».

قـال أبـو الفـرج ابن الجـوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأنا أكـره لبس الفُـوَط والمرقعـات لأربعة أوجه:

أحدها- أنه ليس من لبس السلف، وإنما كانوا يرقعون ضرورة.

والثاني- أنه يتضمن ادعاء الفقر، وقد أمر الإنسان أن يظهر أثر نعم الله عليه(١).

والثالث- إظهار التزهيد، وقد أُمرنا بستره.

والرابع- أنه تشبه بهؤلاء المتزحزحين عن الشرعة، ومن تشبه بقومٍ فهو منهم.

وقـال الطـبري: «ولقـد أخطأ من آثـر لباس الشـعر والصوف على لبـاس القطن والكتان مع وجود السبيل إليه من حله.

ومن أكل البقول والعدس واختاره على خبز البر.

---

(١) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى: ١١]، وقـال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله يحبُّ أن يرى أثر نعمته على عبده**»، تقدم قريبًا.

۞ أما حديث: «**البذاذة من الإيمان**» ففي حال صحته - وهو يحتمل التحسين، وقد حسَّنه العراقيُّ في «أماليـه»؛ كما في «الفيـض» (٣/ ٢١٧)، وصححه الحافظ في «الفتـح» (١٠/ ٣٦٨)، وَقوَّاه ابن مفلـح في «الآداب الشرعيـة» (٣/ ٥٠٠)، وأعلَّه ابـن عبد البر في «التمهيـد» (٢٤/ ١٢)، وراجع «علـل الدارقطني» (١٥/ ٤٢٧). وقد أخرجه أحمد في «الزهد» ص[١٢]، وأبو داود في «السـنن» [٤١٦١] - فإن الحديث لا يعني قذارة الثياب، ووسـاختها، بل كما سـأل عبد الله بن أحمد أباه قال له: «ما البذاذة؟ قال: التواضع في اللباس». وقاله البيهقي في «شـعبه» (٥/ ١٥٥) [٦١٧٤]، وكما قال المناويُّ في «الفيض» (٢/ ١٦٥)، والزرقاني في «شرح الموطأ» (٤/ ٣٣٨): «وأما خبر «**البذاذة من الإيمان**» فإثبات التواضع للمؤمن» **انتهى المراد.**

وقال ابن عبد البر في «الاستذكار» (١/ ٣٣٠): «قوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**البذاذة من الإيمان**» أراد به اطراح الشـهوة في الملبس والإسراف فيه، الداعي إلى التبختر والبطر ليصح معاني الآثار ولا تتضاد، ومن معنى (غبًّا) يريد عند الحاجة؛ لئلا يكون ثائر الرأس شعثه، كأنه شيطان؛ كما جاء عنه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ».

ومن ترك أكل اللحم خوفًا من عارض شهوة النساء.

وسُئل بشر بن الحارث عن لبس الصوف؛ فشق عليه وتبينت الكراهة في وجهه ثم قال: «لبس الخز والمعصفر أحب إليّ من لبس الصوف في الأمصار».

وقال أبو الفرج: «وقد كان السلف يلبسون الثياب المتوسطة لا المترفعة ولا الدّون ويتخيرون أجودها للجمعة والعيد وللقاء الإخوان، ولم يكن تخير الأجود عندهم قبيحًا. وأما اللباس الذي يزري بصاحبه؛ فإنه يتضمن إظهار الزهد وإظهار الفقر، وكأنه لسان شكوى من الله تعالى، ويوجب احتقار اللابس، وكل ذلك مَكْرُوهٌ منهيٌّ عنه».

فإن قال قائلٌ: «تجويدُ اللباس هوى النفس، وقد أُمرنا بمجاهدتها، وتزينٌ للخلق، وقد أمرنا أن تكون أفعالنا لله لا للخلق؟».

فالجواب: «ليس كل ما تهواه النفس يُذم، وليس كل ما يتزين به للناس يُكره، وإنما يُنهى عن ذلك إذا كان الشرع قد نهى عنه أو على وجه الرياء من باب الدين؛ فإن الإنسان يحب أن يُرى جميلًا. وذلك حظٌّ للنفس لا يلامُ فيه. ولهذا ولهذا يسرح شعره، وينظر في المرآة، ويسوّي عمامته، ويلبس بطانة الثوب الخشنة إلى داخل، وظِهَارَتَهُ الحسنة إلى خارج. وليس في شيء من هذا ما يكره ولا يُذم. وقد روى مكحول عن عائشة قالت: كان نفر من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه على الباب فخرج يريدهم وفي الدار ركوة فيها ماء، فجعل ينظر في الماء ويسوّي لحيته وشعره، فقلت: يا رسول الله وأنت تفعل هذا؟ قال: «**نعم إذا خرج الرجل إلى إخوانه فليهيئ من نفسه، فإن الله جميل يحب الجمال**»[(١)]..

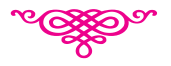
---

(١) **قلتُ**: وفي سنده انقطاع بين مكحول وعائشة؛ وقد أخرجه الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (١/ ٣٨٩) [٩٠٧]، وانظر: «اللسان» ترجمة أيوب بن مدرك (١/ ٤٨٨)، فقد نقل عن ابن حبان قوله: «روى أيوب بن مدرك عن مكحول نسخة موضوعة» وذكر الحافظ هذا الحديث في ترجمته

۞ وفي «صحيح مسلم»(١) عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**» فقال رجل: يا رسول الله! إن الرجل يحب أن يكون ثوبُه ونعله حسنة. قال: «**إن الله جميل يحب الجمال. الكبر بطر الحق وغمط الناس**».

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، تدلُّ كلها على النظافة وحسن الهيئة». انتهى.

فالتجوُّز في الملبس الذي يؤدي إلى التباهي والافتخار والتعالي والمخيلة - في هذه الحالة - يذم؛ فجمال الثوب في ذاته لا يذم، لكن المذموم البطر والإعجاب بالنفس به، وفي «الصحيحين»(٢) من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**بينما رجلٌ يمشي في حلة تعجبه نفسه مُرجّل جمته وبرداه إذ خسف الله به، فهو يتجلجل إلى يوم القيامة**».



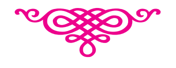
لكنه توبع عند السمعاني في «أدب الإملاء» [٣٢]، من العلاء بن كثير عنه به، لكن الخبر منقطع كما سبق، وأخرجه ابن عدي في «الكامل» (١/ ٣٤٧)، ترجمة أيوب، وحكم على الحديث من طريقه بالنكارة. وأخرجه كذلك ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/ ٦٨٧)، وأورده ابن أبي حاتم في «العلل» (٢/ ٣٢٠) من طريق أم كلثوم عن عائشة فذكرته؛ لكن حكم عليه أبو حاتم بالنكارة أيضًا.

(١) [٩١].

(٢) أخرجه البخاريُّ [٥٧٨٩] ومسلم [٢٠٨٨].

أبوابٌ
في زهدِ الصحابة(١)
والتابعين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين

قال ابن مسعود: «أنتم أكثر صلاةً وأكثر صيامًا وأكثر جهادًا من أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهم كانوا خيرًا منكم. قالوا: فيم ذاك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: كانوا أزهد منكم في الدنيا وأرغب منكم في الآخرة»(٢).



(١) كان أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يأكلون طعامًا يلتمسون به تنعمًا، ولا يلبسون ثيابًا يلتمسون به جمالًا، وكانت قلوبهم على قلب رجلٍ واحد.
رواه أحمد في «الزهد» [٢٥٤] عن يزيد بن أبي حبيب، والمعافي في «الزهد» رقم[١٧٠].

(٢) تقدّم؛ في فصل (ومن أقوال السلف في الزهد).

قلتُ: ونحوه قول المقدام بن معدي كرب؛ كما عند أبي داود في «الزهد» برقم [٤٠٦]؛ ودخل المسجد ورأى الناس يصلون التطوع في المسجد؛ فقال: «صلاة كصلاة الملائكة، والله لأنتم أكثر صلاة منا، ولنحن كنا خيرًا منكم» **وهو صحيح**.

أحاديث عامة في زهد الصحابة[١]

في المأكل:

أخرج الشيخان[٢] من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «والله إني لأول رجلٍ من العرب رمى بسهمٍ في سبيل الله، ولقد كنا نغزو مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما لنا طعامٌ نأكُلُه إلا ورقُ الحُبْلةِ وهذا السمرُ، حتى إن أحدنا ليضعُ كما تضعُ الشاة مالَهُ خلط، ثم أصبحت بنو أسدٍ تعزِّرُني على الدين، لقد خبتُ إذًا وضلّ عملي» وفي رواية: «وضلّ سعيي».

معاني:

- **ورقُ الحبلة وهذا السمر:** هما نوعان من شجر البادية، وقيل: الحبلة ثمر العضاة (شجر الشوك كالطلح والعوسج) وجوّد هذا النووي؛ وأيدوا هذا الوجه برواية عند الترمذي بلفظ: «ولقد رأيتني أغزو في العصابة من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما نأكل إلا ورق الشجر والحبلة». وقد فرّق القرطبي بين الورق والسمر كما في هذه الرواية وفيها التفريق بينهما، والله أعلم. وانظر «الفتح» (١١/ ٢٩٥).

- **إن أحدنا ليضع**: كناية عن التغوط.

- **ماله خلط**: يخرج يابسًا، وذلك ناشئ عن قشف العيش.

---

(١) وكان الصحابة يتفاوتون في الغنى والتبسط والسعة، فمن كان منهم يلبس لا يطعن على الذين لا يلبسون، والذين لا يلبسون لا يطعنون على الذين يلبسون.
۞ وكانوا يشبعون مرة ويجوعون أخرى.
- مع عدم تكلّف الجوع - وهذا قيدٌ مهم.

(٢) البخاري [٦٤٥٣]، وكذا [٥٤١٢]، ومسلم [٢٩٦٦]، والترمذي [٢٣٦٥]، وغيرهم.

- **تعـزرني**: توقفنـي على الأحـكام والفرائض، وقيـل: تقوّمني وتعلمنـي، وقيل: تلومنـي وتعتبنـي، وقيل: توبخني عـلى التقصير. ورجَّح القرطبي أن المـراد بالتعزير هنا الإعظام والتوقير. قال: كأنه وصف ما كانت عليه حالتهم في أول الأمر من شـدة الحال وخشـونة العيش والجهد، ثم إنهم اتسـعت عليهـم الدنيا بالفتوحـات وولوا الولايات، فعظمهـم الناس لشـهرتهم وفضلهم، فكأنه كره تعظيم الناس، وخص بني أسـد بالذكر لأنهم أفرطوا في تعظيمه.

لكن - الذي يظهر - أنه عتبوا عليه ووبخوه؛ ففي روايةٍ لهذا الحديث عند البخاري [٣٧٢٨] أنهم شكوه ووشوا به إلى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقالوا: «لا يحسن يصلي»(١).

قال الحافظ: «وهذا هو المعتمد».

من فوائد الحديث:

۞ بيان ما عليه أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الضيق وخشونة العيش. ويؤيدُ هذا الحديث حديثٌ آخر هو في معناه؛ ففي «صحيح مسلم» [٢٩٦٧][١٥] من حديث عتبة بن غزوان قال: «لقد رأيتني سـابع سـبعةٍ مع رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما طعامنا إلا ورقُ الحلبة. حتى قرحت أشـداقنا» أي: جرحت بسـبب خشـونة الورق الذي كانوا يأكلونه وحرارته.

قال النووي في - الحديث الأول -: «وفي هذا بيان ما كانوا عليه من الزهد في الدنيا والتقلل منها، والصبر في طاعة الله تعالى على المشاق الشديدة».

---

(١) وهذا ورد في قصةٍ طويلة عند البخاري [٧٥٥]، وانظر: «صحيح مسلم» [٤٥٣].

في الملبس:

في «صحيح البخاري» رقم [٤٤٢] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: رأيتُ سبعين من أصحاب الصفة ما منهم رجلٌ عليه رداء[١]، إما إزار[٢]، وإما كساء قد ربطوا[٣] في أعناقهم؛ فمنهَا ما يبلغ نصف الساقين، ومنها ما يبلغ الكعبين، فيجمعه بيده كراهية أن تُرى عورته».

قال الحافظ في «الفتح» (١/٦٣٩): «زاد الإسماعيلي أن ذلك في حالِ كونهم في الصلاة، ومحصّل ذلك أنه لم يكن لأحدٍ منهم ثوبان».

فهكذا كان أصحاب نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لكن من وسّع الله عليه فليوسع على نفسه من غير إسراف ولا مخيلة.

ففي «الصحيح»[٤] أيضًا من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قام رجلٌ إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسأله عن الصلاة في الثوب الواحد؛ فقال: «**أو كلكم يجد ثوبين؟**»، ثم سأل رجلٌ عمر؛ فقال: «إذا وسّع الله فأوسعوا. جمع رجل عليه ثيابه[٥]، صلّى رجلٌ في إزارٍ ورداء، في إزار وقميص، في إزارٍ وقباء، في سراويل ورداء، في سراويل وقميص، في تبان وقباء، في تبان وقميص، وقال[٦]: وأحسبه قال: في تبان ورداء».

---

(١) ما يستر أعالي البدن.
(٢) أي: فقط.
(٣) الأكسية.
(٤) البخاري [٣٦٥].
(٥) أي: إن جمع رجلٌ عليه ثيابه فحسن؛ وقال بعضهم: ليجمع وليصل.
(٦) أبو هريرة؛ والضمير في «أحسبه» راجع إلى عمر.

فانظر إلى ضيق حال الصحابة كيف وصل بهم الحال إلى مشقة ستر العورة في الصلاة، فبين ﷺ أن الاقتصار على الثوب الواحد لضيق حالهم جائز، والصلاة في الثوبين أفضل. وانظر «الفتح» (١/ ٥٦٧).

وفي «الزهد» لأحمد ص[٣٢٠،٣٢٠] بسندٍ صحيحٍ من حديث الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «والله لقد أدركت أقوامًا ما طوى لأحدهم في بيته ثوْب قط، ولا أمر في أهله بصنعةِ طعام قط، وما جعل بينه وبين الأرض شيئًا قط، وإن كان أحدهم ليقول: لوددت أني أكلة فتصير في جوفي مثل الآجرة»(١).

قال: ويقول: «بلغنا أن الآجرة تبقى في الماء ثلاث مائة سنة».

ولقد أدركت أقوامًا إن كان أحدهم ليرث المال العظيم، قال: وإنه لمجهود شديد الجهد، قال: فيقول لأخيه: يا أخي إني قد علمت أني ذو ميراث، وهو حلال، ولكني أخاف أن يُفسد عليَّ قلبي وعملي، فهو لك لا حاجة لي فيه».

قال: فلا يرزأ(٢) منه شيئًا أبدًا، قال: وهو والله مجهود شديد الجهد». قال: والله لقد أدركت أقوامًا كانوا فيما أحل الله لهم أزهد منكم فيما حرم عليكم، ولقد كانوا أشفق من حسناتهم أن لا تقبل منهم منكم أن تؤاخذوا بسيئاتكم».

وعند أحمد في «الزهد» ص[٣٤٧] أيضًا، وفيه زيادةٌ أخرى.

فهذا الصنفُ يخاف على نفسه الفتنة بالمال الكثير، فيدفعُهُ ويرضى بالدون صيانة لدينِهِ ونفسهِ وقلبه.



---

(١) وفي رواية: «إن كان أحدهم ليأكل فما عدا أن يقارب شبعه يمسك».
(٢) أي: فلا يطلب ولا يصيب منه شيئًا.

زهدُ أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

أفضل الأمة وخليفة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومؤنسهُ ورفيقه في الغار، وصديقه الأكبر، وهو أزهد الصحابة ثم عمر[1].

وأفضل الأولياء بعد الرسل.

وقد أنفق أبو بكرٍ مالَهُ كلّه حين رغّب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصدقة؛ فلم يسبقه يومًا أحد.

۞ ففي «سنن أبي داود» برقم [١٦٧٨] بسندٍ صحيح من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أمرنا رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومًا أن نتصدق، فوافق ذلك مالًا عندي، فقلتُ: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقتُهُ يومًا فجئتُ بنصفِ مالي؛ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما أبقيت لأهلك؟**» فقلتُ: مثلُهُ. قال: وأتى أبو بكر بكلِّ ما عنده. فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما أبقيت لأهلك**» قال: أبقيت لهم الله ورسولَهُ. قلتُ: لا أسابقك إلى شيءٍ أبدًا.

۞ ۞ وفي «الزهد» لأبي داود برقم [٣٥] من حديث عروة قال: إن أبا بكر أسلم وله أربعون ألف درهم.

---

(١) **قال ابن تيمية في «منهاج السنة» (٧/ ٤٧٩ -وما بعدها)**: «أهل العلم يقولون: أزهد الناس بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الزهد الشرعي: أبو بكر وعمر، وذلك أن أبا بكر كان له مال يكتسبه فأنفقه كله في سبيل الله، وتولى الخلافة، فذهب إلى السوق يبيع ويتكسب.. وقال بعض العلماء: عليٌّ كان زاهدًا، ولكن الصدق أزهد منه، لأن أبا بكر كان له المال الكثير في أول الإسلام والتجارة الواسعة فأنفقه في سبيل الله، وكان حاله في الخلافة ما ذُكر، ثم رد ما تركه لبيت المال». ثم نقل عن ابن حزم كلامًا طويلًا، وقال فيه: «ولقد تلا أبا بكر عمر في هذا الزهد..» وعزاه الدكتور/ رشاد سالم لابن حزم في «الفصل» (٤/ ٢١٦-٢١٨).



قال عروة: «فأخبرتني عائشة. قالت. توفي أبو بكر ولم يترك دينارًا ولا درهمًا، ضرب الله سكنه».

وأخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد» ص [١٣٦] وص [١٣٨] وهو صحيح. والفقرة الأولى مرسلة.

وفي «الزهد» لأبي داود برقم [٣٧] عن بكر بن عبد الله قال: «إن أبا بكر لم يفضل الناس بأنه كان أكثرهم صلاة وصومًا، إنما فضلهم بشيء كان في قلبه» وسنده صحيح.

قال العلامة ابن القيم في «الفوائد» ص (٨٣،٨٤)، وهو يتحدث عن صحبته لرسول الله ﷺ ومرافقته له في الغار[١]: «كان تحفة ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ﴾ [التوبة: ٤٠] مدخرة للصدّيق، دون الجميع، فهو الثاني في الإسلام، وفي بذل النفس، وفي الزهد، وفي الصحبة، وفي الخلافة، وفي العمر، وفي سبب الموت؛ لأن الرسول ﷺ مات عن أثر السم، وأبو بكر سُمَّ فمات[٢].

أسلم على يديه من العشرة عثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص.

وكان عنده يوم أسلم أربعون ألف درهم، فأنفقها أحوج ما كان الإسلام إليها، فلهذا جلبت نفقته عليه: «**ما نفعني مال. ما نفعني مال أبي بكر**» فهو خير من مؤمنِ آل فرعون؛ لأن ذلك كان يكتم إيمانه، والصدق أعلن به. وخيرٌ من مؤمن آل يس، لأن ذلك جاهد ساعة، والصديق جاهد سنين. عاين طائر الفاقة، ويحومُ حول حب الإيثار،

(١) لقد دخلا غارًا لا يسكنه لابث، فاستوحش الصديق من خوف الحوادث، فقال الرسول ﷺ: «**ما ظنك باثنين والله الثالث**» فنزلت السكينة، فارتفع خوف الحادث، فزال الخوف وطاب عيش الماكث. قاله ابن القيم في نفس المصدر.

(٢) يُنظر في ثبوته!.

ويصيح: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥]. فألفى له حب المال على روض الرضا، واستلقى على فراش الفقر، فنقل الطائر الحب إلى حوصلة المضاعفة، ثم علا على أفنان شـجرة الصدق؛ يغـرد بفنون المدح، ثم قال في محاريب الإسـلام يتلو: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾ [الليل: ١٧-١٨]..». إلى آخر كلمات ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.



زهدُ عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

أبو حفص العدوي الفاروق. أيّد الله به الإسلام، وفتح به الأمصار، وهو الصادق المحدث الملهم، فرّمنه الشيطان، وأعلى به الإيمان، وأعلن الأذان[١].

كان طعامُه الخبز والزيت:

ففي «الزهد» لهناد [٦٩٠] عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال - وهو في الإمرة -: «إني لا أجده يحل لي أكْلَ مالكم إلا عما كنتُ آكلًا من صلب مالي: الخبز والزيت، والخبز والسمن».

- فكان ربما أتى بالقصة قد جعلت بزيت، وما يليه بسمن، فيعتذر - فيقول: «إني رجلٌ عربي، ولست أستمرئُ هذا الزيت». وهو صحيح.

وفي «الزهد» لأحمد ص [١٥٠] عن أسلم العدوي والد زيد قال: «أصاب الناس سنة غلا فيها السمن، وكان عمر يأكل الزيت، فيقرقر بطنه، فيقول: قرقر ما شئت، فوالله لا تأكل السمن حتى يأكل الناس، ثم قال: اكسر عني حرّه بالنار، فكنتُ أطبخه له فيأكله». وسنده صحيح[٢].

وقد أنشد بعضهم في ذلك أبياتًا:

يا من يرى عمر تكسوهُ بردته ... الزيتُ أُدْمٌ لَهُ والكوخ مأواه

يهتز كسرى على كرسيه فرقًا ... وملوكُ الروم تخشاهُ

وفي «الزهد» لأحمد ص (١٤٢، ١٤٣) عن الأحنف بن قيس قال: «وكنا نشهد طعام عمر فيومًا لحمًا غريضًا[٣] ويومًا قديدًا ويومًا زيتًا» وهو صحيح.

---

(١) «تذكرة الحفاظ» (١/ ٥) للحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٢) وأخرجه كذلك ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٣١٣).
(٣) **والغريض**: الطريُّ؛ كما في «القاموس».

أما ملبسُهُ:

فلم يكن يبالي هل يلبس ثيابًا من أفخم الثياب وأحسنها أم ثيابه دون ذلك، حتى وصل به الأمر أن لبس ثيابًا مرقعًا.

ففي «الزهد» لهنّاد برقم [٧٠١] من حديث أنس بن مالك قال: «رأيت بين كتفي عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أربع رقاع في قميصه» وهو صحيح.

وأخرجه أبو داود في «الزهد» رقم [٥٨]، وانظر أيضًا: ما ورد في «الزهد» لأحمد ص(١٥١،١٥٣،١٥٤).

وفي «الزهد» لأحمد ص[١٥٤][1] عن مصعب بن سهل قال: قالت حفصة بنت عمر: يا أمير المؤمنين لو لبست ثوبًا هو ألين من ثوبك، وأكلت طعامًا هو أطيب من طعامك، فقد وسع الله عَزَّوَجَلَّ من الرزق وأكثر من الخير، قال: إني سأخصمك إلى نفسك. أما تذكرين ما كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يلقى شدة العيش؛ فما زال يذكرها حتى أبكاها؛ فقال لها: إن قلت لك ذاك إني والله لئن استطعت لأشاركنهما[2] بمثل عيشهما الشديد لعلي أدرك معهما عيشهما الرخي» وهو صحيح.

وها هو عمر – وهو أمير المؤمنين – يقول وهو في أنفاسه الأخيرة حين قُتل – يقول لولده[3]: «يا عبد الله بن عمر انظر ما عليَّ من الدَّيْن؟، فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفًا أو نحوه. قال: إن وفى له مال آل عمر فأدّ من أموالهم – وإلا فسل في بني عدي بن كعب، فإن لم تف أموالهم فسل في قريش ولا تعدهم إلى غيرهم فأدّ عني هذا المال».

لم يقل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: انظر ما لنا من قصور وحدائق وأموال!

---

(١) وأخرجه هناد في «الزهد» رقم [٦٨٧].

(٢) يعني: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبا بكر.

(٣) كما في «صحيح البخاري» [٣٧٠٠].

بل قال: «انظر ما عليّ من الدين».

خليفة مدينٌ وحاكمٌ فقير!

خليفة فاضلٌ لا يستغل أموال الأمَّة في مصلحته الخاصة.

حاكم عادلٌ لا يوظّف خزينة المسلمين لمنفعته الذاتيه.

تأمّل كيف كان عمر يعمل وينصف ويعدل، ومع ذلك كله يقول: «وددتُ أن ذلك كفاف»(١).

وقد قال عمر حين طُعن أيضًا - كما في «صحيح البخاري» - [٣٦٩٢]: «والله لو أن لي طلاع الأرض ذهبًا لافتديت به من عذاب الله عَزَّوَجَلَّ قبل أن أراه».

* وفي «الزهد» لأبي داود رقم [٦٩](٢) بسندٍ صحيح من حديث طارق بن شهاب قال: لما قدم عمر الشام أتى ببرذون فركبه، فهزه فنزل عنه، فعرضت له مخاضة فنزل عن بعيره، وأخذ بخطامه، ونزع موقيه(٣) فأخذهما بيديه وخاض الماء؛ فقال أبو عبيدة: صنعت اليوم صنيعًا عظيمًا عند أهل الأرض، فصك عمر في صدرِه؛ فقال: «إنه لو غيرك يقول هذا، إنكم كنتم أقل الناس وأذل الناس وأضعفه، فأعزكم الله بالإسلام، فمهما تطلبوا العز بغيره يذلكم».

---

(١) «من مواقف الصحابة» ص [١٠٤،١٠٥] للشيخ العوايشة.

(٢) وأخرجه أيضًا هنَّاد في «الزهد» رقم [٨١٧] من طريق الأعمش عن قيس بن مسلم عن طارق به، ولفظه: «لما قدم عمر الشام تلقته الجنود، وعليه إزار، وخفّان، وعمامة، وهو آخذ برأس راحلته، يخوض الماء، فقالوا: يا أمير المؤمنين! تلقاك الجنود والبطارقة، وأنت على حالك هذا؟ فقال عمر: إنا قوم، أعزنا الله بالإسلام، فلن نلتمس العزة بغيره».

(٣) أي: خفيه.

وانظر: «الزهد» لأحمد ص [١٥٠] والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٣/ ٢٠٥٢). وزهد أبي داود أيضًا برقم [٧٧]، و«شعب البيهقي» (١٣/ ١٨٠) ط. الرشد.

وفي «الزهد» لهناد برقم [٦٨٩] وسنده صحيح من طريق: يسار بن نمير قال: «والله ما نخلت لعمر الدقيق إلا وأنا لله عاص» وفي رواية: «وأنا له – يعني عمر – عاص» عند أبي داود في «الزهد» برقم [٨٣] وقد كان يمنع من اتخاذ المنخل. كما عند أبي داود في «الزهد» رقم [٧٧،٧٨].

وكان رسولُ الله ﷺ يعطيه العطاء، فيقول عمر: أعطه أفقر إليه مني، فقال له النبي ﷺ: «**خذه وتموله وتصدق به، فما جاءك من هذا المال وأنت غير مشرف، ولا سائل فخذه، وإلا فلا تتبعه نفسك**». رواه البخاري [٧١٦٣]، ومسلم [١٠٤٥].

زهد عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

أبو عمرو الأموي ذو النورين، ومن تستحي منه الملائكة، ومن جمع الأمة على مصحف واحد بعد الاختلاف، ومن افتتح نوابه إقليم خراسان وإقليم المغرب.

وكان من السابقين الصادقين القائمين الصائمين المنفقين في سبيل الله.

وممن شهد له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجنة، وزوّجه بابنتيه رقية وأم كلثوم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَ.

قال الذهبي(١): «وكان ممن جمع بين العلم والعمل والصيام والتهجد والإنفاق، والجهاد في سبيل الله وصلة الأرحام فقبح الله الرافضة؛ قال هشام بن يوسف الصنعاني: أخبرنا عبد الله ابن بجير عن هانئ مولى عثمان قال: كان عثمان إذا وقف على قبرٍ بكى حتى يبلَّ لحيته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» ا.هـ.

قلتُ: والأثر أخرجه عبد الله في «زوائد الزهد» ص[١٦٠] عن يحيى بن معين عن هشام به. **وسندُهُ جيد** - على كلام في عبد الله بن بجير القاص وقد وثقه ابن معين - ولفظ الأثر هناك: كان عثمان إذا وقف على قبرٍ بكى حتى يبل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة فلا تبكي وتبكي من هذا. قال: إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشدّ منه**». قال: وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**ما رأيت منزلًا إلا ورأيت القبر أفظع منه**». قال: وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه ثم قال: «**استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يُسأل**»(٢).

(١) «التذكرة» (١/ ٩). وقال الذهبي: «هاجت رؤوس الفتنة والشر، وأحاطوا به، وحاصروه ليخلع نفسه من الخلافة، وقاتلوه قاتلهم الله؛ فصبر، وكفّ نفسه وعبيده، حتى ذُبح صبرًا في داره. والمصحف بين يديه، وزوجته نائلة عنده، وتسور عليه أربعة أنفس».

(٢) حديثٌ حسنٌ: أخرجه أبو داود [٣٢٢١]، والترمذيُّ [٢٣٠٨]، وابن ماجه [٤٢٦٧]، =

وفي «الزهد» ص [١٦٠] لأحمد بسند صحيح عن عبد الله بن الزبير قال: قلتُ لعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم الدار: قاتلهم الله، فوالله لقد أحلَّ الله لك قتالهم. فقال: لا والله لا أقاتلهم أبدًا فدخلوا عليه فقتلوه وهو صائم.

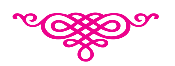
وفي «زوائد الزهد» ص [١٦٠] لعبد الله بن أحمد بسند لا بأس به في الآثار عن شرحبيل بن مسلم أن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يطعم الناس طعام الإمارة، ويدخل إلى بيته فيأكل الخل والزيت.

قلت: وشرحبيل من الثالثة وفيه لين، قال الحافظ: «صدوق فيه لين»، وضعفه ابن معين.

وقال الذهبي في «الميزان» (٢/ ٢٦٧): «تابعيٌّ مشهور، وثقة أحمد وغيره. ونقل عن ابن معين تضعيفه». وهو شاميٌّ فراوية إسماعيل عنه مقبولةٌ.

لكنني أتوجَّلُ من سماعهِ من عثمان؛ فلا أدري!!

وفي الجملة؛ فعثمانُ الحيّ كان زاهدًا عابدًا صائمًا قائمًا متصدقًا منفقًا. جهّز جيش العسرة بماله وحفر بئر رومة، وبشره رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجنة مع بلوى تصيبه. فصبر واحسب. وزهد في الدنيا مع غناه؛ فرضي الله عنه وأرضاه، وقبح الله من اعتدى عليه وعاداه.



=عن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بإسنادٍ حسَّنه النوويُّ في «خلاصة الأحكام» [٣٦٧٤]، وصححه في «روضة الطالبين» (٢/ ١٣٨)، وحسنه المناويُّ في «التيسير» (٢/ ٤٩٧). وراجع «البدر المنير» لابن الملقن (٥/ ٣٣٠).



زهدُ عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه

وعليٌّ هو أبو الحسن ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ رابع الخلفاء الراشدين، شهد النبي صلى الله عليه وسلم له بالجنة.

وهو أول من أسلم من الغلمان لم يتلعثم، وهو زوج ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة رضي الله عنها. وانظر: في سيرته «البداية» (٧/ ٢٣٣).

۞ تقدّم في باب [ومن أقوال السلف في الزهد] أثرٌ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا؛ فإن اليوم عملٌ ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل».

وهو في «الصحيح» معلّقًا؛ كما في «الفتح» (١١/ ٢٣٩).

أما عن طعامه:

فقد روي عبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد» ص [١٦٤] **بسندٍ رجاله ثقات**. عن عدي عن عدي بن ثابت(١) أن عليًّا أتى بفالوذج(٢) فلم يأكله.

فكانوا لا يتنعمون بأطايب الطعام حتى لا يُقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾.

فكانوا يربون أنفسهم على القناعة باليسير والرضا بالقليل ما يسدّ جوعهم ويقيم أصلابهم.

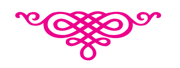
---

(١) وهو ثقة من رجال الجماعة هو من الطبقة الرابعة فسماعُهُ من علِيٍّ محتمل؛ والأثر رواه أيضًا هناد في «الزهد» رقم [٦٩٨].

(٢) طيب الطعم، حسن اللون، طيب الريح؛ وانظر: «الزهد» أيضًا ص [١٦٥].

وأما ثيابُه:

فقد روى هناد في «الزهد» رقم [٧١٣] بسـندٍ حسن. عن ابن أبي الهذيل (عبد الله) قـال: «رأيت على عليٍّ قميصًا رازيًّا، إذا أرخى كمه بلغ أطراف الأصابع، وإذا تركه صار إلى الرُّصغ»(١).



(١) والرصغ والرسـغ لغتان: مفصل ما بين الكف والسـاعد، وانظر: «التواضع والخمول» [١٤٠]، و«إصلاح المال» [٣٦٧]، كلاهما لابن أبي الدنيا.



زهد الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وهو ابن العوام وزوج أسماء أخت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومشهودٌ له بالجنة، وهو من ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ﴾ [آل عمران: ١٧٢]. كما ثبت ذلك في «الصحيحين».

أما عن زهده:

فقد روى البخاري في «الصحيح» برقم [٥٢٢٤]، ومسلم كذلك برقم [٢١٨٢] من حديث:

أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «تزوجني الزبير وماله في الأرض من مالٍ ولا مملوك ولا شيء غير ناضحٍ وغير فرسه، فكنت أعلِفُ فرسه(١) وأستقي الماء وأَخْرِزُ غَرْبَه(٢) وأعجن، ولم أكن أحسن أخبزُ، وكان يخبز جاراتٌ لي من الأنصار، وكن نسوة صدِق، وكنت أنقُلُ النوى من أرض الزبير - التي أقطعه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - على رأسي، وهي مني على ثلثي فرسخ(٣)...الحديث».

وكلُّ هذا؛ للحاجة والضرورة والشدة التي حلّت بهم؛ ولضيق ما بأيديهم.

قال النووي: «وأما قولها: وكنت أنقل النوى من أرض الزبير» فأشار القاضي إلى أن معناه: (أنها تلتقطه من النوى الساقط فيها مما أكله الناس وألقوه).

---

(١) في رواية مسلم: «فكنت أعلف فرسه، وأكفيه مؤنته وأسوسُه، وأدق النوى لناضحه وأعلفه».

(٢) غرْبَهُ: الدلو الكبير.

(٣) أي: من مسكنها بالمدينة. **والفرسخ**: ثلاثة أميال، والميل: ستة آلاف ذراع، والذراع: أربع وعشرون أصبعًا معترضة معتدلة. قاله النووي (١٤/ ١٦٥).

ومن أقواله المأثورة:

ما رواه أبو داود في «الزهد» برقم [١١٩] بسندٍ صحيح. عنه قال: «من استطاع أن تكون له خبيئة من عملٍ صالح فليفعل» - يعني -: عملًا صالحًا يعمل خفية.

۞ وهـذا الزهد ورثه ولدُهُ عبد الله بن الزبير بن العوام[1] رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وكان أول مولود بالمدينـة في الإسـلام، وفي «الزهد» لأبي داود برقم [٣٩٠] عن ثابـت قال: «كنت أمر بابن الزبـير وهـو يصلي خلـف المقام، كأنه خشـبة منصوبـة أو حجر منصـوب لا يتحرك» وهو صحيح. وانظر: «الزهد» لأحمد ص[٢٤٩].



---

(١) وفي «صحيـح البخـاري» برقم [٤٦٦٥] أن ابن عباس قـال: «أما أبوه فحواري النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يريـد الزبـير - وأما جدُّهُ فصاحب الغار يريد أبا بكر، وأما أمه فذات النطاق، يريد أسـماء، وأما خالتـه فأمُّ المؤمنين يريد عائشـة. وأمـا عمته فزوج النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يريد خديجـة، وأما عمة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فجدته يريد صفية، ثم عفيف في الإسلام، قارئ للقرآن..».

قلـتُ: وقـد قتله الحجاج وصلبَهُ على عقبـة المدينة؛ ويمرُّ الناس عليه، ومـرّ ابن عمر فوقف عليه، فقال: السـلام عليك أبا خبيب! السـلام عليك أبا خبيب! السـلام عليك أبا خبيب، أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا، أما والله لقد كنتُ أنهاك عن هذا!.. أما والله إن كنت ما علمتُ صوامًا، قوّامًا، وصولًا للرحم، أما والله لأمَّةٌ أنت أشرها لأمةٌ خير» كما عند مسلم في «الصحيح» [٢٥٤٥].



زهدُ عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

وهو أبو محمد القرشي؛ **قال الحافظ ابن كثير**(١): «أسلم قديماً على يدي أبي بكر، وهاجر إلى الحبشة وإلى المدينة، وآخى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بينه وبين سعد بن الربيع، وشهد بدرًا وما بعدها... وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الثمانية السابقين إلى الإسلام وأحد الستة أصحاب الشورى ثم أحد الثلاثة الذين انتهت إليهم منهم» إلى نهاية تلك المناقب السامية في حقه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

۞ **قلتُ**: وقد تاجر عبد الرحمن فربح وصار غنيًّا؛ لكنه في الوقت ذاتِه زاهدٌ فاضل؛ ففي «صحيح البخاري» برقم [٢٠٤٨] من حديث عبد الرحمن بن عوف قال: لما قدمنا المدينة؛ آخى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيني وبين سعد بين الربيع؛ فقال سعد بن الربيع: إني أكثر الأنصار مالًا، فأقسم لك نصف مالي، وانظر أيَّ زوجتيّ هويت؛ نزلتُ لك عنها، فإذا حلَّت؛ تزوجتها.

قال: فقال له عبد الرحمن :لا حاجة لي في ذلك، هل من سوقٍ فيه تجارة؟

قال: سوقُ قينقاع.

قال: فغذا إليه عبد الرحمن، فأتى بأقطٍ(٢) وسمنٍ.

قال: ثم تابع الغُدو، فما لبث أن جاء عبد الرحمن عليه أثر صفرة. فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تزوجت؟**» قال: نعم. قال: «**ومنْ؟**» قال: امرأة من الأنصار. قال: «**كم سقت؟**» قال: زنة نواةٍ من ذهب أو نواة من ذهب. فقال له رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أولم ولو بشاة**».

---

(١) «البداية» (٧/ ١٧٠).

(٢) لبن مجفف يابس مستحجر يطبخ به.

فانظر – رعاني الله وإياك – إلى قول عبد الرحمن لأخيه سعد: «لا حاجة لي في ذلك».

«إن زهد عبد الرحمن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بمالِ أخيه ليذكر بقصة محاسبته نفسه وبكائه وترك الطعام حين كان صائمًا؛ وذلك في القصة التي يرويها[1] عنه سعد بن إبراهيم عن أبيه إبراهيم[2]: إن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أتى بطعام – وكان صائماً – فقال: قتل مصعب بن عمير – وهو خير مني – كُفّن في بردة، إن غُطّي رأسُه بدت رجلاه، وإن غُطي رجلاه، بدا رأسه». وأراه قال: «وقتل حمزة وهو خير مني، ثم بسط لنا من الدنيا ما بُسط – أو قال –: أعطينا من الدنيا ما أعطينا – وقد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا» ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام.

انظر إلى قول عبد الرحمن: «قتل مصعب بن عمير وهو خير مني».

وإن هذا لهو التواضع بعينه؛ بل إن هذا هو من الزهد كذلك. وفي «الشعب» (٦/ ٣٠١) للإمام البيهقي أورد عن الحسن قوله: «الزاهد إذا رأى أحدًا قال هذا أفضل مني».

ينظر إلى من يراه أفضل منه في أمور دينه لا أمور دنياه؛ فقد قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**انظروا إلى من أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله**». رواه مسلم.

وفي «الصحيحين»: «**إذا نظر أحدكم إلى من فُضل عليه في المال والخلْق فلينظر إلى من هو أسفل منه**».

---

(١) رواه البخاري كتاب «الجنائز»، انظر: «الفتح» (٢/ ٩٨)، (٣/ ١٤٢).
وهو في «الصحيح» برقم [٤٠٤٥]، وسيأتي الحديث مكررًا في «تذكر سير الصالحين وزهدهم».
(٢) هو ابن عبد الرحمن بن عوف.

ولك أن تتساءل: ما ميزان الخيرية عند عبد الرحمن حين تذكَّر مصعبًا أخاه، وقال: «هو خير مني»؟ كفن أخوه في بردة قاصرة!

هكذا هم يزنون الخيرية، أما نحن فنزنها بكثرة الأموال والشهادات والمناصب!

۞ أما ميزان عبد الرحمن بخلاف ذلك.

ولذلك تسابقوا إلى الزهد.. وتسابقنا إلى الدنيا.

هـذه صورة أبكت عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد كان يعيش الزهد، فما الذي ينبغـي أن نفعله نحـن؟ إن الشيء الذي يمكن أن نقدمه هو أن نجود بالدموع، وأن نعزم عـلى فتـح صفحة جديدة من حياتنا؛ نزهد فيها في الدنيـا ونطمع فيها في الآخرة، ولنعلم أن الدنيـا فانيـة والآخرة خير وأبقى.. وجعل عبد الرحمن يبكـي حتى ترك الطعام وكان صائمًا حين تذكر إخوانه الذين قضوا نحبهم وأفضوا إلى ربهم؛ فما لنا لا نبكي وقد نعزي كلّ يوم أخًا من إخواننا؟ ما لنا لا نبكي من ذنوبنا ونتخلي عن الشهوات»[1].



(١) انظر: «من مواقف الصحابة» للشيخ العوايشة ص [١٢٩] وما بعدها، ص [١٤١] وما بعدها.

أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه رضي الله عنهم

وأبو عبيدة هو عامر بن عبد الله بن الجراح أسلم قديمًا، وشهد بدرًا، أحدُ العشرة المشهود لهم بالجنة.

أخرج البخاري في «الصحيح» برقم (٤٣٦٠،٤٣٦١،٤٣٦٢)، ومسلم في «الصحيح» برقم [١٩٣٥] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال: «بعث رسولُ صلى الله عليه وسلم بعثًا قبل الساحل، وأمَّر عليهم أبا عبيدة بن الجراح وهم ثلاثمائة، فخرجنا وكنا ببعض الطريق في الزّاد، فأمر أبو عبيدة بأزواد الجيش فجمع، فكان مِزْوَدي تمر، فكان يفوتنا كل يوم قليلًا قليلًا حتى فنى، فلم يصيبنا إلا تمرةٌ تمرة، فقلتُ: ما تُغني عنكم تمرة؟ فقال: لقد وجدنا فقدها حينَ فنيت، ثم انتهينا إلى البحر فإذا حوتٌ مثل الظَّرب، فأكل منه القوم ثمانَ عشرة ليلة، ثم أمر أبو عبيدة بضلعين من أضلاعه فنصبا، ثم أمر براحلةٍ فرُحِلت، ثم مرّت تحتهما، فلم تصبهما».

وفي رواية[١]: «غزونا جيش الخبط[٢]، وأُمِّر أبو عبيدة، فجعنا جوعًا شديدًا، فألقى البحر حوتًا ميتًا لم يُر مثلُه، يُقال له العنبر، فأكلنا منه نصف شهر، فأخذ أبو عبيدة عظمًا من عظامه فمرّ الراكب تحته». وفي الرواية بعدها: «وادّهنا بودكه[٣] حتى صلحت أجسامنا، قال: فأخذ أبو عبيدة ضِلعًا من أضلاعه فنصبه فمرّ الراكب تحته، وكان فينا رجل، فلما اشتد الجوع نحر ثلاث جزائر، ثم ثلاث جزائر ثم نهاه أبو عبيدة».

---

(١) في «الصحيح» [٤٣٦٢،٥٤٩٣].

(٢) ورق الشجر.

(٣) الدسم.

وفي روايـة[1]: «فأصابنا جوع شـديد حتى أكلنا الخبط فُسـمّي ذلك الجيش جيش الخبط..».

وفي روايـة مسـلم: قال جابر: بعثنا رسـول الله ﷺ وأمَّر علينـا أبا عبيدة: نتلقـى عـيرًا لقريـش. وزوّدَنا جرابًا مـن تمرٍ لم يَجد لنا غـيره، فكان أبو عبيـدة يُعطينا تمرةً تمـرةً. قـال: فقلت: كيف كنتم تصنعـون بها؟ قال: نمصّها كما يمـصُّ الصبي، ثم نشرب عليهـا مـن الماء، فتكفينا يومًا إلى الليل، وكنا نـضرب بعصِيِّنا الخَبط، ثم نبلُّه بالماء فنأكله، قال: وانطلقنا على سـاحل البحر. فرُفع لنا على سـاحل البحـر كهيئة الكثيب[2] الضخم فأتينـاه فـإذا هي دابةٌ تدعى العنبر. قال: قال أبو عبيدة: مَيْتة، ثم قال: لا. بل نحن رُسُـل رسـول الله ﷺ وفي سـبيل الله. وقد اضطررتم فكُلُوا، قال: فأقمنا عليه شـهرًا، ونحن ثلاث مائةٍ حتى سِمنّا.

قال: ولقد رأيتنا نغترف من وقْب[3] عينهِ بالقلال[4]، ونقتطع منه الفِدَر[5] كالثور (أو كقدر الثور) فلقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلًا. فأقعدهم في وقب عينه، وأخذ ضلعًا من أضلاعه. فأقامها. ثم رحل[6] أعظم بعير منا. فمرّ من تحتها، وتزودنا من لحمه وشائق[7]، فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك له. فقال: «**هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم من لحمه شـيء فتطعمونا؟**» قال: فأرسـلنا إلى رسول الله ﷺ منه فأكله.

(١) في «الصحيح» برقم [٤٣٦١].
(٢) الجبل الصغير، أو ما نتأ من الجبل.
(٣) داخلُه؛ ومنه: ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ [الفلق: ٣].
(٤) جمع قلة وهي الجرة الكبيرة التي يقلها الرجل بين يديه.
(٥) جمع فدرة وهي القطعة من اللحم.
(٦) جعل عليه رحلًا.
(٧) اللحم يغلي إغلاءة ويحمل في السفر ولا ينضج لئلا يتهرّى.

۞ فانظر إلى حالِ الصحابة وهم في أسفارهم كيف يلحقهم الجوعُ الشديد ويعانون منه أشدّ العناء، ومع ذلك ترى عندهم من الصبر والجلد ما لا تجده في هذا الزمان. فكان الأولـون لا ينحرفون يمنـةً ولا يسرة إذا أصيبوا، أما في هذه الأيـام فأحدنا: «إذا أصابته فتنة انقلب على وجهه..» ولا حول ولا قوة إلا بالله.



زهدُ أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وخبرُ أهلِ الصفة أضيافِ الإسلام

وأبو هريرة هو عبد الرحمن بن صخر على الأشهر.

قال عنه الذهبي في «التذكرة» (١/ ٣٢،٣٣): «الفقيه صاحب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان من أوعية العلم، ومن كبار أئمة الفتوى مع الجلالة والعبادة والتواضع، وكان من أصحاب الصفة فقيرًا. ذاق جوعًا وفاقة، ثم بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلح حاله وكثر ماله، وكان كثير التعبد والذكر»ا.هـ.

۞ وفي «صحيح البخاري» برقم [٦٤٥٢] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه كان يقول: آلله الذي لا إله إلا هو؛ إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنتُ لأشدُّ الحجر على بطني من الجوع، ولقد قعدت يومًا على طريقهم الذي يخرجون منه؛ فمرّ أبو بكرٍ فسألته عن آيةٍ من كتاب الله، ما سألته إلا ليشبعني؛ فمرّ ولم يفعل. ثم مرّ بي عمر فسألته عن آيةٍ من كتاب الله؛ ما سألته إلا ليشبعني؛ فمرّ ولم يفعل، ثم مرّ بي أبو القاسم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتبسَّم حين رآني؛ وعرف ما في نفسي، وما في وجهي؛ ثم قال: «**يا أبا هر!**» قلتُ: لبيك يا رسول الله؛ قال: «**الحق**» ومضى، فتبعتهُ، فدخل فاستأذن؛ فأذن لي، فدخل فوجد لبنًا في قدح؛ فقال: «**من أين هذا اللبن؟**» قالوا: أهداه لك فلانٌ - أو فلانة. قال: «**يا أبا هر!**» قلتُ: لبيك يا رسول الله، قال: «**الحق إلى أهل الصفة فادعهم لي**» قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام، لا يأوون على أهلٍ ولا مالٍ ولا على أحد؛ إذا أتته صدقة بعث بها إليهم، ولم يتناول منها شيئًا، وإذا أتته هدية أرسل إليهم، وأصاب منها، وأشركهم فيها، فساءني ذلك، فقلتُ: وما هذا اللبن في أهل الصفة؟ كنت أحقّ أن أصيب من هذا اللبن شربةً أتقوّى بها، فإذا جاءوا أمرني فكنتُ أنا أعطيهم، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن، ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدّ، فأتيتهم

فدعوتهـم فأقبلوا فاسـتأذنوا، فأذن لهم، وأخذوا مجالسـهم من البيت. قـال: «**يا أبا هر**» قلت: لبيك يا رسـول الله؛ قال: «**خذ فأعطهم**»؛ فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيـشرب حتـى يروى، ثم يردُّ عـليّ القدح حتى يروى؛ ثـم يردّ عليّ القـدح حتى انتهيتُ إلى النبـي ﷺ وقـد رَوي القومُ كلهـم، فأخذ القدح فوضعه على يـده، فنظر إليّ فتبسّـم؛ فقال: «**أبا هر**» قلت: لبيك يا رسـول الله، قال: «**بقيتُ أنا وأنت**» قلت: صدقت يـا رسـول الله؛ قال: «**اقعد فاشـرب**» فقعـدتُ فشربت؛ فقال: «**اشـرب**» فشربتُ فما زال يقـول: «**اشـرب**» حتى قلـتُ: لا والذي بعثك بالحق، ما أجدُ له مسـلكًا، قـال: «**فأرني**» فأعطيته القدح، فحمد الله، وسمّى وشرب الفضلة.

وفي «صحيح البخاري» برقم [٥٤١٤]: من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه مرّ بقومٍ بـين أيديهم شـاةٌ مصلية فدعـوه فأبى أن يـأكل قال: «خرج رسـول الله ﷺ من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير».

قال الحافظ (٩/ ٤٦١): «ليس هذا من ترك إجابة الدعوة، لأنه في الوليمة لا في كل الطعام، وكأن أبا هريرة اسـتحضر حينئذٍ ما كان النبي ﷺ فيه من شـدة العيش فزهد في أكل الشاة، ولذلك قال: خرج ولم يشبع من خبز الشعير».

وفي «الزهد» لأبي داود برقم [٢٩٧] بسـندٍ حسـن: من حديـث ثعلبة بن أبي مالك أن أبا هريرة أقبل في السوق يحملُ حزمة حطب وهو يومئذٍ خليفة لمروان، فقال: «أوسع الطريـق للأمير يـا ابن أبي مالك» فقلـت: أصلحك الله يكفي هذا. قال: «وسـع الطريق للأمير يا ابن أبي مالك» والحزمة عليه.

وفي «صحيح البخاري» برقم [٧٣٢٤] من حديث محمد – ابن سيرين – قال: «كنا عنـد أبي هريـرة وعليه ثوبان ممشـقان من كتّان فتمخّط فقال: بخٍ بـخٍ! أبو هريرة يتمخط في الكتان، لقد رأيتني وإني لأخر فيما بين منبر رسـول الله ﷺ إلى حجرة عائشـة

مغشـيًا عـليَّ فيجيء الجاني، فيضع رجله على عُنُقي، ويـرى أني مجنون وما بي جنون ما بي إلا الجوع».

ممشقان: مصبوغان بالمشق (الطين الأحمر). «الفتح» (١٣/ ٣٠٧).

وفي «صحيـح البخـاري» رقم [٣٧٠٨] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن الناس كانوا يقولون: أكثر أبو هريرة، وإني كنت ألزمُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشَبع بطْني حتى لا آكل الخمير، ولا ألبس الحبير، ولا يخدمني فلان ولا فلانه، وكنتُ ألصِقُ بطني بالحصباء مـن الجوع، وإن كنتُ لأسـتقرئ الرجلَ الآيـة هي معي كي ينقلـب بي فيطعمني. وكان أخْيَرَ الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب، كان ينقلبن بنا فيطعمنا ما كان في بيته. حتى إن كان ليخرج إلينا العُكَّة التي ليس فيها شيء فيشقُّها فنلعق ما فيها.

الحبير: ما كان من البرد موشىً مخططًا.

العكة: ظرف السمن.

وحالـةُ أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لا يصـبر عليها كثيرٌ من الناس، وهي حالةٌ فيها مصلحةٌ للديـن والشرع، ولـولا ذلك لما فعل ذلك؛ إذ الضرر بالنفس وإيصالها إلى الهلكة أمرٌ غير محمـود شرعًـا ولكـن إذا عارضه ما هـو أهم من غـير تحقق الضرر كـما فعل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فلا حرج.

ولذلك علم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما لم يعلمه كثيرٌ من الصحابة وكانوا يشهدون له بالحفظ.

قـال الحافـظ في «الفتـح» (٧/ ٩٤،٩٥): «وأخرج ابن سـعد في [بـاب أهل العلم والفتوى من الصحابة] في «طبقاته» **بإسـنادٍ صحيح**. عن سـعيد بن عمرو بن سـعيد بن العـاص قـال: قالت عائشـة لأبي هريرة: إنـك لتحدث عن النبـي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حديثًا ما سمعتهُ منه، قال: شغلكِ عنه يا أمه المرآة والمكحلة، وما كان يشغلني عنه شيء».

زهدُ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

أبو العباس الهاشمي ابن عم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وهو الذي دعا له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالفقه في الدين وعلْم التأويل وهو ربانيٌّ من الربانيين، كان إذا فسّر كأن نورًا يخرج من بين ثناياه.

فهو حبر الأمة، وتُرجمان القرآن.

۞ **وكان كثيرَ البكاء**؛ فعن أبي رجاء العطاردي قال: «كان هذا المكان من ابن عباس مثل الشراك البالي من الدموع». وهو عند أبي داود في «الزهد» رقم [٣٤١]، وعند عبد الله في «زوائد الزهد» ص[١٨١]، ولفظه: «رأيتُ ابن عباس وأسفل من عينيه مثل الشراك البالي من الدموع»، وأخرجه أيضًا أحمد في «فضائل الصحابة» [١٨٤٣]، وبرقم [١٩٣٠] «زوائد الفضائل»، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٤/ ٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣٠٧)، وفي «معرفة الصحابة» (٣/ ١٧٠٥) بإسنادٍ صحيح.



ابن عمر والمساكين

مع توسع ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في بعض المباح فيما يتعلق بكثرة النساء والسراري والمآكل والملابس[١] إلا أن الدنيا ما مالت به وما مال بها[٢].

فكان يؤثر المساكين بالطعام على نفسه ويصبح صائمًا.

ففي «الزهد» لأبي داود رقم [٣١١] من حديث نافع عن ابن عمر: «أنه كان يجمع أهل بيته على جفنته كل ليلة. قال: فربما سمع بكاء المسكين فأخذ نصيبه من اللحم والخبز، فيدفعه إلى المسكين، ويرجع إلى مكانه، وقد فرغوا مما في الجفنة، ثم يُصبح صائمًا».

ويقول ابن عمر: «إنه ليأتي عليَّ الشهر ما أشبع فيه» عند أبي داود في «الزهد» برقم [٢٩٥]، وأحمد في «الزهد» ص[٢٦٣]، وهو صحيح.

وعند أبي داود أيضًا في «الزهد» برقم [٣٠٤] عن حمزة بن عبد الله بن عمر قال: «لو أن طعامًا كثيرًا عند عبد الله ابن عمر ما شبع منه بعدُ إلا أن يجد له آكلًا» وهو صحيح وفي أوّله قصة.

وبرقم [٣٠٠] عن نافع مولى ابن عمر قال: «إن كان ابن عمر ليقسم في المجلس الواحد ثلاثين ألف درهم، ثم يأتي عليه الشهر ما يأكل مزعة من لحم» وسندُه حسن.

- **مزعة**: قطعة يسيرة.

** وفي «مصنف ابن أبي شيبة» (١٢/ ١٤٨) عن جابر قال: «ما منَّا أحد أدرك الدنيا إلا وقد مال بها أو مالتْ به إلا عبد الله بن عمر».

---

(١) كما قال الحافظ في «الفتح» (١١/ ٢٨٣).
(٢) انظر: «التذكرة» للذهبي (١/ ٤٠).

وكان لا ينامُ من الليل إلا قليلًا. يبيت عابدًا لربه؛ كما في «الصحيحين» البخاري [١١٢٢] ومسلم [٢٤٧٩]، عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل**»؛ فكان بعْدُ لا ينام من الليل إلا قليلًا.

۞ وفي «زوائد الزهد» لعبد الله بن أحمد ص [١٩٣][(١)]، ومن طريقه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٠٢)، والمزيُّ في «تهذيب الكمال» (٣/ ٢٣٣) من طريق: قزعة – وهو ابن يحيى البصري – قال: «رأيت على ابن عمر ثيابًا خشبة – فقيل – أو خشنة. فقلت: يا أبا عبد الرحمن إني قد أتيتك بثوب لين مما يصنع بخراسان فتقرَّ عيني أن أراه عليك، فإن عليك ثيابًا خشبة أو خشنة! قال: أرنيه حتى أنظر إليه؟ قال: فلمسه بيده، وقال: أحرير هو؟ قلت: لا، إنه من قطن، قال: إني أخاف إن أنا لبسته أخاف أن أكون مختالًا فخورًا ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٣]».

۞ وهذه أبنيتهم، وما فيها من خفة مؤنة وكلفة.

---

(١) وإسنادُهُ حسن لأجل هِلَال بن خباب صدوق تغيَّر بأخرة؛ كما قال الحافظ في «التقريب».

قلتُ: وللحافظ الذهبي في «السير» (٣/ ٢٣٤،٢٣٥) تعليق ماتع على هذا الأثر؛ فيقول: **قلتُ**: كل لباس أوجد في المرء خيلاء وفخرًا، فتركه متعين ولو كان من غير ذهب ولا حرير؛ فإنا نرى الشاب يلبس الفرجية الصوب بفرو من أثمان أربع مئة درهم ونحوها، والكبر والخيلاء على مشيته ظاهرة؛ فإن نصحته ولُمته برفق كابر وقال: ما في خيلاء ولا فخر. وهذا السيدُ ابن عمر يخاف على نفسه.. ثم قال: وأين مثل ابن عمر في دينه وورعه وعلمه، وتألهه وخوفه، من رجلٍ تعرض عليه الخلافة فيأباها، والقضاء من مثل عثمان فيرده، ونيابة الشام لعليٍّ فيهرب منه؛ فاللهُ يجتبي إليه من يشاء، ويهدي إليه من ينيب. اهـ.

ففي «صحيح البخاري» برقم [٦٣٠٢] من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «رأيتني مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنيتُ بيدي بيتًا يُكنُّني(١) من المطر ويظلني من الشمس ما أعانني عليه أحدٌ من خلق الله»(٢).

✿ وبرقم [٦٣٠٣] عنه أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «والله ما وضعتُ لبنةً على لبنة ولا غرستُ نخلة منذ قبض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». قال سفيان: فذكرته لبعض أهله قال: «والله لقد بنى بيتًا. قال سفيان: قلت: فلعله قال قبل أن يبني»(٣).

وفي «الزهد» لأحمد ص[٢٣٩] بسندٍ صحيح عن مجاهد قال: «كنتُ أمشي مع ابن عمر فمر على خربة. فقال [لي]: قل: يا خربة! مَا فعل أهلك؟ فقلت: ما فعل أهلك؟ [ثم جذبني] فقال: ذهبوا [والله] وبقيت أعمالهم». ما بين المعكوفتين جاء عند أبي داود في «الزهد» رقم [٣٢٣].



(١) من أكن إذا وقى. وقال أبو زيد الأنصاري: كننته وأكننته بمعنى. أي: سترته وأسررته. «الفتح» (٩٦/١١).

(٢) **قال الحافظ**: هو تأكيد لقوله: «بنَيتُ بيدي»، وإشارة إلى خفة مؤنته.

(٣) **قال الحافظ**: وهنا اعتذار حسن من سفيان راوي الحديث.

زهدُ عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وهو أبو محمد وأبو عبد الرحمن القرشي، أحدُ من هاجر هو وأبوه قبل الفتح، وأبوه عمرو بن العاص، وقد كان من أيام النبي ﷺ صوّامًا قوامًا تاليًا لكتاب الله طلابة للعلم(١).

ففي «الصحيحين» خ [٣٤١٨] وفي مواضع كرقم [١٩٧٥] وم رقم [١١٥٩] من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: أُخبر رسول الله ﷺ أني أقول: والله لأصومن النهار ولأقومن الليل ما عشتُ، فقال له رسول الله ﷺ: **«أنت الذي تقول: والله لأصومن النهار ولأقومن الليل ما عشت؟»** قلت: قد قلتُه. قال: **«إنك لا تستطيع ذلك. فصم وأفطر، وقم ونم، وصم من الشهر ثلاثة أيام، فإن الحسنة بعشر أمثالها، وذلك مثل صيام الدهر»** فقلتُ: إني أطيق أفضل من ذلك. قال: **«فصم يومًا وأفطر يومًا. وذلك صيام داود وهو أعدل الصيام»**. قلتُ: إني أطيق أفضل منه يا رسول الله، قال: **«لا أفضل من ذلك»**.

وفي رواية: «فإن لجسدك عليك حقًّا، وإن لعينك عليك حقًّا، وإن لزوجك عليك حقًّا، وإن لزورك عليك حقًّا» وفي آخر الحديث: «فكان عبد الله يقول بعد ما كبر: يا ليتني قبلتُ رخصة النبي ﷺ(٢)».

قال الحافظ (٤/٢٥٨): قال النووي: «معناه أنه كبر وعجز عن المحافظة على ما التزمه ووظفه على نفسه عند رسول الله ﷺ فشق عليه فعله لعجزه، ولم يعجبه أن يتركه لالتزامه له، فتمنى أن قبل الرخصة فأخذ بالأخف». قلت: ومع عجزه وتمنيه

---

(١) «التذكرة» للذهبي (١/ ٤١)، و«الفتح» (٤/ ٢٥٧) تحت رقم [١٩٧٥].

(٢) وفي رواية لمسلم: قال فشدّدت فشُدِّد عليَّ. قال: وقال لي النبي ﷺ: **«إنك لا تدري لعلك يطول بك عمر»**.

الأخـذ بالرخصـة لم يترك العمل بما التزمه؛ بل صار يتعاطى فيه نوع تخفيف؛ كما في رواية حصين المذكورة: «وكان عبد الله حين ضعف وكبر يصوم تلك الأيام كذلك يصل بعضها إلى بعض، ثم يفطر بعدد تلك الأيام فيقوى بذلك.

وكان يقول: لأن أكون قبلت الرخصة كان أحب إليّ مما عدل به، لكنني فارقته على أمر أكره أن أخالفه إلى غيره»ا.هـ.

وقـد بّوب النـووي لهذا الحديث بقوله: «باب النهي عن صـوم الدهر لمن تضرر به أو فوّت به حقًّا».

وقـد أخرج البخاري في «الصحيح» برقم [١٩٨٠]، ومسـلم في «الصحيح» برقم [١١٥٩][١٩١] مـن حديـث عبد الله بن عمر قال: «إن رسـول الله ﷺ ذُكر له صومي فدخل عليَّ فألقيتُ له وسادة من أدمٍ حشوها ليف، فجلس على الأرض وصارت الوسادة بيني وبينه... الحديث».

قـال الحافظ في «الفتـح» (٤/ ٢٦٥): «فيه بيان مـا كان عليه النبي ﷺ من التواضع وترك الاسـتئثار على جليسـه، وفي كون الوسـادة من أدم حشـوها ليف بيان ما كان عليـه الصحابة في غالب أحوالهـم في عهده ﷺ من الضيق، إِذ لو كان عنده أشرف منها لأكرم بها نبيه ﷺ».

وتدَبّر قصة زواجه وحاله مع زوجته:

كما في «صحيح البخاري» برقم [٥٠٥٢] عن عبد الله بن عمرو قال: «أنكحني أبي امرأة حسـب، فكان يتعاهُد كَنَّتهُ فيسـألها عن بعلها، فتقول: نِعمَ الرجل من رجل، لم يطأ لنا فراشًا ولم يُفتش لنا كنفًا منذ أتيناه، فلما طال ذلك عليه ذكر للنبي ﷺ، فقال: «**أَلْقـني به**». فلقيتُـهُ بعدُ، فقال: «**كيف تصوم؟**» قلت: أصـوم كلَّ يوم. قال: «**وكيف تختم؟**» قُلت: كلَّ ليلة.. الحديث».

معاني:

- **كنته: قال الحافظ**: «بفتح الكاف وتشديد النون هي زوج الولد».

- **لم يطأ لنا فراشًا**: أي: لم يضاجعنا حتى يطأ فراشنا.

قال الحافظ: «وأرادت بذلك الكناية عن عدم جماعِهِ لها، لأن عادة الرجل أن يدخل يده مع زوجته في دواخل أمرها. وفي رواية هشيم: «فأقبل عليَّ يلومني فقال: أنكحتك امرأة من قريش ذات حسب فعضلتها وفعلت، ثم انطلق إلى النبي ﷺ فشكاني».

- فلما طال ذلك؛ وكأنه تأنَّى في شكواه رجاء أن يتدارك. فلما تمادى على حاله خشي أن يلحقه إثم بتضييع حق الزوجة فشكاه». انتهى من «الفتح».

ومن أقواله رضي الله عنه:

ما رواه وكيع في «الزهد» رقم [٢٠]، وأبو داود في «الزهد» [٢٨٦]، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٨٩)، عنه قال: «لو تعلمون من العلم لبكيتم - وفي رواية: لصرختم- حتى تنفد دموعكم، ولصليتم حتى تنقصم ظهوركم». وعزاه في «الدر» (٤/ ٢٥٧) [التوبة: ٨٢] لأحمد في «الزهد». وهو صحيح.





زهدُ مصعب بن عمير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

مصعب المستشهدُ بأحد، كان أول الدعاة وسيد التقاة. سبق الركب، وقضى النحْب، ورغب عن الترف، وغلب عليه الزهد والخوف.

وانظر إلى حاله وتدبّر وخذ العبرة والعظة منه وتذكّر حيث جاء الصحابة ليكفنوه فلم يجدوا ما يوارون به رأسه أو قدميه.

ففي «الصحيحين»(١) من حديث شقيق قال: قال خباب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هاجرنا مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نلتمس وجه الله، فوقع أجرنا على الله؛ فمنا من مات لم يأكل من أجره شيئًا(٢) منهم مصعب بن عمير، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدِبهُا، قُتِل يوم أحد فلم نجد ما نكفنه إلا بردةً إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه، وإذا غطينا رجليه خرج رأسُهُ، فأمرنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن نُغطي برأسه، وأن نجعل على رجليه من الإذخر».. وفي رواية: «وترك نمرة»، والنمرة: إزار من صوف مخطط أو بردة.

- **أينعت**: نضجت واستحقت القطف.

- **فهو يهدبها**: أي يجتنيها ويقطفها.

فمصعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مات قبل الفتوح؛ فلم يأخذ من عرض الدنيا شيئًا.

قال الحافظ في «الفتح» (١١/٢٨٣): «منهم من مات قبل الفتوح كمصعب بن عمير، ومنهم من عاش إلى أن فُتح عليهم؛ ثم انقسموا فمنهم من أعرض عنه وواسى

---

(١) البخاري (١٢٦٧، ٤٠٤٧، ٦٤٤٨)، ومسلم [٩٤٠].

(٢) كناية عن الغنائم التي تناولها من أدرك زمن الفتوح، وكأن المراد بالأجر: ثمرتُه؛ فليس مقصورًا على أجر الآخرة، الحافظ في الفتح». (٣/ ١٧٠).

بـه المحاويـح أولًا فـأولًا؛ بحيث بقـي على تلك الحالـة الأولى وهم قليـلٌ. منهم أبو ذر. (وهؤلاء ملتحقون بالقسم الأول).

۞ **ومنهم**: من تبسط في بعض المباح فيما يتعلق بكثرة النساء والسراري أو الخدم والملابس ونحو ذلك ولم يستكثر وهم كثير؛ ومنهم ابن عمر.

۞ ۞ ۞ **ومنهـم**: مـن زاد فاسـتكثر بالتجـارة وغيرها مـع القيام بالحقـوق الواجبة المندوبة وهم كثيرٌ أيضًا منهم عبد الرحمن بن عوف (وإلى هذين القسـمين أشار خباب)، فالقسـم الأول؛ وما التحق به، توفّر له أجره في الآخرة، والقسـم الثاني: مقتضى الخبر أنه يحسـب عليهـم ما وصـل إليهم من مال الدنيا مـن ثوابهم في الآخرة؛ ويؤيـده ما أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو رفعه: «**ما من غازية تغزو فتغنم وتسلم إلا تعجَّلوا ثلثى أجرهم**». الحديث. ومن ثمّ آثر كثيرٌ من السـلف قلة المال وقنعوا به؛ إما ليتوفر لهم ثوابهم في الآخرة، وإما ليكون أقل لحسابهم عليه.

قال ابن بطال: «في الحديث ما كان عليه السـلف من الصدق في وصف أحوالهم، وفيه أن الصبر على مكابدة الفقر وصعوبته من منازل الأبرار». انتهى.

ولـك أن تتصـور بأيِّ شيء خرج به مصعب من الدنيـا؟ بردةٌ قاصرةٌ لو غطيت بها رأسه بدت رجلاه والعكس! فهل استوقفنا هذا الموقف؟!



زهد ربيعة بن كعب الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وربيعة كانَ من الملازمين لخدمةِ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وله بأهل الصفة اتصال(١)؛ وكان يبيتُ في حجرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

۞ فعند أحمد في «المسند» برقم [١٦٥٧٩](٢) من حديث ربيعة بن كعب قال: كنتُ أخدمُ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأقوم له في حوائجه نهاري أجمع، حتى يُصلِّي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العشاء الآخرة، فأجلسُ ببابه إذا دخل بيته أقول: لعلّها أن تحدث لرسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حاجةٌ، فما أزال أسمعه يقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سبحان الله، سبحان الله وبحمده، حتى أملّ، فأرجعَ أو تغلبني عيني، فأرقد**». قال: فقال: لي يومًا لما يرى خفتي له وخدمتي إياه: «**سلني يا ربيعةُ أعطك**» فقلت: أنظر في أمري يا رسول الله، ثم أعلمك ذلك. قال: ففكّرت في نفسي، فعرفت أن الدنيا منقطعة وزائلة، وأن لي فيها رزقًا سيكفيني ويأتيني، قال: فقلت: أسأل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لآخرتي، فإنَّه منَ الله عَزَّوَجَلَّ بالمنزل الذي هو به، قال: فجئته، فقال: «**ما فعلت يا ربيعة؟**» قال: فقلتُ: نعم يا رسول الله، أسألك أن تشفع لي إلى ربك، فيعتقني من النار، قال: فقال: «**من أمرك بهذا يا ربيعة؟**» فقلت: لا والذي بعثك بالحق، ما أمرني به أحد، ولكنك لما قلت: سلني أعطِك، وكنت من الله بالمنزل الذي أنت به، نظرت في أمري، وعرفتُ أن الدنيا منقطعة وزائلة، وأن لي فيها رزقًا سيأتيني، فقلتُ: أسأل رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لآخرتي.

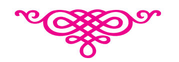
قال: فصمتَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طويلًا، ثم قال لي: «**إني فاعلٌ فأعني على نفسك بكثرة السجود**».

---

(١) «الحلية» لأبي نعيم (٢/ ٣١).

(٢) وسندُهُ حسن لأجل محمد بن إسحاق وقد صرح بالتحديث فيه.

قلت: فانظر إلى همّ ربيعة؛ فلم يكن همهُ موجهًا لطلبِ أمر زائل من أمور الدنيا؛ ولكن جعل همه للآخرة؛ وأصلُ القصة في «صحيح مسلم» [٤٨٩] عن ربيعة بن كعب الأسلمي قال: كنتُ أبيتُ مع رسول الله ﷺ فأتيتُه بوضوئه وحاجته؛ فقال لي: «**سل**» فقلتُ: أسألك مرافقتك في الجنة. فقال: «**أو غير ذلك؟**» قال: هو ذاك. قلت: «**فأعني على نفسك بكثرة السجود**».



زهد عتبة بن غزوان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

۞ فمـن الزهّاد الأخيار من الصحابةِ الأبرار: الزاهدُ في الإمرة والسـلطان، التارك لولاية المدن والبلدان، سابع الإسلام والإيمان؛ أبو عبد الله عتبة بن غزوان.

استُعفى عن إمرة البصرة بعد أن كان أميرًا عليها[١].

له الخطبة المشهورة في تولي الدنيا وتصرمها (أي: قطعها) وفي تغير الأيام وتلونها.

ففـي «صحيح مسـلم» برقـم [٢٩٦٧] من حديـث خالد بن عمـير العدوي قال: خطبنا عتبة بن غزوان فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أمـا بعـد: فإن الدنيـا قد آذنت بـصرمٍ[٢] وولّت حـذّاء[٣]، ولم يبق منهـا إلا صُبابةٌ كصُبابة الإناء. يتصابها صاحبها[٤].

وإنكم منتقلون منها إلى دارٍ لا زوال لها، فانتقلوا بخير ما بحضرتكم فإنه قد ذُكر لنا أن الحجر يُلقى من شفة جهنم، فَيهوي فيها سبعين عامًا لا يُدرك لها قعرًا. والله! لتملأن. أفعجبتم؟

ولقـد ذكـر لنا أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسـيرةُ أربعين سـنة، وليأتين عليها يومٌ وهو كظيظ من الزحام. ولقد رأيتني سابع سبعةٍ مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما لنا طعام إلا ورق الشجر حتى قرحت أشداقنا[٥] فالتقطتُ بردة فشققْتها بيني وبين سعد

---

(١) «الحلية» (١/ ١٧١)، و«السير» (١/ ٣٠٤).
(٢) بذهاب وانقطاع.
(٣) سريعًا.
(٤) يشرب البقية الباقية في أسفل الإناء.
(٥) جرحت بسبب خشونةِ الورق الذي يأكلونه.

ابـن مالك[١]، فاتزرتُ بنصفها واتزر سـعدٌ بنصفها، فما أصبح اليوم منا أحدٌ إلا أصبح أمـيرًا عـلى مصرٍ من الأمصار، وإني أعوذ بالله أن أكـون في نفسي عظيمًا وعند الله صغيرًا. وإنها لم تكن نبوة قط إلا تناسـخت حتى يكون آخر عاقبتها ملكًا. فسـتخبرون وتجرّبون الأمراء بعدنا».



(١) ابن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

زهدُ أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وأبو الدرداء؛ مشهور بكنيته؛ وهو عويمر بن قيس، أول غزواتِهِ غزوةُ أحد.

قال أنس: «مات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الدرداء...» **البخاري** [٥٠٠٤].

قال الحافظ(١): «وكان عابدًا».

فقد روي البخاريُّ في «الصحيح» برقم [١٩٦٨] من حديث أبي جحيفة - وهب ابن عبد الله السوائي - قال: آخى النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمانُ أبا الدرداء. فرأى أم الدرداء متبذلةً(٢) فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا(٣)، فجاءَ أبو الدرداء فصنع له طعامًا، فقال له(٤): كل. قال: فإني صائم. قال: ما أنا بآكل حتى تأكل قال: فأكل. فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم. قال: نم. فنام. ثم ذهب يقوم. فقال: نم. فلما كان من آخر الليل. قال سلمان: قم الآن. فصلَّيا. فقال له سلمان: إن لربك عليك حقًّا، ولنفسك عليك حقًّا، ولأهلك عليك حقًّا، فأعط كلَّ ذي حقٍّ حقه.

فأتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فذكر ذلك له.

فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**صدق سلمان**».

---

(١) في «التقريب».

(٢) تاركة للبس ثياب الزينة، وأم الدرداء هي خيرة بنت أبي حدرد صحابية بنت صحابي. «الفتح» (٤/ ٢٤٨).

(٣) وفي رواية: «ليس له في نساء الدنيا حاجة».

(٤) القائل: (سلمان).

قال الحافظ: «والحاصل أن سلمان - وهو الضيف - أبى أن يأكل من طعام أبي الدرداء حتى يأكل معه، وغرضه أن يصرفه عن رأيه فيما يصنعه من جهد نفسه في العبادة وغير ذلك مما شكته إليه امرأته» ا.هـ.

وهذا الحديث فيه أن التوسطَ في العبادة وعدمَ إجهاد النفس فيها لحدٍّ يوصل إلى الملل والسآمة وترك الحقوق والواجبات الأخرى هذا هو المشروع؛ وقد قال ﷺ: «**عليكم من الأعمال ما تطيقون**» في قصةٍ تسبقه.

وانظر إلى حالِ أبي الدرداء في وقت نصر الله فيه المسلمين وأعزّهم ففرح المسلمون بنصر الله؛ لكن أبا الدرداء له حالٌ أخرى؛ كما في «الزهد» ص [١٧٦] لأحمد - **ورجاله ثقاتٌ** - من حديث جبير بن نفير قال: «لما فتحت قبرص، وفرق بين أهلها، فبكى بعضهم إلى بعض؛ رأيت أبا الدرداء جالسًا وحده يبكي. فقلت: يا أبا الدرداء! ما يبكيك في يومٍ أعزّ الله فيه الإسلام وأهله؟ قال: ويحك يا جبير، ما أهون الخلق على الله إذا هم تركوا أمره، بينا هي أمةٌ قاهرةٌ ظاهرة لهم الملك تركوا أمر الله عَزَّوَجَلَّ، فصاروا إلى ما ترى».

فانظر إلى ماذا يفكّر هذا الصحابي الجليل؟!

إنه يفكر ويتأمّل في هزيمة الأعداء وليس يفكر في نصرة المسلمين وإن كان هو في قرارة قلبه فرحًا مسرورًا بعزة الإسلام والمسلمين ورفع مكانتكم؛ لكنه ظلّ مفكرًا في أمرٍ ربما فات الكثيرين منا؛ ألا وهو: أن العزّة لمن أقام شرع الله وتمسك بدينه، والذلّة والهوان لمن تمرّد على أوامره وأوامر رسلهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. فيا خيبة هذا المتمرد!!

فأمةٌ لها السيادة والريادة والعزة والملك والسلطان لكنها تركت أوامر الملك القهار الديان سوف يؤول أمرها إلى الذلة والصغار والهوان، ولا يهلك على الله إلا هالك.

«**وجعل الذل والصغار على من خالف أمري**». كلماتٌ نبويةٌ صادقة. فـ(ما أهون الخلق على الله إذا هم تركوا أمره). كلماتٌ من صحابي تربّى على يد سيّد السادة والقادة وإمام الأنبياء والرسل محمد بن عبد الله صلوات ربي وسلامه عليه.

ومن أقواله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

١- ما رواه البخاري في «الصحيح» برقم [٦٥٠] من حديث أم الدرداء تقول: دخل عليَّ أبو الدرداء وهو مغضب، فقلت: ما أغضبك؟ فقال: «والله ما أعرف من أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئًا إلّا أنهم يصلون جميعًا».

قال الحافظ: «ومراد أبي الدرداء أن أعمال المذكورين حصل في جميعها النقص والتغيير إلا التجميع في الصلاة، وهو أمرٌ نسبي؛ لأن حال الناس في زمن النبوة كان أتم مما صار إليه بعدها، ثم كان في زمن الشيخين أتم مما صار إليه بعدهما.

فياليت شعري إذا كان ذلك العصر الفاضل بالصفة المذكورة عند أبي الدرداء؛ فكيف بمن جاء بعدهم من الطبقات إلى هذا الزمان؟».

٢- وأخرج أبو داود في «الزهد» برقم [٢١٣] بسندٍ حسن من حديث أم الدرداء قالت: «لما احتضر أبو الدرداء جعل يقول: من يعمل لمثل يومي هذا؟ لمثل يومي هذا، لمثل ساعتي هذه، من يعمل لمثل مضجعي هذا؟.

قالت: ثم يقول: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠]، قال تمام الآية».

وأخرجه البيهقيُّ في «الشعب» برقم [١٠١٨٤] (١٣/ ٢٠٠) ط. الرشد.



زهدُ أبي ذر الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

واسـمه جنـدب بن جنادة على المشـهور، أسـلم قديمًا بمكـة؛ فكان رابـع أربعة أو خامس خمسة(١).

قـال الذهـبي في «التذكـرة» (١/١٧): «جنـدب بـن جنادة عـلى الصحيح لأحد السابقين الأولين، أسلم في أول المبعث خامس خمسة، ثم رجع إلى بلاد قومه ثم بعْد حينٍ هاجر إلى المدينة.

وكان رأسًـا في العلـم والزهـد، والجهاد وصـدق اللهجة والإخـلاص، وكان آدم جسيمًا كث اللحية».

ثم قال الذهبي: «وكان لا يدّخر مالًا».

۞ **قلتُ**: ويشهد لهذا؛ ما رواه أحمد في «الزهد» ص[١٨٣] - **بسندٍ رجالُهُ ثقات**(٢) - عـن قتـادة عن سـعيد بن أبي الحسـن عن عبد الله بـن الصامت قال: «كنـتُ مع أبي ذر رَحِمَهُ اللَّهُ وقـد خرج عطـاؤه ومعه جارية لـه فجعل يقضي حوائجه. قـال: ففضل معه؛ - قال: أحسبه قال: سبع - فأمرها أن تشتري بها فلوسًا؛ فقلتُ: يا أبا ذر لو ادخرته لحاجةٍ تنوبـك ولضيف يأتيـك. فقال: إن خليلـي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عهد إليَّ: «**أيّمـا ذهب أو فضة أوكـي عليـه، فهو جمرٌ على صاحبه يوم القيامة حتى يفرغه إفراغًا في سـبيل الله عَزَّوَجَلَّ**» أي: حتى ينفقه.

۞ وفي «الزهـد» ص[١٨٣] أيضًـا ومن طريقـه أبو نعيم في «الحليـة» (١/ ١٦١)، وابـن أبي شـيبة (١٣/ ٣٤٤)، وابـن أبي الدنيا في «الزهد» [٩٨] ومـن طريقه البيهقي في

(١) «البداية» (٧/ ١٧١).

(٢) وفي سنده قتادةُ وهو مدلس وقد عنعن؛ هذا غايةُ ما يشوبه.

قلت: وأورده الذهبي أيضًا من طريق همام عن قتادة به؛ كما في «التذكرة».



«الشعب» (٧/ ٣٧٧) بإسنادٍ حسن إلى أبي بكر بن المنكدر[١] - وهو ثقة - قال: «بعث حبيب بن أبي مسلمة إلى أبي ذر - وهو أمير الشام - بثلثمائة دينار قال: استعن بها على حاجتك. فقال أبو ذر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ارجع بها إليه، أما وجد أحدًا أغر بالله منا، مالنا إلا ظلٌّ نتوارى به، وثلة من غنم تروح علينا، ومولاة لنا تصدقت علينا بخدمتها، ثم أنا أتخوف الفضل».

الفضل: يعني: الزيادة.

فكان لا يرضى بالزيادة، وإنما كان يقنع باليسير القليل الذي يقيم صلبَهُ ويسدُّ جوعه، فرفض الدنيا ونفضها بيديه وهي آتيةٌ إليه قادمةٌ عليه، فرضي الله عنه وأرضاه، وحشرنا معه في جنات النعيم.

ومن أقوالِهِ:

ما رواه أبو داود في «الزهد» رقم [٢٠٤] **بسندٍ رجاله ثقات**. عنه قال: «والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا، ولبكيتم كثيرًا، ولو تعلمون ما أعلم لخرجتم إلى الصعدات تجأرون وتبكون، ولو تعلمون ما أعلم ما انبسطتم إلى نسائكم وما تقاررتم على فرشكم».

وأما ميراثُهُ:

فروى أبو داود في «الزهد» برقم [٢٠٧] عن محمد بن سيرين قال: قلتُ لعبد الله بن الصامت «ما أورث أبو ذر؟ قال: أتأنينْ، وعفوًا، وعبدًا، وأعنزًا، وجملًا».

قال أبو داود: «**العفو**: الحمار الصغير»ا.هـ.

والأتان: أنثى الحمار.

---

(١) وقد توبع من أخيه محمد بن المنكدر عند ابن أبي الدنيا، والبيهقي.

زهدُ عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وهو أبو نُجيد، أسلم عام خيبر.

۞ في «صحيح مسلم» برقم [١٢٢٦]، [١٦٧] عن مطرف قال:

قال لي عمران بن حصين: أحدثك حديثًا عسى الله أن ينفعك به. ثم ساق الحديث فقال: «وقد كان يسلَّم عليَّ حتى اكتويت فتركتُ، ثم تركتُ الكي فعاد».

يعني: كانت الملائكة تسلّم عليه حين كان يلزم الصبر على ما ألم به من مرض، فلما اكتوى تركت الملائكة السلام عليك.

۞ قيل: كان به بواسير.

وفي رواية في الصحيح أيضًا:

قال مطرف: بعث إليّ عمران بن حصين في مرضه الذي توفي فيه فقال: إني كنتُ محدثك بأحاديث لعلّ الله أن ينفعك بها بعدي، فإن عشتُ فاكتم عني: وإن مُتُّ فحدِّث بها إن شئت. إنه قد سُلّم عليَّ.. الحديث».

قال النووي (٨/٢٠٦): «ومعنى الحديث: أن عمران بن الحصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كانت به بواسير فكان يصبر على ألمها، وكانت الملائكة تسلم عليه فاكتوى، فانقطع سلامهم عليه، ثم ترك الكي فعاد سلامهم عليه»ا.هـ.

قلت: وقوّى الحافظ في «الفتح» (١٠/ ١٦٤) حديثًا لعمران عند أبي داود في «السنن» رقم [٣٨٦٥]، وغيره قال: «نهى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الكي، فاكتوينا، فما أفلحن ولا أنجحن».

قال الحافظ: («والنهي فيه محمول على الكراهية... وقيل: إنه خاصٌّ بعمران؛ لأنه كان به الباسور، وكان موضعه خطرًا فنهاه عن كيه، فلما اشتد عليه كواه فلم ينجح». وفيه فضلُ من ترك الرقى والكي، وأن هذا من كمال التوكل واليقين، وكان قد أنعم الله على عمران بتسليم الملائكة عليه حين اعتمد على الله وعلَّق قلبه به وحده). وانظر: «فضائل الأعمال» (١/ ١٣١، ١٣٢) لشيخنا المغربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقد استشهد الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذا الحديث في زهد عمران رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وساق آثارًا أخرى.

فمنها: ما رواه في «الزهد» ص [١٨٦] بسندٍ صحيح عن مطرف قال: «قلت لعمران بن الحصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إنه بلغني من عبادتك ما أرى من حالك. قال: لا تفعل. فإنَّ أحبَّه إليَّ أحبه لله عَزَّ وَجَلَّ».

فكان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عابدًا زاهدًا ورعًا عالمًا فقيهًا. وانظر: «تذكرة الحفاظ» (١/ ٢٩).



زهدُ جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

هـو أبـو عبـد الله جابر بن عبد الله بن عمـرو بن حرام. مفتي المدينـة في زمانه، قاله الذهبي في «تذكرته» (١/ ٤٣).

وقـال: «كان آخر من شـهد بيعة العقبة في السـبعين من الأنصـار، وحمل عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علمًا كثيرًا نافعًا، وله منسـك صغير في الحج، أخرجه مسـلم، وأراد شـهودَ بدرٍ وشهودَ أحدٍ، فكان أبوه يخلفه على أخواته».

ولقد تزوج ثيبًا لمصلحة أخواته وتربيتهن. فقدّم نفع إخوته على نفسه وترك الزواج بالأبكار. مع أن النفس تهوى شيئًا كهذا؛ لكنه آثر إخوته على إشباع رغبتِهِ.

۞ ففـي «صحيح البخـاري» رقم [٥٣٦٧] من حديث جابـر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قـال: «هلـك[١] أبي وترك سـبع بنات - أو: تسـع بنـاتٍ - فتزوجتُ امـرأة ثيبًا؛ فقال لي رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تزوجت يا جابر؟**» فقلت: نعم. فقال: «**بكرًا أم ثيبًا؟**» قلت: بـل ثيبًا. قال: «**فهلّا جاريـة تلاعبها وتلاعبك؟ وتضاحكهـا وتضاحكك؟**» قال: فقلت لـه: إن عبد الله هلك وترك بناتٍ، وإني كرهت أن أجيئهن بمثلهن، فتزوجت امرأة تقوم عليهن وتصلحهن. فقال: «**بارك الله لك. أو قال خيرًا**».

وأبو جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مات وعليه ديْن. كما في «صحيح البخاري» [١٣٥١].



(١) **يعني**: مات، ومنه قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ﴾ [غافر: ٣٤].

زهدُ حكيم بن حزام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وكان قد أسلم عام الفتح[١]. وكان من أشراف قريش. وعمتهُ خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

۞ أخرج البخاري [٦٤٤١]، ومسلم رقم [١٠٣٥] من حديث حكيم بن حزام قال: سألت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأعطاني ثلاث مرات، ثم قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **«يا حكيم إن هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خيرٌ من اليد السفلى»**.

قال حكيم: فقلت: يا رسول الله! والذي بعثك بالحق لا أرزأ بعدك شيئًا حتى أفارق الدنيا.

لا أرزأ: أي: لا أنقص ماله بالطلب منه. «الفتح» (٣/ ٣٣٦).



(١) كما في «التقريب»، وقاله ابن القيم في «الزاد» (٥/ ١٣٩)، والذهبي في «السير» (٣/ ٤٤).

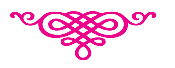
زهدُ عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وهو: أبو عبد الرحمن، من كبار علماء الصحابة؛ كان عالمًا بارزًا في التفسير.

وكانت امرأته زينب تتصدق عليه؛ كما في «الصحيحين» البخاري (١٤٦٢، ١٤٦٦)، ومسلم رقم [١٠٠٠].

وروى أبو داود «الزهد» برقم [١٥٨] من حديث أبي عثمان النهدي قال: زعم أنه كان يجالسه بالكوفة - يعني: ابن مسعود. قال: فبينما هو يومًا في صفة له وتحته فلانة وفلانة امرأتان ذواتا منصب وكمال، وله منهما ولد كأحسن الولد، إذ سقسق على رأسه عصفور ثم قذف ماء بطنه(١)، فنكتهُ بيده، ثم قال: «والذي نفس عبد الله بيده، لأن يموت آل عبد الله ثم أتبعهم، أحب إليَّ من أن يموت هذا العصفور»(٢).

وهذا يدلُّ على رقة قلبه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وزهده في هذه الحياة، وعدم حب العيش فيها، ليلتحق بإخوانه هناك في جناتِ النعيم، نسأل الله أن نكون جميعًا من أهلها.. آمين.



---

(١) يعني: مات.

(٢) وأخرجه أيضًا: أبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٣٣)، ومن طريقه ابن عساكر (٣٣/ ١٧١).

قلت: وفي إسناده الجريري وهو سعيد بن إياس ثقة؛ لكنه اختلط قبل موته، ولكن الراوي عنه هو إسماعيل بن علية، وقد سمع منه قبل التغير، وعليه؛ فإن إسناده صحيح.

زهد أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

قد يعجب الكثير – منا – من زهد أم عبد الله عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، المباركة، والمبرأة من فوق سبع سموات، ولكن يزولُ العجب إذا علمت أنها الفقيهةُ العالمةُ التقيةُ زوجُ سيد الزاهدين نبينا الأمين محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ ففي «الزهد» لأحمد ص [٢٠٦] عن عروة قال: «رأيتها تقسم سبعين ألفًا، وهي ترقِّعُ درْعها». وأخرجه أبو داود في «الزهد» [٢٣٥]. وهو صحيح.

وتقدّم كيف كانت بيوت أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من جريد النخل، مغشاة من خارج بمسوحِ الشعر مع ضيق حجرها.

وقال الحس البصري: «كنت أدخل بيوت أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في خلافة عثمان ابن عفان فأتناول سقفها بيدي» وسبق.

قلتُ: ويتضح من الأثر الأول أنَّ الحال الذي كان عليه هؤلاء البررة؛ كأمثال عائشة وغيرها من أمهات المؤمنين لم يكن حال اضطرار؛ بل كان عندها من المال الذي تنفقه في اليوم قرابة سبعين ألفًا[١]، وهي مع ذلك تختار لنفسها مثل هذا الحال فترقع درعها. ذلك؛ لأنهم باعوا هذه الحياة الرخيصة بالحياة الدائمة؛ حياة الخلود والنعيم المقيم.

وفي «الزهد» لأحمد ص[٢٠٥] عن هشام عن أبيه قال: قالت عائشة رَحِمَهَا اللَّهُ: «وددت أني كنتُ نسيًا منسيًا» وهو عند أبي داود في «الزهد» [٣٣٢١] وهو صحيح[٢]. وعنده: «يا ليتني». وفي «الزهد» لأحمد ص [٢٠٦] أنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مرّت بشجرة فقالت: «يا ليتني كنت ورقة من ورق هذه الشجرة». وهو منقطع بين عائشة والراوي عنها وهو إبراهيم بن يزيد التيمي. وانظر: «جامع التحصيل» ص [١٤١].

---

(١) وقد ثبت أن أباها أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان نحلها عشرين وسقًا من مالِهِ بالغابة – موضع على بعد بريد من المدينة في طريق الشام – كما في «الموطأ» لمالك ص[٥٧٦]. «كتاب الأقضية».

(٢) وقد استدركتُ؛ فقد روي ذلك البخاري في «الصحيح» برقم [٤٧٥٣].

جدَّةُ أنس بن مالك مليكة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا(١) وحصيرٌ لها قد اسود من طول ما لبس

روى البخاري في «الصحيح» برقم [٣٨٠] من حديث: إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك؛ أن جدته مليكة دعت رسولَ الله ﷺ لطعام صنعتْهُ له، فأكل منه، ثم قال: «**قوموا فلأصل لكم**».

قال أنس: «فقمتُ إلى حصير لنا قد اسودّ من طولِ ما لُبس، فنضحته بماء، فقام رسول الله ﷺ، وصففت واليتيم وراءَهُ، والعجوز من ورائنا، فصلّى لنا رسول الله ﷺ ركعتين، ثم انصرف».



(١) وفي كونها جدة أنس خلاف، وقد وردت روايات في كونها أم سليم والدة أنس بن مالك.

قال الحافظ «**الفتح**» (١/ ٥٨٣): «قوله: عن أنس بن مالك أن جدته مليكة» هي بضم الميم تصغير ملكة، والضمير في «جدته» يعود على إسحاق، جزم به ابن عبد البر وعبد الحق وعياض، وصححه النووي وجزم ابن سعد وابن منده، وابن الحصار بأنها جدة أنس والدة أمه أم سليم، وهو مقتضى كلام إمام الحرمين في «النهاية» ومن تبعه، وكلام عبد الغني في «العمدة» وهو ظاهر السياق».

أحوال السلف مَعَ الزهْدِ

كان السلف الصالح من أزهد الناس في الدنيا، ولم يجعلوها إلا زادًا يبلغهم إلى الآخرة.

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «وهكذا كان حال العلماء الربانيين؛ كالحسن وسفيان وأحمد؛ اجتزءوا من الدنيا باليسير إلى أن أخرجوا منها، ولم يخلفوا سوى العلم.

مع أن بعضهم كان يلبس لباسًا حسنًا، ويأكل أكلًا متوسطًا بعيدًا عن التقشف؛ كالحسن البصري، فإنه كان يأكل اللحم كل يوم، كان يشتري بنصف درهم لحمًا فيطبخه مرقةً طيبة فيأكل منه هو وعياله، ويُطعم كلّ من دخل عليه.

وكان يلبس الثياب الحسنة؛ وهو مع هذا أزهد الناس في الدنيا، وما زاحم على شيء منها قط. وكان الناس إذا دخلوا عليه خرجوا من عنده ولا يعدون الدنيا شيئًا، وما رأوا أشدّ احتقارًا لأهل الدنيا منه. وكانوا يدخلون عليه في مرضه يعودونه وليس في بيته إلا سرير مرمول، هو عليه، وليس في بيته قليل ولا كثير. حتى قال ابن عون: «إنما استبدّ الحسنُ الناسَ بالزهد في الدنيا، فأما العلم فقد شورك فيه».

وكان الحسن يقول: «إنما الفقيه الزاهد في الدنيا، والراغب في الآخرة، المجتهد في العبادة، القائم بسنةِ محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. من رأى محمدًا فقد رآه غاديًا ورائحًا لم يضع لبنة على لبنة إنما رفع له علم فشمر إليه»[2].

---

(١) في رسالة «ورثة الأنبياء» (١/ ٥٣) وما بعدها؛ كما في «مجموع رسائل ابن رجب» لأخي الشيخ/ أبي مصعب حَفِظَهُ ٱللَّهُ.

(٢) «زوائد الزهد» لعبد الله بن أحمد ص[٣٢٧]، ولا بأس بسنده.

وكان سفيان الثوري أشدّ تقشفًا في ملبسه من الحسن، حتى كان من يراه ولا يعرفه يظنه من السُّؤَّال، وكان مع شدة ورعه إذا وجد الحلال أكل منه طيبًا، وإن لم يجد حلالًا استفّ الرمل، وربما بقي ثلاثًا لا يطعم شيئًا مع عرضِ الناس عليه الأموال الكثيرة.

وكان إذا شبع من الحلال يزيد في عمله ويقول: «أطعم الزنجي وكده».

وكان أزهد الناس في الدنيا في زمانه؛ حتى كان يتعرى بمجلسه عن الدنيا، ولم تكن السلاطين والملوك والأغنياء أذلّ منهم في مجلسه، ولا الفقراء والمساكين أعز منهم في مجلسه، وكان الخوف قد غلب عليه، فلما مرض مرض الموت حُمل ماؤه إلى طبيب؛ فقال: «ليس لهذا دواء، هذا قد فتت الحزنُ والخوفُ كبده».

ويقال: لم يكن في زمانه من هو أخوف لله منه، ولا مَنْ هيبة الله في صدره أعظم منه. ولما مات قال بعض العلماء: «معشر أهل الهوى، كلوا الدنيا بالدين، فقد مات سفيان» يعني: ما بقي بعده أحد يستحيا منه.

وأما الإمام أحمد؛ فكان أشدّ منهما تقشفًا في عيشه، وأكثر صبرًا على خشونة العيش للقلة، وكانت معيشته من حوانيت له ورثها من أبيه، ويأخذ أجرها في الشهر دون عشرين درهمًا، ومات ولم يخلف إلا قطعًا في خرقة له، كان وزنها نصف درهم، وترك عليه دينًا قضى عنه من أجرة حوانيته مع كثرة ما كان يرد عليه من الخلفاء من الجوائز والصِّلات.

وكان يحيى بن أبي كثير من العلماء الربانيين المتوسعين في العلم، وكان يقال: إنه لم يبق على وجه الأرض مثلُهُ، وكان حسن الثياب، حسن الهيئة، فلما مات خلف ثلاثين درهمًا كفنوه بها رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وكان محمد بن أسلم الطوسي من العلماء الربانيين الزهاد، فمات ولم يخلّف سوى كساءه ولبده[1]، فوضعوهما على نعشه، وإناء للوضوء تصدقوا به، فكان النساء

(١) اللبد: من البسط، كما في «اللسان».



على السطوح يقلن في جنازته: هـذا العالم الذي خرج من الدنيـا، وهذاميراثه الذي على جنازتـه، ليـس مثلَ علمائنـا هؤلاء عبيـدِ بطونهم؛ يجلـس أحدهم للعلم سـنتين أو ثلاثًا فيشتري الضِّيَاع ويستفيد المال.

وقـال العباس بن مرثد: سـمعت أصحابنا يقولون: صـار إلى الأوزاعي أكثر من سبعين ألف دينار من السلطان من بني أمية، فلما مات خلف سبعة دنانير بقيت بقية، وما كان له أرضٌ ولا دار.

قال العباس: «نظرنا فإذا هو أخرجها في سبيل الله والفقراء».

وقد وصف الله سبحانه في كتابه العلماء بأوصاف منها:

- **الخشية.**
- **والخشوع.**
- **والبكاء**، كما سبق ذكره.

ومنها: احتقار الدنيا والتزهيد فيها؛ كما قال تعالى في قصة قارون: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾ [القصص: ٧٩-٨٠].

۞ وقيـل للإمـام أحمد: «إن ابن المبارك قيل له: كيف يُعـرف العالم الصادق؟ فقال: الـذي يزهـد في الدنيا، ويقبل على أمـر الآخرة. فقال أحمد: نعم، هكـذا ينبغي أن يكون. وكان أحمد ينكر على أهل العلم حب الدنيا والحرص على طلبها».

زهد أويس القَرَني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وهو أويس بن عامر القرني بفتح القاف والراء؛ سيدُ التابعين، كما قال الحافظ في «التقريب».

۞ وفي «صحيح مسلم» برقم (٢٥٤٢/ ٢٢٤) من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن خير التابعين رجلٌ يُقال له أويس..**». الحديث.

وقصته بالتفصيل في الرواية التي بعد هذه؛ فروي مسلمٌ (٢٥٤٢/ ٢٢٥) من طريق: أُسير بن جابر قال: كان عمر بن الخطاب إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن، سألهم: أفيكم ابن عامر؟ حتى أتى على أويس، فقال: أنت أويس بن عامر؟ قال: نعم. قال: من مراد ثم من قرن؟ قال: نعم. قال: فكان بك برصٌ فبرأت منه إلا موضع درهم؟ قال: نعم. قال: لك والدة. قال: نعم. قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**يأتي عليكم أويسُ بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن. كان به بَرصٌ فبرأ منه إلا موضع درهم. له والدة هو بها برٌّ. لو أقسم على الله لأبرّه؛ فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل**» فاستغفر لي. فاستغفر لي.

فقال له عمر: أين تريد؟ قال: الكوفة. قال: ألا أكتب لك إلى عاملها؟ قال: أكون في غبراء الناس أحبُّ إليَّ. قال: فلما كان من العام المقبل حجّ رجلٌ من أشرافهم. فوافق عمر. فسأله عن أويس. قال: تركته رثّ البيت قليل المتاع...الحديث، وفيه: ففطن له الناس، فانطلق على وجهه[(١)].

قال أسير: وكسوتُه بردة.

فكان كلما رآه إنسان. قال: من أين لأويس هذه البردة؟».

معاني:

غبراء الناس: من لا يؤبه بهم. **رثّ البيت**: رديئة.

---

(١) قال ابنُ رجب: «وكان أُويسٌ وغيره من الزّهاد إذا عُرفوا في مكانٍ ارتحلوا عنه». «شرح حديث ما ذئبان جائعان». (١/ ٨٨) «مجموع رسائل ابن رجب».



سعيد بن المسيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

سعيد بن المسيَّب بن حزن أبوه صحابي، وكان سعيد سيد التابعين في زمانه.

كان زاهـدًا رَحِمَهُ اللَّهُ؛ **حتى قال سلام بن مسكين:** «سمعت بأحدٍ من الناس كان أزهد في الدنيا ولا أحسن تجملًا منه».

كما عند أبي داود في «الزهد» [٤٢٠].

عُروة بن الزبير

هو أخو عبد الله بن الزبير بن العوام، وعُروة عالمٌ.

كان أحد الفقهاء السبعة بالمدينة.

وفي «الزهد» لأبي داود برقم [٤٤٢] من طريق هشام بن عروة عن عروة أنه: كان إذا دخل على أهل الدنيا فرأى من دنياهم طرفًا، فإذا رجع إلى أهله فدهل الدار قرأ: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [طه: ١٣١، ١٣٢].

قال: «الصلاة الصلاة رحمكم الله». وهو صحيح.

وفي لفظ [٤٤٣] أنه قال: «إذا رأى أحدكم من زينة الدنيا وزهرتها، فليأت أهله فليأمرهم بالصلاة، وليصطبر عليها؛ فإن الله يقول: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ ﴾ [طه: ١٣١]». ثم قرأ إلى آخر الآية.



زُهد الحسن البصري

هو أبو سعيد البصري؛ لازم الجهاد ولازم العلم والعمل؛ قال ابن سعد: كان جامعًا عالمًا رفيعًا ثقة حجة مأمونًا ناسكًا كثير العلم فصيحًا جميلًا وسيمًا.. من بحور العلم، فقيه النفس، كبير الشأن، عديم النظر، مليح التذكير، بليغ الموعظة، رأسٌ في أنواع الخير. «التذكرة» للذهبي (١/ ٧٢).

وفي «زوائد الزهد» لعبد الله بن أحمد ص [٣٣٤] بسندٍ صحيح من حديث حماد ابن سلمة قال: تذاكروا عقل مطرف وورع ابن سيرين وعبادة مسلم بن يسار وزهد الحسن – قال: وقال يونس بن عبيد – يعني: حاضرًا – فقال يونس –: قد اجتمعت هذه الخصال كلها في الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ومن أقواله:

ما في «الزهد» لأحمد ص [٣٤٣] بسندٍ صحيح عن الحسن في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [القِيَامَة: ٢]؛ قال: «إن المؤمن لا تراه إلا يلوم نفسه يقول: ما أردت بكلمتي؟ يقول: ما أردت بأكلتي؟ ما أردت بحديث نفسي؟ فلا تراه إلا يعاتبها. وإن الفاجر يمضي قدمًا فلا يعاتب نفسه».

زهدُ عمر بن عبد العزيز

أبو حفص الأموشي القرشي؛ ولد بالمدينة ونشأ في مصر؛ قال الذهبي: «وكان قانتًا لله أواهًا منيبًا». «التذكرة» (١/ ١١٨). وقال: «وبعدله وزهده يضرب المثل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ». وقد عدّه الشافعي خامس الخلفاء الراشدين.

لقد أتتهُ الدنيا فتركها[1]. وكان كثير البكاء.

---

(١) قاله مالك بن دينار؛ كما عند ابن أبي الدنيا في «الزهد» [٥٢٩]، وفي «ذم الدنيا» [٥٤٧]، ومن طريقه ابن الأعرابي في «الزهد والزاهدين» رقم [٥١]: «إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز أتته الدنيا فاغرة فاها فتركها»، وأخرجه كذلك من طريقه البيهقيُّ في «الزهد الكبير» [٤٤]، وابن عساكر من

وفي «الزهـد» لأحمـد ص[٣٦٥] من طريق: رجاء بن حيوة قـال: «كان عمر بن عبد العزيز من أعطر الناس، وألبس الناس، وأخيلهم مشية، فلما استخلف قوّموا ثيابه اثنـي عشر درهمًا من ثياب مـصر كميته[١] وعمامته وقميصه وقبـاه وقرطقه[٢] وخفيه ورداءه» وسنده حسن.

وفيـه أيضًـا ص [٣٦٣] مـن طريـق المغـيرة بـن حكيم قـال: قالـت فاطمـة بنتُ عبد الملك امرأة عمر بن عبد العزيز: «يا مغيرة إني أعلم أنه قد يكون من الناس من هو أكثر صلاة وصومًا من عمر، فأما أن أكون رأيت رجلًا أشدَّ فرقًا من ربه عَزَّوَجَلَّ من عمر فإني لم أره، كان إذا صلى العشـاء الآخرة ألقى نفسـه في مسجده، فيدعو ويبكي حتى تغلبه عينه، ثم ينتبه ويدعو ويبكي حتى تغلبه عينه، فهو كذلك حتى يصبح»[٣]. وسنده صحيح.

زهد سعيد بن جبير

وهو كوفيٌّ؛ قال الذهبي في «التذكرة» (١/ ٧٦): «قتله الحجاج قاتله الله».

روى أحمد في «الزهد» ص [٤٤٤] بسـندٍ حسنٍ؛ من طريق بكير عتيق قال: «أتيت سعيد بن جبير بقدحٍ فيه شربة عسل فشربه، ثم قال: والله لا تسكن عني هذه. قلت: لمهْ؟ قال: إني شربته واستلذذت به». ورواه هناد في «الزهد» رقم [٦٩٣].



طريقه في «تاريخه» (٤٥/ ٢٠٨، ٢٠٩).

(١) القلنسوة.

(٢) القباء.

(٣) وفي روايـة: «أن فاطمـة قالـت له: مـا يبكيك وقد صرت خليفة للمسـلمين. فقـال عمر بصوتٍ حزيـن: يـا فاطمـة إني أخاف إن عصيت ربي عـذاب يوم عظيم، فتبكي فاطمة وهـي تقول: اللهم أعذه من النار».

أسبابٌ معينة على الزهد

مما يدفع إلى الزهد في الدنيا؛

تذكُّر سير الصالحين وزهدهم

فذلك مما يجلب للعبد الزهد ويعين عليه؛ وأعظم ذلك أن يذكر سيرة أفضل الخلق وأزهد الخلق نبينا محمد ﷺ وكيف كان عيشه، وكيف كان ملبسه، وكيف كان مسكنه، وقد تقدّم بيانٌ موجزٌ لتلك السيرة العطرة الكريمة.

ومن ذلك؛ الاطلاع على سير الصحابة ومن بعدهم:

فهذا عبد الرحمن بن عوف – وهو من أغنياء الصحابة – حين قدّم له الطعام تذكر إخوانَهُ الأفاضل من الصحابة؛ كأمثال مصعب بن عمير، وهاك الحديث بذلك.

ففي «صحيح البخاري» برقم [٤٠٤٥] من حديث إبراهيم – وهو ابن عبد الرحمن ابن عوف – أن عبد الرحمن بن عوف أُتي بطعام[(١)] – وكان صائماً – فقال: «قُتل مصعب ابن عمير وهو خيرٌ مني، كُفِّن في بردةٍ، إن غُطِّي رأسه بدت رجلاه، وإن غُطي رجلاه بدا رأسه. وأراه قال: وقتل حمزة وهو خيرٌ مني. ثم بُسط من الدنيا ما بسط[(٢)]. أو قال: أعطينا من الدنيا ما أعطينا. وقد خشينا أن تكون حسناتنا[(٣)] قد عُجِّلت لنا. ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام».

---

(١) في رواية أن الطعام كان خبزًا ولحمًا؛ كما عند الترمذي في «الشمائل».

(٢) يشير إلى ما فتح لهم من الفتوح والغنائم وحصل لهم من الأموال، وكان لعبد الرحمن من ذلك الحظ الأوفر. «الفتح» (٧/ ٤١٠).

(٣) في رواية: «طيباتنا».

قال الحافظ في «الفتح» (٧/ ٤١٠): «وفي الحديث فضل الزهد، وأن الفاضل في الدين ينبغي له أن يمتنع من التوسع في الدنيا لئلا تنقص حسناته، وإلى ذلك أشار عبد الرحمن بقوله: خشينا أن تكون حسناتنا قد عجلت».

قال ابن بطال: «وفيه ينبغي ذكر سير الصالحين وتقللهم في الدنيا، لتقل رغبته فيها. قال: وكان بكاء عبد الرحمن شفقًا أن لا يلحق بمن تقدمه».

ومما يدفعُ إلى الزهد:

تذكرُ أحوالِ أهل النار وهم في النار

فمما يسوقنا إلى الإقبال على الله، والزهد في الدنيا وفي ملذاتها وشهواتها تذكر عذاب أهل النار في الجحيم؛ والنار تلهب من غيظ وحنق على من عصى وأعرض عن آياتِ ربه.

فتذكَّرْ نداء أهل النار، وهم يقولون: ﴿يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف:٧٧].

فيأتيهم الجواب بعد ألف عام[(١)]: ﴿قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾. أي: مقيمون في النار وفي العذاب؛ قال تعالى: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ [النبأ:٢٣]، ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:٥٦].

وحينئذٍ ييئسوا فلا صبر ينفع ولا جزع يدفع؛ يقولون: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم:٢١]. وقرّر الله ذلك؛ فقال لهم: ﴿ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور:١٦].

النارُ محيطة بهم؛ ومؤصدة عليهم: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ [الهمزة:٨-٩].

---

(١) صحّ عن ابن عباس عند ابن جرير في «التفسير»(٢٥/ ٥٩)، وأسد بن موسى في «الزهد» برقم [٤]، وعزاه الحويني لابن جرير – كما مرّ – وعبد الرزاق في «تفسيره» وغيرهما.

۞ فاذكر النار؛ واقرأ قول الله: ﴿ سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا ﴾ [المدثر: ١٧]. قيل: جبل في جهنم يكلّف صعوده؛ وقيل: عذابًا لا راحة فيه.

وارعو من «الغي» الذي في جهنم؛ يُقذف فيه الذين اتبعوا الشهوات؛ وجروا وراء حطام الدنيا الفاني؛ قال تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴾ [مريم: ٥٩].

وانتبه لشرابهم: ﴿ كَٱلۡمُهۡلِ يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ ٤٥ كَغَلۡيِ ٱلۡحَمِيمِ ﴾ [الدخان: ٤٥-٤٦]، وطعامهم: ﴿ لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ ﴾ شوك ﴿ لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ ﴾ [الغاشية: ٦-٧].

ولباسهم: ﴿ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ ﴾ [الحج: ١٩]، ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٖ ﴾ [إبراهيم: ٥٠].

وفرشهم ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖ ﴾ [الأعراف: ٤١]، نعوذ بالله من النار.

ومما يدفع إلى الزهد:

زيارة القبور

فزيارة القبور، ورؤية الموتى، والتفكر في أمرهم، وحالهم؛ مما يجلب تأثيرًا على قلب العبد وحياته وعيشه.

وفي «سنن ابن ماجه» برقم [١٥٧١][(١)] من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**كنتُ نهيتكم عن زيارة القبور؛ فزوروها؛ فإنها تزهد في الدنيا، وتذكر الآخرة**».

وأصله في «صحيح مسلم» برقم [٩٧٧] عن بريدة مرفوعًا؛ لكن بدون (فإنها تزهد في الدنيا)؛ وهو بهذا اللفظ لا يصح.

(١) وقد ضعفه العلامة الألباني رحمه الله في «ضعيف ابن ماجه» ص [١١٩].

۞ وقال في «المشكاة» برقم [١٧٦٩]: «سند ضعيف؛ وحسنه البوصيري؛ وفيه عنعنة ابن جريج».



لكـن تذكـر الآخرة يعينُ على الزهادةِ في الدنيا بلا شـك ويُرفـق القلب ويعينه على إرادة الله والدار الآخرة.

فمن أزهد الناس في الدنيا:

مـنْ لم ينْـس المقابر والبـلى، وترك أفضل زينة الدنيا، وآثر مـا يبقى على ما يفنى، ولم يُعدّ غدًا من أيامه وعَدّ نفسه من الموتى[(١)].

فكفـى بالموت مزهـدًا في الدنيا ومرغبًا في الآخرة؛ قال الحسـن: «لقد فضح الموت الدنيا، لم يدع لذي لُبٍّ فرحًا».

فدائمًا يذكر الإنسان نفسه بالموت وبأهوال القبور والقيامة والنار.

وقـرأ النبـي ﷺ يومًـا ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾؛ فقـال: «**يا ابـن آدم ليـس لـك مـن مالك إلا مـا أكلـت فأفنيت، أو لبسـت فأبليـت، أو تصدقت فأمضيت**».

ويقول: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالحٍ يدعو له**».



(١) ورد ذلك في حديثٍ أخرجه ابن أبي شيبة في «الزهد» من «المصنف» (٧/ ٧٧)؛ لكنه ضعيف.

ومما يدفعُ إلى الزهدِ في الحياة؛ المشاركةُ في ساحات القتال والجهاد في سبيل الله

فمن صدَق في حبِّ الدين وعزته ورفع رايته؛ ورغب في الشهادة ابتغاء مرضاة ربه كان ذلك دافعًا له على التقلل من الدنيا؛ بل وطرحها بالكلية من القلب شوقًا للقاء الرّب؛ لأنه يؤمن بأن: ﴿ وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾؛ فهو يبيع نفسه لربه ليظفر بجنته؛ لينال رضوانه في جنات النعيم؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ١١١].

و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [فصلت: ١٠-١١].

وتلك نماذج مختصرة لخيارٍ وأطهارٍ من صحابة رسول الله ﷺ باعوا الدنيا واشتروا الآخرة ببذل النفسِ والمهج في سبيل الله.

ففي «صحيح البخاري» برقم [٤٠٤٦] و«صحيح مسلم» برقم [١٨٩٩] من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رجلٌ للنبي ﷺ يوم أحد: أرأيت إن قُتلتُ أنا؟ فأين أنا؟ قال: «**في الجنة**»؛ فألقى تمراتٍ في يده، ثم قاتل حتى قُتل.

۞ وقريبٌ منها في قصة عمير بن الحمام؛ كما في «صحيح مسلم» برقم: [١٩٠١] من حديث أنس: انطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر. وجاء المشركون. فقال رسول الله ﷺ: «**لا يقدمن أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه**» فدنا المشركون. فقال رسول الله ﷺ: «**قوموا إلى جنة عرضها السماواتُ والأرض**». قال: يقول عمير بن الحُمام الأنصاري: يا رسول الله! جنّةٌ عرضها السماوات والأرض؟ قال: «**نعم**» قال: بخٍ بخٍ. فقال رسول الله ﷺ:

«**مـا يحملـك على قولك: بخٍ بخٍ؟**» قال: لا والله! يا رسـول الله! إلا رجاءةَ أن أكون من أهلهـا. قـال: «**فإنك من أهلهـا**» فأخرج تمراتٍ مـن قَرنِهِ. (أي: جعبة السـهام). فجعل يـأكل منهـن. ثم قال: لئن حييـت حتى آكل تمراتي هذه، إنها لحيـاةٌ طويلة؛ قال: فرمى بما كان معه من التمر. ثم قاتلهم حتى قُتل.

۞ ۞ وفي سنن النسائي» (٤/ ٦٠) بسندٍ صحيحٍ من حديث شداد بن الهاد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رجـلًا من الأعراب جاء إلى النبـي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فآمن به واتبعه ثم قال: أهاجر معك. فـأوصى بـه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعض أصحابه، فلما كانت غـزوةٌ؛ غنم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سبيًا. فقسم وقسم له. فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليـه، فقال: ما هذا؟ قالوا: قسـمٌ قسـمهُ لك النبـي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فأخذه، فجـاء به النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: ما هذا؟ قال: «**قسمتهُ لك؟**» قال: ما على هذا اتبعتك؛ ولكن اتبعتك على أن أرمى إلى ها هنا (وأشـار إلى حلقه) فأموت؛ فأدخل الجنة؛ فقال: «**إن تصدق الله يصدقك**».

فلبثـوا قليلًا، ثم نهضوا في قتال العـدو. فأتى به النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحمل قد أصابه سـهم حيْث أشـار، فقـال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أهو هـو؟**» قالوا: نعم. قـال: «**صدق الله فصدقـه**» ثـم كفنه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جبـة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم قَدّمـه فصلّى عليه، فكأن فيما ظهر من صلاته: «**اللهم هذا عبدك خرج مهاجرًا في سـبيلك فقتل شـهيدًا، أنا شهيد على ذلك**».

فهـذا الصحـابي الفاضل ما جعل الدنيا أكبر همه ومبلغ علمه ولم يركن إلى حطامها الزائـل وما أسـلم منذ أسـلم من أجل غنيمـة يغنمها أو دنيا يحرصُ عليهـا: «ما على هذا اتبعتك» ما على مالٍ.. ما على متاع.. ما على دنيا فانية قاتلتُ معك وصاحبتك!!

فانظر – أعانني الله وإياك – كيف كانت الآخرة أكبر همه وكيف زهد الدنيا ونبذها من قلبه؟ قال هذا الأعرابي الصادق: «اتبعتك على أرمى إلى ها هنا – وأشار إلى حلقه – بسهم، فأموت فأدخل الجنة».

على أن هذه الكلمات ليست دعاوى فارغة كما هو حالُ كثيرٍ منا في تلك الأزمان، بل إنه يعي مقولته، ولذلك وفّى بها؛ فقاتل حتى قُتل؛ فهل أحبّ الدنيا وركن إليها منذ أسلم؟! هل طمع في غنائم يحصلها من وراء القتال؟

أبدًا ما فكر في شيءٍ من ذلك، وإنما آثر الباقي على الفاني، وآثر الآخرة الباقية على الدنيا الزائلة.

فكّر في جنةٍ عرضها السموات والأرض.. فأعدّ لها من يومه بإخلاص، ونزع الدنيا بحطامها من قلبه بصدق؛ ابتغاء وجه ربه الأعلى.

فأُتِي به إلى النبي ﷺ يُحمل قد أصابه سهم حيثُ أشار، فقال النبي ﷺ: «**صدق الله فصدقه**». ثم كفنه ﷺ في جبته، ثم قال النبي ﷺ: «**اللهم هذا عبدك خرج مهاجرًا في سبيلك فقتل شهيدًا، أنا شهيدٌ على ذلك**». فهل هناك أعظم من ذلك؟ لا والله.

وفي «الصحيحين» البخاري [٤٠٤٨]، ومسلم [١٩٠٣] من حديث أنس بن مالك: أن عمه[1] غاب عن بدر؛ فقال: غبتُ عن أوّل قتال النبي ﷺ، لئن أشهدني الله مع النبي ﷺ ليرين الله ما أُجِدُّ (وعند مسلم: ما أصنع) فلقي يوم أحد. فهُزم الناس؛ فقال: «**اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء** – يعني: المسلمين – **وأبرأ إليك مما جاء به المشركون**» فتقدم بسيفه، فلقي سعدَ بن معاذ؛ فقال: أين يا

(١) وهو أنس بن النضر، وفي رواية مسلم: قال أنس بن مالك: عمي الذي سُميت به لم يشهد مع رسول الله ﷺ بدرًا.

سعد؟؟ إني أجد ريح الجنة دون أحد. فمضى فقتل. فما عُرف حتى عرفته أخته بشامةٍ أو ببنانه - وبه بضعٌ وثمانون: من طعنةٍ وضربةٍ ورميةٍ بسهم.

وفي رواية: ونزلت فيه هذه الآية: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب:٢٣].

۞ وقد خرجوا للغزو في سبيل الله ولم يخطر ببالهم من ورائهم من النساء والأولاد والضيعات؛ لأن عندهم الثقة المطلقة برعاية وكفالة رب الأرض والسماوات فلم يكونوا قلقين.

ولم يلتفتوا إلى وساوس الشيطان حين يقول لمن خرج في طريقه للجهاد: تجاهد فتقاتل فتقتل فتنكح امرأتك، ويقسم مالك(١).

وفي «صحيح البخاري» برقم [٤٠٥٣] من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن أباه استشهد في يوم أحد وترك عليه دَيْنًا وترك ست بناتٍ. فلما حضر جذاذُ النخل. قال: أتيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقلتُ: قد علمت أن والدي قد استشهد يوم أحد وترك دينًا كثيرًا. وإني أحبُّ أن يراك الغرماء. فقال: «**اذهب فبيدِرْ كل تمرٍ على ناحيةٍ**»، ففعلت، ثم دعوته، فلما نظروا إليه كأنهم أُغْروا بي تلك الساعة، فلما رأى ما يصنعون - أطاف حول أعظمها بيدرًا ثلاث مرات، ثم جلس عليه ثم قال: «**ادع لك أصحابك**» فما زال يكيل لهم حتى أدى الله عن والدي أمانته، وأنا أرضى أن يؤدي الله أمانة والدي ولا أرجع إلى إخواني بتمرة، فسلم الله البيادر كلها، حتى إني أنظر إلى البيدر الذي كان عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كأنها لم تنقص تمرة واحدة.

---

(١) كما عند النسائي (٦/ ٢١،٢٢)، وأحمد (٣/ ٤٨٣) من حديث سبرة بن أبي فاكه مرفوعًا.
قلتُ: وله طريق عند ابن أبي شيبة في «المصنف» (٥/ ٢٩٣) يقوِّيه؛ كما ذكرته في تحقيقي لـ«كيد الشيطان» لابن الجوزي ص [٣٢].

فانظر كيف عوّض الله والد جابر بعد استشهاده خيرًا كثيرًا في الدنيا والآخرة، وسّع الله على أولاده فلم يضيعهم. وما تردد لحظة في أن يخرج فيقاتل حتى يُقتل؛ لأنه يعلم أن الذي خلق لم يكن ليضيع. ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

وهذا هو نبينا محمد ﷺ يقول: «**والذي نفسي بيده لوددت أني أُقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أُقتل ثم أحيا ثم أُقتل**»(١).

- لما يرى من فضل الشهادة -. وقد أرسل عبد الله بن المبارك إلى الفضيل بن عياض، وقد قعد للعبادة وانشغل بها عن الجهاد؛ فقال:

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا ... لعلمت أنَّك في العبادة تلعب

من كان يخضب خده بدموعه ... فنحورنا بدمائنا تتخضب

أو كان يتعب خيله في باطل ... فخيولنا يوم الكريهة تتعب

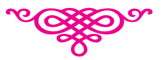
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا ... رهْج(٢) السنابك(٣) والغبار الأطيب.

ولقد أتانا عن مقال نبينا ... قولٌ صحيح صادق لا يكذب.

لا يستوي غبار خيل الله في ... أنف امرئ ودخان نارٍ تلهب

هذا كتاب الله ينطق بيننا ... ليس الشهيد بميتٍ لا يكذب

بل قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾
[آل عمران: ١٦٩-١٧١]



---

(١) أخرجه البخاري [٢٩٧٢]، ومسلم [١٨٧٦].

(٢) الرهج: الغبار.

(٣) السنابك: السنبك من السيف طرف حليته.

ومما يُعين على الزهادة؛
الأركان الأربعة؛
الصلاة والزكاة والصيام والحج

۞ **الصلاة**؛ التي هي صلةٌ وثيقةٌ بين العبد وربه تبارك وتعالى، وكان السلف ينصحون ويحرصون إذا شغلت الدنيا أحدهم دخل في الصلاة وأطال فيها ويخلو فيها بربه بعيدًا عن الخلق وعن منغصات الحياة ومتاعها الفاني يتململ فيها ويبكي ويتذلل ويخضع للملك الجبار.

۞ ۞ **وكذلك الزكاة**؛ إما بالزكاة المفروضة، وإما بالتطوع، وهذا وذاك يجعل العبد ينخلع لله بمالِهِ الذي يبذله - ابتغاء وجه ربه الأعلى - ونفسُهُ رضيةٌ وصدره منشرحٌ، وهو يأخذ جزءًا من مالِهِ يعطي حقًّا للفقراء والمساكين أوجبه الله عليه. مع أنه جُبل على حب المال؛ كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ [العاديات: ٨]، وقال: ﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ [الفجر: ٢٠]، ومع ذلك؛ يهجر هذه اللذّة ويتجرد منها، وربما أنفق كلَّ مالِهِ، وهو صحيح، كما أنفق أبو بكر الصديق كلّ مالِهِ. وهذا إنما هو لزهده في الدنيا، وعدم ركونه إليها.

۞۞ **وكذلك الصيام**؛ فالعبد يترك الشهوات والملذات ويزهد فيها وهو قادرٌ على ارتكابها؛ لكنه يترك الطعام والشراب والشهوة - إما في صوم الفريضة أو التطوع - فيستجيب لأمر ربه في هذه العبادة العظيمة، ويتجرد عن كل ما تشتهيه النفس وتهواه برغبته واستطاعته.

۞۞ **وكذلك الحج**؛ عبادةٌ من نمطٍ مختلف؛ عبادةٌ تستغرق زمنًا ستة أيام أو خمسة؛ فيها تتغير أحوالُ الحجاج، فيتركون ما اعتادوه قبل ذلك من مسكنٍ هادئ ومأكل

مستلذ، وعيشه مختلفة، عما سبق في حياتهم؛ فيألفون جوًّا آخر وحياة أخرى يتربون فيها على الزهد في الدنيا.

۞ **وكذلك؛ الاشتغال بالذكر دومًا؛** والأركانُ المتقدمة تحتوي على ذلك؛ بل أعظم مقاصد تلك الأركان هي إقامة الذكر والتمتع به، والاشتغال به يصرف العبد عن مشاغل الدنيا ويريح باله وقلبه ﴿**أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ**﴾ [الرعد: ٢٨].

۞ ويتلخص الزهد في أمور: المال والنساء والنوم والطعام والمسكن والملبس والرئاسة والثناء، فمن زهد في ذلك فهو الزاهد مع الرغبة في الآخرة، وصرف كلّ الهموم لها، وجعل الهم همًّا واحدًا؛ إنه هم المعاد مع الإخلاص في الزهد، والبعد عن الرياء، وامتثال هدي رسول الله ﷺ في ذلك كلِّه. أعاننا الله والمسلمين بتطبيق ذلك على الوجه الذي يرضيه.

۞ **وأختم هذا الفصل بما قال ابن القيم في** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في** «**الفوائد**» **ص**[١٠٧]: «لا تتم الرغبة في الآخرة إلا بالزهد في الدنيا، ولا يستقيم الزهد في الدنيا، إلا بعد نظرين صحيحين:

النظر الأول – النظر في الدنيا، وسرعة زوالها، وفنائها، واضمحلالها، ونقصها، وخستها، وألم المزاحمة عليها، والحرص عليها، وما في ذلك من الغصص، والنغص، والأنكاد، وآخر ذلك الزوال، والانقطاع مع ما يعقب من الحسرة والأسف، فطالبها لا ينفك من همٍّ قبل حصولها، وهمٍّ في حال الظفر بها، وغم وحزن بعد فواتها.

فهذا أحد النظرين:

النظر الثاني – النظر في أمور الآخرة وإقبالها ومجيئها ولابد، ودوامها وبقائها وشرف ما فيها من الخيرات والمسرات، والتفاوت الذي بينه وبين ما هاهنا؛ فهي كما

قال سبحانه: ﴿ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [الأعلى: ١٧]؛ فهي خيراتٌ كاملة دائمة، وهي خيالات ناقصة متقطعة مضمحلة.

۞ فإذا تم له هذان النظران؛ آثر ما يقتضي العقل إيثاره، وزهد فيما يقتضي الزهد فيه.

فكل أحدٍ مطبوع على أن لا يترك النفع العاجل واللذة الحاضرة إلى النفع الآجل واللذة الغائبة المنتظرة، إلا إذا تبين له فضل الآجل على العاجل، وقويت رغبته في الأعلى الأفضل، فإذا آثر الفاني الناقص كان ذلك، إما لعدم تبين الفضل له، وإما لعدم رغبته في الأفضل. وكل واحدٍ من الأمرين يدلُّ على ضعف الإيمان وضعف العقل والبصيرة، فإن الراغب في الدنيا الحريص عليها المؤثر لها، إما أن يصدق بأن ما هناك أشرف وأفضل وأبقى، وإما أن لا يصدق، فإن لم يصدق بأن ما هناك أشرف وأفضل وأبقى، وإما أن لا يصدق، فإن لم يصدق بذلك كان عادمًا للإيمان رأسًا، وإن صدق بذلك ولم يؤثره كان فاسد العقل سيئ الاختيار لنفسه.

وهذا تقسيم حاضر ضروري لا ينفك العبد من أحد القسمين منه؛ فإيثار الدنيا على الآخرة؛ إما من فسادٍ في الإيمان، وإمَّا من فسادٍ في العقل، وما أكثر ما يكون منهما. ولهذا نبذها رسول الله ﷺ وراء ظهره هو وأصحابه وصرفوا عنها قلوبهم، وأطرحوها ولم يألفوها، وهجروها ولم يميلوا إليها، وعدوها سجنًا لا جنة، فزهدوا فيها حقيقة الزهد ولو أرادوها لنالوا منها كلّ محبوب، ولوصلوا منها إلى كل مرغوب، فقد عرضت عليه مفاتيح كنوزها فردَّها، وفاضت على أصحابه فآثروا بها، ولم يبيعوا حظهم من الآخرة بها، وعلموا أنها معبر وممر لا دار مقام ومستقر، وأنها دار عبور لا دار سرور، وأنها سحابة صيف تنقشع عن قليل، وخيال طيف ما استتم الزيارة حتى أذن بالرَّحيل».



من ثمرات الزهد وفوائده

فالزاهـد يُحصّل أمورًا لا يُحصلها غيره؛ ويحظى بفضائـل يصعُب على المرء العادي أن يظفر بها؛ ومن أعظمها على الإطلاق:

١- **محبة الله تعالى للعبد**؛ فالزهد يثمر الطاعة والعبادة ومحبة الله والأنس به.

٢- **الإخلاص؛ قال ابن تيمية في «المجموع» (١/ ٩٤)**: «لا يحصل الإخلاص: إلا بعد الزهد، ولا زهد إلا بتقوى، والتقوى: متابعة الأمر والنهي».

فالزهـد يدفـعُ العبـد إلى الإخلاص والصـدق في الأقوال والأعـمال والأحوال في غالب الأحيان، إلا من شذّ وتظاهر بالزهد؛ فهذا لا شك بعيدٌ عن الإخلاص.

٣- **ومـن ثمراتـه**: «أنـه يقطع الطمع والجشـع، وأصل الفسـاد والفجـور يأتي من الطمع؛ والزهد يقطع مواده، ويفرغ البال، ويملأ القلب، ويسـتحث الجوارح، ويذهب الوحشة التي بين العبد وبين ربه، ويجلب الأنس به، ويقوي الرغبة في ثوابه.

فالزاهد أروح الناس بدنًا وقلبًا، وأنعم الناس عيشًا، وأقرهم عينًا، وأطيبهم نفسًا، وأفرحهم قلبًا.

فإن الرغبة في الدنيا تشتت القلب، وتبدد الشمل، وتطيل الهم والغم والحزن، فهي عذابٌ حاضر يؤدي إلى عذابٍ منتظر أشد منه.

وتُفـوّت عـلى العبد من النعم والثـواب أضعاف ما يرون تحصيلـه بالرغبة فيها من التقصير في أعمال البر والطاعة»[1].

(١) «عدة الصابرين» ص (٢٢٦،٢٢٧).



٤- يقطع حب الثناء والمدح:

قال ابن القيم(١): «فصل: لا يجتمع الإخلاص في القلب، ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس إلا كما يجتمع الماء والنار، والضب والحوت، فإذا حدثتك نفسك بطلب الإخلاص فأقبل على الطمع أولًا فاذبحه بسكين اليأس.

وأَقبل على المدح والثناء فازهد فيهما زهدَ عشاق الدنيا في الآخرة؛ فإذا استقام لك ذبح الطمع والزهد في الثناء والمدح؛ سهل عليك الإخلاص.

فإن قلت: وما الذي يسهِّل عليَّ ذبح الطمع والزهد في الثناء والمدح؟

۞ **قلتُ**: أما ذبح الطمع؛ فيسهله عليك علمك يقينًا أنه ليس من شيء يطمع فيه إلا وبيد الله وحده، خزائنه لا يملكها غيره، ولا يؤتى العبد منها شيئًا سواه.

- وأما الزهد في الثناء والمدح؛ فيسهله عليك علمك أنه ليس أحدٌ ينفع مدحه، ويزين، ويضر ذمه ويشين، إلا الله وحده....».

٥- مقتضٍ لمحبة الناس؛ فالاستغناء عن دنيا الناس موجب لمحبتهم وإكرامهم.

٦- والزهد من مرققات القلوب، ومتى ضجّت النفس لقلة صبر على أمرٍ من أمور الدنيا، فاتل عليها أخبار الزهّاد، فإنها ترعوي وتستحي وتنكسر إن كانت لها همة، وفيها يقظة؛ كما قال ابن الجوزي في «صيد الخاطر» ص [٣٠٢].

٧- وبالجملة: بالزهد تصلح الأمة وتسعد؛ ففي «الزهد» ص [١٦]، والطبراني في «الأوسط» [٧٦٥٠]، والبيهقي في «الشعب» [١٠٨٤٥]، والخطيب في «تاريخه» (٧/ ١٨٦)، والمزي في «تهذيب الكمال» (٥/ ١٠٦)(٢)، من حديث عبد الله بن عمرو

---

(١) في «الفوائد» ص [١٦٨] ط. العلمية.

(٢) قلتُ: وإسنادُهُ يحتمل التحسين؛ كما قال المنذريُّ وغيره.

قال: قال رسول الله ﷺ: «**صلاحُ أولِ هذه الأمة بالزهد واليقين ويهلك آخرها بالبخل والأمل**».

وبالجملة؛ فبالزهد يُحصِّل المرءُ خيري الدنيا والآخرة وعزَّهما، نسأل الله خيرهما واللحوق بنبينا محمد ﷺ في جنات النعيم.

ويُعرف الزهد بـ:

١- بالرضا عن الله تعالى والقناعة؛ والقَنُوع هو الغنيُّ.

٢- ويعرف بانقطاع التعلق بالمخلوقين رجاءً وخوفًا.

٣- ويعرف بالصبر على الابتلاء والمصائب (فمن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب).

٤- ويعرف بعدم النظر لثناء أحدٍ من الناس أو لذمِّه؛ فإنه من عظمت الدنْيا عنده اختار المدح وكره الذم وربما ترك كثيرًا من الحق خشية الذم وفعل كثيرًا من الباطل رجاء المدح؛ فهذه من علامات الزهد.

۞ والزاهد في مدح نفسه وتعظيمها كالزاهد في الرياسة؛ فمن أخرج من قلبه حب الرياسة في الدنيا والترفع فيها على الناس؛ فهو الزاهد.

۞ وكذا يستوي عند الزاهد إقبال الدنيا وإدبارها وزيادتها ونقصها كاستواء حال المصيبة وعدمها.

وقال العلامة الألباني في «الصحيحة» (٧/ ٢/ ١٢٦٤): «وهذا إسنادٌ حسنٌ لغيره على الأقل؛ لأن محمد بن مسلم وهو الطائفي - فيه كلام من قبل حفظه، وروى له مسلم متابعة على التحقيق، وقال الحافظ في «التقريب»: «صدوق يخطئ». **قلتُ**: «وقد أمنا خطأه بمتابعة ابن لهيعة الآتية، وقد روى الخطيب عن علي بن محمد بن بشار الجنابي - وهو أجمع من جمع -: أنه ما سمع في «الزهد» أحسن من هذا الحديث..». انتهى.

أمورٌ لا تقدح في الزهد

۞ السـعي للكسب والمعيشـة[١]؛ فقد كان الأنبياء والصالحون يعملون ويتاجرون ويبيعون ويشترون ولم يكن هذا قادحًا في زهدهم بل كانوا أزهد الخلق.

۞ التجمل ولبس الثياب الحسنة إذا لم يؤثر ذلك على القلب ولم يطبع على الظاهر تكبرًا؛ ومن ذلك اتخاذ الطيب والتطيب منه فقد كان هذا حال نبينا محمد ﷺ.

۞ إجابـة الدعوات والمناسـبات والخروج إلى النـاس ومعاشرتهم والاحتكاك بهم والصبر على أذاهم.

۞ اتخـاذ الأفـراح والأعيـاد المشروعـة التي حـثَّ عليها الإسـلام وأوصى بها الشرع.

۞ النوم بالليل والفطر بالنَّهار والنكاح.

فقد كان النبي ﷺ وسائر الأنبياء لهم زوجات وسراري، وجمهور الصحابة كانوا على الإكثار من ذلك.

قـال ابن الجوزي في «صيد الخاطـر» ص (٢٦-٣٣): «.. فإِنْ طَلَب التزوج للتعبد فهو الغاية في التعبد، وإن أراد التلذذ فمباح يندرج فيه من التعبد ما لا يحصى، من إعفاف نفسه والمرأة إلى غير ذلك.

---

(١) وإن قامت القيامة؛ فقد قال ﷺ: «**إن قامت السـاعة وبيد أحدكم فسـيلة فإن اسـتطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليفعل**» أخرجه أحمد (٣/ ١٩١). وسنده صحيح.

وقد أنفق موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من عمرهِ الشريف عشر سنين في مهر بنت شعيب[(١)]، فلولا أن النكاح من أفضل الأشياء لما ذهب كثير من زمان الأنبياء فيه، وقد قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «خيار هذه الأمة أكثرها نساء»[(٢)].. وأما المطعم؛ فالمراد منه تقوية البدن لخدمة الله عَزَّوَجَلَّ وحق على ذي الناقة أن يكرمها لتحْملَهُ، وقد كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأكل ما وجد، فإن وجد اللحم أكله، وأحب الأشياء إليه الحلوى والعسل[(٣)]، وما نقل عنه أنه امتنع عن مباح.

وإنما يكره الأكل فوق الشبع، واللبس على وجه الاختيال والبطر.

وقد امتنع أقوام بالدون من ذلك، لأن الحلال الصافي لا يمكن فيه تحصيل المراد. وإلا فقد لبس النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حلّة.. فجاء أقوام؛ فأظهرو التزهد، واتبعوا طريقةً زيَّنها لهم الهوى، ثم تطلبوا لها الدليل، وإنما ينبغي للإنسان أن يتبع الدليل لا أن يتبع طريقًا ويتطلب دليلها؛ ثم انقسموا.

فمنهم: متصنعٌ في الظاهر، ليث الشرى في الباطن، يتناول في خلواته الشهوات وينعكف على اللذات، ويُري الناس بزيه أنه متصوفٌ متزهد، وما تزهد إلا القميص، وإذا نظر إلى أحواله فعنده كبر فرعون.

۞ **ومنهم**: سليم الباطن، إلا أنه بالشرع جاهل.

---

(١) في ذلك نظر؛ أي كونه شعيبًا، وانظر: «روضة المشتاقين في فضائل الأنبياء والمرسلين» ص [٢٥١] لكاتب هذه الأسطر - غفر الله له، وللمسلمين والمسلمات -.

(٢) انظر: البخاري [٥٠٦٩].

(٣) انظر: البخاري [٥٢٦٨]، ومسلم [١٤٧٤] [٢١].

❁❁ ومنهـم من تصـدّر وصنف، فاقتدى بـه الجاهلون في هـذه الطريقة، وكانوا كعُمي اتبعوا أعمى، ولو أنهم تلمحوا الأمر الأول الذي كان عليه الرسول ﷺ والصحابة لما زلّوا.

ولقـد كان جماعـةٌ من المحققين لا يبالون بمعظَّـمٍ في النفوس إذا حاد عن الشريعة، بل يوسعونه لومًا.

❁ **فنقـل عـن أحمـد أنه قـال له المرُّوذي**: مـا تقـول في النـكاح؟ فقال: سـنة النبي ﷺ، فقال: فقد قال إبراهيم. قال: فصاح بي. وقال: جئتنا بِبُنيَّات الطريق!

❁ وقيـل لـه: إن سريًّـا القبطي. قال: لما خلـق الله تعالى الحـروف. وقف الألف وسجد الباء. فقال: «نفرّوا الناس عنه».

واعلم أن المحقق: لا يهوّلهُ اسـم معظَّم؛ كما قال رجلٌ لعليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه: أتظن أنَّا نظن أن طلحة والزبير كانا على الباطل؟

فقال له: «إن الحق لا يعرف بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله»[(١)].

ولعمـري أنـه قد وقر في النفوس تعظيم أقوام، فإذا نقل عنهم شيء فسـمعه جاهلٌ بالـشرع قبلَهُ لتعظيمهم في نفسـه؛ كما يُنقل عـن أبي يزيد أنه قال: «تراعنت[(٢)] على نفسي، فحلفـتُ لا أشرب الماء سـنة». وهـذا إذا صح عنه كان خطـأ قبيحًا، وزلّةً فاحشـة؛ فقد سعى في أذى بدنِه...

---

(١) وهـذا كلامٌ نفيـس؛ إذ إن كثيرًا من النـاس يغترون بظواهر بعض الناس؛ فـإذا ما زلَّ أحدُ هؤلاء دافعوا عنه بالباطل - وإن كان الزلل في عقيدته - لأنهم عظموه وما عظّموا الحق والله المستعان.
(٢) حمّل نفسه ما لا تطيق.

وكـذا ينقلون عن بعض الصوفية، أنه قال: سِرْتُ إلى مكة على طريق التوكل حافيًا فكانت الشـوكة تدخل في رجلي فأحكها بالأرض ولا أرفعها، وكان عليَّ مسـح، فكانت عيني إذا آلمتني أدلكها بالمسح: فذهبت إحدى عينيَّ.

وأمثـال هذا كثير وربـما حملها القصاص عـلى الكرامات، وعظموهـا عند العوام، فتخايل لهم أن فاعل هذا أعلى مرتبة من الشافعي، وأحمد.

ولعمـري إن هـذا مـن أعظم الذنوب، وأقبـح العيوب، لأن الله تعـالى قال: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [النساء: ٢٩].

وقـال النبي ﷺ: «**إن لنفسِـكَ عليكَ حقًّا**»[١]، وقـد نقل عن قدماء هذه الأمة بدايات هذا التفريط، وكان سببه عن وجهين:

أحدهما- الجهل بالعلم.

الثاني- قرب العهد بالرهبانية.

وقـد كان الحسـن يعيب فرقدًا السـبخي، ومالك بن دينار في زهدهمـا، فرئى عنده طعام فيه لحم، فقال: لا رغيفي مالك، ولا صحني فرقد، ورأى على فرقد كسـاء، فقال: يا فرقد إن أكثر أهل النار أصحاب الأكسـية. وكم قد زوق قاص مجلسـه بذكر أقوام، قد خرجوا إلى السياحة بلا زاد ولا ماء، وهو لا يعلم أن هذا من أقبح الأفعال! وأن الله تعالى لا يجـرب عليه، فربما سـمعه جاهل مـن التائبين، فخرج فمات في الطريـق، فصار للقاتل نصيب من إثمه.

---

(١) حديث صحيح، وقد تقدم في قصة سلمان مع أبي الدرداء رضي الله عنهما.

وكـم يـروون عن ذي النون: أنه لقي امرأة في السـياحة فكلمها وكلمته، وينسـون الأحاديث الصحاح: «**لا يحل لامرأة أن تسافر يومًا وليلة إلا بمحرم**»[(١)]! وكم ينقلون: أن أقوامًا مشـوا على الماء، وقد قال إبراهيم الحربي: لا يصح أن أحدًا مشـى على الماء قط! فإذا سـمعوا هذا قالوا: أتنكرون كرامات الأولياء الصالحين؟ فنقول: لسـنا من المنكرين لها، بل نتبع ما صح؛ والصالحون هم الذين يتبعون الشرع، ولا يتعبدون بآرائهم.

وكم يحثون على الفقر حتى حملوا خلقًا على إخراج أموالهم، ثم آل بهم الأمر إما إلى التسخط عند الحاجة، وإما إلى التعرض بسؤال الناس.

وكم تأذى مسلم بأمرهم الناسَ بالتقلل! وقد قال النبي ﷺ: «**ثلثُ طعام، وثلثُ شراب، وثلثُ نفس**»[(٢)]. فما قنعوا حتى أمروا بالمبالغة في التقلل، فحكى أبو طالب المكـي في «قوت القلوب»: أن فيهم مـن كان يزن قوته بكرمة رطبة، ففي كل ليلة يذهب مـن رطوبتهـا قليـل، وكنت أنا ممن اقتدى بقولـه في الصبا، فضاق المعـي، وأوجب ذلك مرض سـنين؛ أفترى هذا شيء تقتضيه الحكمة، أو نـدب إليه الشرع؟ وإنما مطية الآدمي قواه، فإذا سعى في تقليلها ضعف عن العبادة.

فإنـا لـو دخلنا ديار الـروم، فوجدنا أثمان الخمـور وأجرة الفجـور، كان لنا حلالًا بوصـف الغنيمة، أفتريد حـلالًا على معنى أن الحبة من الذهـب لم تنتقل مذ خرجت من المعدن على وجه لا يجوز! فهذا شيء لم ينظر فيه رسول الله ﷺ أو ليس قد سمعت

---

(١) **حديثٌ صحيحٌ**: أخرجه البخاري [١٠٨٨]، ومسلم [١٣٣٩]، [٤٢١] عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٢) حديـثٌ صحيـحٌ: أخرجـه أحمـد (٤/ ١٣٢)، والترمـذيّ [٢٣٨٠]، والنسـائيُّ في «الكـبرى» [٦٧٣٨، ٦٧٣٩] من طرقٍ عن يحيى بن جابر الطائي، عن المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه.
وقال الحافظ في «الفتح» (٩/ ٥٢٨): «حديث حسن».
وقـال ابن مفلـح في «الآدب» (٣/ ١٨٣): «حديـث صحيح له طرق»، قال ابـن رجب في «جامع العلوم والحكم» حديث[٤٧]: «وهذا الحديث أصلٌ جامعٌ لأصول الطب كلها».

أن الصدقة عليه حرام؟ فلما تصدق على بريرة بلحم فأهدته(١)، جاز له أكل تلك العين لتغير الوصف.

وقد قال أحمد بن حنبل: أكره التقلل من الطعام، فإن أقوامًا فعلوه فعجزوا عن الفرائض ثم يعجز عن مباشرة أهله وإعفافهم، وعن بذل القوى في الكسب لهم، وهذا صحيح؛ فإن المتقلل لا يزال يتقلل إلى أن يعجز عن النوافل ثم الفرائض، وعن فعل خير قد كان يفعله، ولا يهولنك ما تسمعه من الأحاديث التي تحث على الجوع، فإن المراد بها إما الحث على الصوم، وإما النهي عن مقاومة الشبع، فأما تنقيص المطعم على الدوام، فمؤثر في القوى، فلا يجوز(٢).

ثم في هؤلاء المذمومين من يرى هجْرَ اللحم، والنبي ﷺ كان يود أن يأكله كل يوم، واسمع مني بلا محاباة: لا تحتجنَّ عليّ بأسماء الرجال، فتقول: قد قال بشر، وقال إبراهيم بن أدهم، فإن من احتجَّ بالرسول ﷺ، وأصحابه رضوان الله عليهم أقوى حجة، على أن أفعال أولئك وجوه نحملها عليهم بحسن الظن.

وقد ذاكرتُ بعض مشايخنا ما يُروى عن جماعة من السادات، أنهم دفنوا كتبهم فقلت له: ما وجه هذا؟ فقال: أحسن ما نقول أن نسكت، يشير إلى أن هذا جهلٌ من فاعله، وتأولت أنا لهم؛ فقلت: لعل ما دفنوا من كتبهم فيها شيء من الرأي، فما رأو أن يعمل الناس به.

---

(١) كما في «الصحيحين» [خ١٤٩٥ وم١٠٧٤] عن أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ أُتي بلحم تُصدق به على بريرة، فقال: «**هو عليها صدقة، وهو لنا هدية**».

(٢) وهذا كلامٌ في غاية الدقة والبراعة، فرحم الله أحمد بن حنبل، وابن الجوزي، على هذا التأصيل المهم.

ولقد روينا في الحديث عن أحمد بن أبي الحواري: أنه أخذ كتبه فرماها في البحر، وقال: نعم الدليل كنت، ولا حاجة لنا إلى الدليل بعد الوصول إلى المدلول.

وهذا إذا حسنا به الظن قلنا: كان فيها من كلامهم ما لا يرتضيه، فأما إذا كانت علومًا صحيحة، كان هذا من أفحش الإضاعة، وأنا وإن تأولت لهم هذا، فهو تأويل صحيح في حق العلماء منهم، لأننا قد روينا عن سفيان الثوري: أنه قد أوصى بدفن كتبه، وكان ندم على أشياء كتبها عن قوم، وقال: حملني شهوة الحديث - وهذه لأنه كان يكتب عن الضعفاء والمتروكين - فكأنه لما عسر عليه التمييز، أوصى بدفن الكل.

وكذلك من كان له رأي من كلامه ثم رجع عنه، جاز أن يدفن الكتب التي فيها ذلك، فهذا وجه التأويل للعلماء.

فأما المتزهدون، الذين رأوا صورة فعل العلماء، ودفنوا كتبًا صالحة لئلا تشغلهم عن التعبد، فإنه جهل منهم، لأنهم شرعوا في إطفاء مصباح يُضيء لهم، مع الإقدام على تضييع ما لا يحل.

ومن جملة من عمل بواقعة دفن كتب العلم: يوسف بن أسباط، ثم لم يصبر عن التحديث فخلط فعُدَّ في الضعفاء. أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك، قال: أخبرنا محمد بن المظفر الشامي قال: أخبرنا أحمد بن محمد العتيقي قال: حدثنا يوسف بن أحمد، قال: حدثنا محمد بن عمرو العقيلي، قال: حدثنا محمد بن عيسى، قال: أخبرنا أحمد بن خالد الخلال، قال: سمعت شعيب بن حرب يقول: قلت: ليوسف بن أسباط: كيف صنعت بكتبك؟ قال: جئت إلى الجزيرة، فلما نضب الماء دفنتها حتى جاء الماء عليها، فذهبت. قلت: ما حملك على ذلك؟ قال: أردت أن يكون الهم همًّا واحدًا. قال العقيلي: وحدثني آدم، قال: سمعت البخاري قال: قال صدقة: دفن يوسف بن أسباط كتبه، وكان بعد يغلب عليه، فلا يجيء كما ينبغي، وقال المؤلف: قلت: الظاهر أن هذه كتب علم ينفع،

ولكـن قلـة العلم أوجبت هذا التفريط الذي قصد به الخير، وهو شر، فلو كانت كتبه من جنـس كتـب الثوري، فإن فيها عـن ضعفاء، ولم يصح له التمييز قـرب الحال، إنما تعليله بجمـع الهم، هو الدليل على أنها ليسـت كذلـك، فانظر إلى قلة العلم، مـاذا تؤثر مع أهل الخير.

ولقـد بلغنـا في الحديث عن بعـض من نعظمه ونزوره، أنه كان على شـاطئ دجلة، فبـال ثـم تيمم، فقيل له الماء قريب منـك، فقال: خفت أن لا أبلغـه، وهذا وإن كان يدل على قصر الأمل، إلا أن الفقهاء إذا سـمعوا مثل هذا الحديث تلاعبوا له، من جهة التيمم إنـما يصح عند عدم المـاء، فإذا كان الماء موجودًا كان تحريك اليديـن بالتيمم عبثًا، وليس مـن ضرورة وجـود الماء أن يكـون إلى جانب المحـدث، بل لو كان عـلى أذرع كثيرة كان موجودًا، فلا فعل للتيمم، ولا أثر حينئذٍ.

ومن تأمل هذه الأشـياء، علم أن فقيهًا واحدًا - وإن قلَّ أتباعه، وخِفْت إذا مات أشياعه - أفضل من ألوف تتمسح العوام بهم تبركًا، ويشيع جنائزهم ما لا يحصى؛ وهل النـاس إلا صاحـب أثر نتبعه، أو فقيه يفهم مراد الـشرع ويفتي به؟ نعوذ بالله من الجهل، وتعظيم الأسـلاف تقليدًا لهم بغير دليل! فإن من ورد المشرب الأول رأى سائر المشارب كـدرة، والمحنـة العظمى مدائح العوام، فكم غرت؛ كما قـال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما أبقى خفق النعال وراء الحمقى من عقولهم شيئًا». انتهى.

وتلك كلماتٌ وعباراتٌ من العلامة ابن الجوزي قلَّ أن تراها بهذا الرصانة، والمتانة، في كتاب آخر، ومن فهم هذا الباب فهو على خيرٍ عظيمٍ؛ نسـأل الله التوفيق والسـداد في الأمر كلِّه.

التوسُّطُ في طَلبِ الدُّنْيا

قال ابنُ الجوزي في «صيده» ص (١٢٤-١٢٦):

«**فصل**: اجتهاد العاقل فيما يصلحه لازم له بمقتضى العقل والشرع، فمن ذلك حفظ ماله وطلب تنميته والرغبة في زيارته، لأنه سبب بقاء الإنسان ماله؛ فقد نهى عن التبذير فيه، فقيل [له]: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾ [النساء: ٥]، فاعلم أنه سبب لبقائه: ﴿ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا﴾ [النساء: ٥]؛ أي: قوامًا لمعاشكم.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٦]. وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]، ومن فضيلة المال أن الله تعالى قال: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥].

وقال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٥]. وقال تعالى: ﴿يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٦٢]، وقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ﴾ [الحديد: ١٠]، وجعل المال نعمة، وزكاته تطهيرًا؛ فقال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نِعْمَ المَالُ الصَّالِحُ للرّجل الصَّالِحِ**»[(١)].

وقال: «**ما نَفَعَني مَالٌ كَمَالِ أَبِي بكْرٍ**»[(٢)]. وكان أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يخرج إلى التجارة ويترك رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلا ينهاه عن ذلك، وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: لأن أموت بين شعبتي جبل أطلب كفاف وجهي أحب إلي من أن أموت غازيًا في سبيل الله.

---

(١) **تقدّم**. وهو صحيح.

(٢) صحيح؛ أخرجه الترمذيُّ في «السنن» [٣٦٦١]، وابن ماجه [٩٤]، وأحمد (٢/ ٢٥٣، ٣٦٦)، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وكان جماعة من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يتَّجرون، ومن سادات التابعين سعيد بن المسيب؛ فمات وخلَّف مالًا وكان يحتكر الزيت، وما زال السلف على هذا، ثم تعرِضُ نوائب كالمرض يحتاج فيها إلى شيء من المال فلا يجد الإنسان بُدًّا من الاحتيال في طلبته، فيبذل عرضه أو دينه، ثم للنفس قوة بدنية عند وجود المال، وهو معدود عند الأطباء من الأدوية، حكمة وضعها الواضع، وإنما نبغ أقوام طلبوا طريق الراحة فادعوا أنهم متوكلة، وقالوا: نحن لا نمسك شيئًا ولا نتزود لسفر، ورزق الأبدان يأتي، وهذا على مُضادة الشرع؛ فإن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عن إضاعة المال[1].

وموسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لما سافر في طلب الخضر تزوّد، ونبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما هاجر تزود، وأبلغ من هذا قوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧]، ثم يدّعي هؤلاء المتصوفة بُغض الدنيا فلا يفهمون ما الذي ينبغي أن يبغض، ويرون زيادة الطلب للمال حرصًا وشرهًا، وفي الجملة؛ إنما اخترعوا بآرائهم طريقًا فيها شيء من الرهبانية إذا صدقوا، وشيء من البهرجة إذا نصبوا شباك الصيد بالتزهيد؛ فسموا ما يصل إليهم من الأرزاق فتوحًا.

قال ابن قتيبة في «غريب الحديث» في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اليد العليا**»[2]؛ قال: هي المعطية، قال: فالعجب عندي من قوم يقولون هي الآخذة، ولا أرى هؤلاء القوم إلا قومًا استطابوا السؤال، فهم يحتجون للدناءة، فأما الشرائع فإنها بريئة من حالهم...

وقد نفر جماعة من المتصوفة خلقًا من الخلق من الكسب، وأوحشوا بينهم وبينه، وهو دأب الأنبياء والصالحين..

---

(١) **حديث صحيح**: أخرجه البخاري [٢٤٠٨]، ومسلم [٥٩٣]، عقب رقم [١٧١٥] عن المغيرة ابن شعبة مرفوعًا.

(٢) **حديث صحيح**: أخرجه البخاري [١٤٢٩]، ومسلم [١٠٣٣] عن ابن عمر.

وإنـما طلبوا طريق الراحة، وجلسـوا على الفتوح؛ فإذا شـبعوا رقصوا؛ فإذا انهضم الطعـام أكلـوا، فـإن لاحت لهم حيلة عـلى غنى أوجبوا عليه دعوة، إما بسـبب شـكرٍ أو بسـبب اسـتغفار، وأطم الطامات ادعاؤهم أن هذا قربة، وقد انعقد إجماع العلماء أن من ادعـى الرقـص قربـة إلى الله تعالى كفر، فلو أنهـم قالوا مباح كان أقرب حـالًا، وهذا لأن القرب لا تعرف إلا بالشرع، وليس في الشرع أمر بالرقص ولا ندب إليه».



شبهاتٌ والجواب عليها

الإعراضُ عن الأهل والأولاد بدعوى الزهد!!

س: هل من الزهد هجران الأهل والأولاد والأقارب خشية الوقوع في المحرمات والشبهات؟

جـ: أجاب شيخ الإسلام على مثل هذا في سؤال طُرح عليه وهو ما نصه[1]:
سئل شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن رجلٍ تفقه وعلم ما أمر الله به وما نهى عنه ثم تزهد وترك الدنيا والمال والأهل والأقارب والأولاد خائفًا من كسب الحرام والشبهات وبعث الآخرة وطلب رضا الله ورسوله، وساح في أرض الله والبلدان؛ فهل يجوز له أن يقطع الرحم ويسيح كما ذكر أم لا؟

فأجاب: الحمد لله وحده؛ الزهد المشروع هو: ترك كل شيء لا ينفع في الدار الآخرة وثقة القلب بما عند الله؛ كما في الحديث الذي في الترمذي[2]: «**ليس الزهد في الدنيا بتحريم الحلال، ولا إضاعة المال، ولكن أن تكون بما في يد الله أوثق بما في يدك، وأن تكون المصيبة - إذا أصبت - أرغب منك فيها لو أنها بقيت لك**»؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ ﴾ [الحديد: ٢٣]، فهذا صفة القلب. وأما في الظاهر؛ فترك الفضول التي لا يستعان بها على طاعة الله من مطعم وملبس ومال وغير ذلك، كما قال الإمام أحمد: «إنما هو طعام دون طعام، ولباس دون لباس، وصبر أيام قلائل» وكان من عادته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في المطعم أنه لا يرد موجودًا ولا يتكلّف مفقودًا، ويلبس من اللباس ما تيسر من قطن وصوف وغير ذلك وكان القطن أحب إليه، وكان إذا بلغه أن بعض أصحابه يريد أن يعتدي فيزيد

---

(١) في رسالة «الزهد والعبادة» [٧٣].

(٢) في «السنن» برقم [٢٣٤٠].
قلتُ: وسنده ضعيف. ورجَّح ابن رجب في «جامعه» [٢٨٩] وقفهُ.

في الزهد أو العبادة على المشروع ويقول: أينا مثل رسول الله ﷺ يغضب لذلك؛ ويقول: «**إني لأخشاكم لله وأعلمكم بحدود الله تعالى**». وبلغه أن بعض أصحابه قال: أما أنا فأصوم فلا أفطر، وقال الآخر: أما أنا فأقوم فلا أنام، وقال آخر: أما أنا فلا أتزوج النساء، وقال الآخر: أما أنا فلا آكل اللحم؛ فقال ﷺ: «**لكني أصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وأتزوج النساء، وآكل اللحم، فمن رغب عن سنتي فليس مني**».

فأما الإعراض عن الأهل والأولاد فليس مما يحبه الله ورسوله ولا هو من دين الأنبياء؛ بل قد قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ [الرعد: ٣٨].

والإنفاق على العيال والكسب لهم يكون واجبًا تارة ومستحبًّا أخرى؛ فكيف يكون ترك الواجب أو المستحب من الدين». انتهى.

فالواجبات أو المستحبات لا يصلح فيها زهدٌ ولا ورع، وأما المحرمات والمكروهات فيصلح فيها الزهد والورع، وأما المباحات فيصلح فيها الزهد دون الورع؛ كما قرّره ابن تيمية في «الفتاوى» (١٠/ ٦١٩)؛ وبيّن ما يقع من بعضهم من غلط وخلْط في هذا الباب فأزال التلبيس؛ كما في «الفتاوى» (٢٠/ ١٥٠-وما بعدها) فقال: «وقد يقع الغلط في الزهد من وجوهٍ:

أحدها- أن قومًا زهدوا فيما ينفعهم بلا مضرة، فوقعوا به في ترك واجبات أو مستحبات، كمن ترك النساء واللحم، ونحو ذلك[1]، وقد قال ﷺ: «**لكني أصوم وأفطر، وأتزوج النساء، وآكل اللحم، فمن رغب عن سنتي فليس مني**».

---

(١) وانظر: «الفتاوى» (١٠/ ٤٥٢، ٦٢٣).

وقال ابن الجوزي في «التلبيس» ص[٤٠٧] ط. المدني: «كان خيار السلف يؤثرون الوحدة والعُزلة عن الناس اشتغالًا بالعلم والتعبد، إلا أن عزلة القوم لم تقطعهم عن جمعة ولا جماعة ولا عيادة مريض ولا شهود جنازة ولا قيام بحق، إنما هي عزلة عن الشر وأهله ومخالطة البطالين، وقد لبس إبليس على جماعة من المتصوفة؛ فمنهم من اعتزل في جبل كالرهبان، يبيت وحده، ويصبح وحده، ففاتته الجمعة وصلاة الجماعة ومخالطة أهل العلم...».

والثاني- إن زهد هذا أوقعه في فعل محظور، كمن ترك تناول ما أبيح له من المال والمنفعة، واحتاج إلى ذلك فأخذه من حرام، أو سأل الناس المسألة المحرمة، أو استشرف إليهم، والاستشراف مكروه.

والثالث- مَنْ زهدِ زهْد الكسل والبطالة والراحة، لا لطلب الدار الآخرة بالعمل الصالح والعلم النافع، فإن العبد إذا كان زاهدًا بطالًا فسد أعظم فساد، فهؤلاء لا يعمرون الدنيا ولا الآخرة؛ كما قال عبد الله بن مسعود: «إني لأكره أن أرى الرجل بطالًا ليس في أمر الدنيا ولا في أمر الآخرة، وهؤلاء من أهل النار».

وكما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الذي رواه مسلم في «صحيحه» عن عياض ابن حمار عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**وأهل النار خمسة** - فذكر منهم- **الضعيف الذي لا زبر له، الذين هم فيكم تبع لا يبتغون أهلًا ولا مالًا**».

فمن ترك بزهدِه حسناتٍ مأمورًا بها كان ما تركه خيرًا من زهده، أو فعل سيئات منهيًّا عنها، أو دخل في الكسل والبطالات، فهو من الأخسرين أعمالًا: ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤].

۞ ومَنْ زهد فيما يشغله عن الواجبات أو يوقعه في المحرمات فهو من المقتصدين أصحاب اليمين.

۞ ۞ ومن زهد فيما يشغله عن المستحبات والدرجات؛ فهو من المقدمين(١) السابقين». انتهى المراد.

س: هل الزهدُ في الدنيا يُنافي الغنى؟

جـ: قال في «عدة الصابرين» ص[٢٢٥]: «الزهد لا ينافي الغني، بل زهد الغنى أكمل من زهد الفقير، فإن الغني زهد عن قدرة، والفقير زهد عن عجز، وما بينهما بعدٌ

(١) وقد تكون: «المقربين».

بعيد، وقد كان رسول الله ﷺ في حال غناه أزهد الخلق، وكذلك إبراهيم الخليل كان كثير المال، وهو أزهد الناس في الدنيا؛ وقد روى الترمذي في «جامعه»[(١)] من حديث أبي ذر عن النبي ﷺ قال: «**الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا إضاعة المال، ولكن الزهادة في الدنيا أن لا تكون بما في يديك أوثق بما في يد الله، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أنت أصبت بها أرغب في ثوابها لو أنها بقيت لك**». وسئل الإمام أحمد عن الرجل يكون معه ألف دينار؛ هل يكون زاهدًا؛ قال: «نعم. بشرط أن لا يفرح إذا زادت، ولا يحزن إذا نقصت».

وقال بعض السلف: «الزاهد من لا يغلبُ الحلالُ شكره، ولا الحرامُ صبره»، وهذا من أحسن الحدود حقيقة مركبة من الصبر والشكر؛ فلا يستحق اسم الزاهد من لا يتصف بهما.

فمن غلب شكره لما وسع عليه من الحلال، وصبرُه لما عرض له من الحرام فهو الزاهد على الحقيقة، بخلاف من غلب عليه الحلالُ شكره، والحرامُ صبره، فكان شكره وصبره مغلوبين؛ فإن هذا ليس بزاهد.

وسمعت شيخ الإسلام يقول: «الزهد تركك ما لا ينفعك، والورع تركك ما يضرك»؛ فالزهد فراغ القلبِ من الدنيا لا فراغ اليدين منها»ا.هـ.

فالزاهد يجعل الدنيا في يده وليس يجعلها في قلبه؛ وهذا هو المراد.

---

(١) برقم [٢٣٤٠]، وسنده ضعيف، وأخرجه ابن ماجه [٤١٠٠].
قال الترمذي: «وعمرو بن واقد منكر الحديث».
وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٢٨٦) بعد أن عزاه إلى الطبراني في «الأوسط»: «وفيه عمرو بن واقد وقد ضعفه الجمهور. وقال محمد بن المبارك: «كان صدوقًا» وبقية رجاله ثقات»، والحديث تقدم مرارًا. وقد رواه أحمد في «الزهد» ص[٢٥]، من قولِ أبي مسلم الخولاني.

س: هل يكون العبد زاهدًا إن زهد في الحرام خاصة ولم يزهد في فضول المباحات كالطعام والشراب واللباس أم لا؟

جـ: قال ابن رجب في «جامع العلوم» ص [٢٩٢]: «على قولين:

أحدهما- أنه يستحق اسم الزهد بذلك، وقد سبق ذكر ذلك عن الزهري وابن عيينة وغيرهما.

والثاني- لا يستحق اسم الزهد بدون الزهد في فضول المباحات. وهو قول طائفة من العلماء العارفين وغيرهم.

حتى قال بعضهم: لا زهد اليوم لفقد المباح المحض.. وهو قول يوسف بن أسباط وغيره.

وفي ذلك نظر؛ وكان يونس بن عبيد يقول: وما قدر الدنيا حتى يمدح من زهد فيها.

ونقل عن أبي سليمان الداراني - بعد ذكره اختلاف أهل العراق في الزهد: «وأنا أذهب إلى أن الزهد في ترك ما يشغلك عن الله عَزَّوَجَلَّ».

وهذا الذي قاله أبو سليمان حسن وهو يجمع جميع معاني الزهد وأقسامه وأنواعه». انتهى.

س: هل الزهد واجبٌ على العبد؟

جـ: قال ابن تيمية في «الفتاوى» (٧/ ٦٥١): «الناس يتفاضلون في الإيمان؛ كتفاضلهم في شعبه، وكل إنسان يطلب ما يمكنه طلبه، ويقدم ما يقدر على تقديمه في الفاضل.

والناس يتفاضلون في هذا الباب:

۞ **فمنهم**: من يكون العلم أيسر عليه من الزهد.

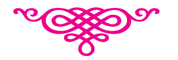
* **ومنهم** من يكون الزهد أيسر عليه.

* **ومنهم**: من تكون العبادة أيسر عليه منهما.

فالمشروع لكل إنسان أن يفعل ما يقدر عليه من الخير؛ كما قال تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦].

وإذا ازدحمت شعب الإيمان قدم ما كان أرضى لله وهو عليه أقدر»ا.هـ.

قلت: وقد قدّم ابن الجوزي مرتبة العلم مع التقوى على الزهد وحده؛ وإن شئت فانظره في «صيد الخاطر» ص[١٢٩].



ذمُّ الدنيا لأغراض دنيوية ليس بزهد شرعي

بعضُ الناس إذا لم يحصل له مرادُهُ من الدنيا من ربحٍ وكسبٍ وتجارةٍ سبّها ولعنها وذمها؛ وهذا مذمومٌ غير محمود.

ومن زهد في الدنيا لطلب راحةٍ دنيوية عاجلةٍ فقط ذُمّ ولم يحمد أيضًا.

قال ابن تيمية في «الفتاوى» (١٤٦/٢٠): «لا حمد على ترك الدنيا لغير عمل الآخرة»، وقال: «إن مجرد الزهد في الدنيا لا حمد فيه؛ كما لا حمد على الرغبة فيها، وإنما الحمد على إرادة الله والدار الآخرة، والذم على إرادة الدنيا المانعة من إرادة ذلك».

وقال ص[١٤٨]: «إن أكثر العامة إنما يذمونها لعدم حصولِ أغراضهم منها، فإنها لم تصف لأحدٍ قط، ولو نال منها ما عساه أن ينال،... وهؤلاء حقيقة ذمهم لها ذمٌّ دنيوي لما فيها من الضرر الدنيوي؛ كما يذم العقلاء التجارة والصناعة التي لا ربح فيها، بل فيها تعب، وكما تذمُّ معاشرةَ من يضرك ولا ينفعك في التزويج بسيئةِ الخُلُق، ونحو ذلك من الأمور التي لا تعود مضرتها ومنفعتها إلا إلى الدنيا أيضًا» ثم قال ص[١٤٩]: «فأكثر ذم الناس للدنيا ليس من جهة شغلها لهم عن الآخرة، وإنما هو من جهة ما يلحقهم من الضرر فيها»[(١)].

فالزهد الحقيقيُّ المحمودُ أن يترك من الدنيا ما يشغلُهُ عن مصلحة الآخرة، والله الهادي إلى صراط المستقيم.

وفي كلامٍ لابن القيم في «طريق الهجرتين» ص[٣٨٠] يقول فيه: «الزهد المشوب إما أن يكون بنوعِ عجز أو ملامةٍ وسآمةٍ وتأذية بها وبأهلها، وتعب قلبه بشغله بها؛ ونحو هذا من المزهدات فيها؛ كما قيل لبعضهم: ما الذي أوجب زهدك في الدنيا؟

---

(١) وانظر: «الفتاوى» أيضًا (٧/ ٦٥٢،٦٥٣).



قال: قلة وفائها، وكثرة جفائها، وخسة شركائها، فهذا زهدٌ ناقصٌ، فلو صفت للزاهد تلك العوارض لم يزهد فيها بخلاف من كان زهده فيها لامتلاء قلبه من الآخرة، ورغبته في الله، وقربه، فهذا لا نقص في زهده، ولا علّة من جهةِ كونه زاهدًا».

۞ ووقفتُ على كلام آخر لشيخ الإسلام في «الفتاوى» (٧/ ٦٥٢) فقد قال: «ولهذا كان في المشركين زهاد، وفي أهل الكتاب زهاد، وفي أهل البدع زهاد، ومن الناس من يزهد لطلب الراحة من تعب الدنيا.

ومنهم: من يزهد لمسألة أهلها والسلامة من أذاهم.

ومنهم: من يزهد في المال لطلب الراحة.

إلى أمثال هذه الأنواع التي لا يأمر الله بها ولا رسوله، وإنما يأمر الله ورسوله أن يزهد فيما لا يحبه الله ورسوله ويرغب فيما يحبه الله ورسوله، فيكون زهده هو الإعراض عما لا يأمر الله به ورسوله أمر إيجاب ولا أمر استحباب؛ سواء كان محرمًا أو مكروهًا أو مباحًا..».



متزهدون على غير هدى

مـع فضل الزهـد وشرف أهله إلا أن هنـاك ثلّةً من الناس لم يفهمـوا حقيقة الزهد والعمل به وبعضهم انتسب إليه تشويهًا للدين وصورة الشرع الحنيف..إلخ، وهاك شيئًا من هذه الطرائق والمسالك المحدثة في الزهد:

فهنـاك: قوم ما عرفوا الزهادة وما معناها حسـبوا أن الزهادة؛ شـتم الدنيا، وأكل النخالة، ولبس الصوف، وذم الأغنياء، ومدح الفقراء، وتضييع الأهل والأولاد، وكفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت (يعول).

وقوم آخرون أظهروا الزهد وقلوبهم مشحونة بالدنيا والتطلع إليها.

وقـومٌ زعموا الزهد وقـد روَّجوا على الحمقى والجهال فـرَووْا لهم أحاديث متعلقة بالزهـد وكذبوا فيها على رسـول الله ﷺ يقولون: «نحـن لا نكذب عليه ولكننا نكذب له» وكذبوا!!.

فهم قوم نسبوا أنفسهم إلى الزهد وقد أضروا بالدين.

وهؤلاء؛ كما قال القرطبي في «التفسـير» (١/ ٨٠) [باب هل ورد في القرآن كلمات خارجة عن لغات العرب] قال: «فحذار مما وضعه أعداء الدين وزنادقة المسلمين في باب الترغيب والترهيب، وغير ذلك، وأعظمهم ضررًا أقوامٌ من المنسوبين إلى الزهد وضعوا الحديث حسبة فيما زعموا، فتقبل الناس موضوعاتهم ثقة منهم بهم، وركونًا إليهم فضلوا وأضلوا»(١).

وصنـف من المنتسـبين إلى الزهد بغير علم أدّاهم الجهـل إلى أن أبدعوا من تلقاء أنفسـهم بدعًـا، وحسـبوا أن الزهـادة في الدنيـا؛ تجنب الأشـياء فعلًا، والعُزلـة عن أهل

---

(١) وانظر: كلامًا لابن تيمية في «درء تعارض العقل والنقل» (١/ ٩٢).

الدنيا، فضيعوا الحقوق، وقطعوا الأرحام، وجفوا الخلق، وأكفهروا في وجوه الأغنياء، وفي قلوبهم من شهوة الغنى أمثال الجبال الشامخات(١). ولم يعلموا أن أصل الزهد موت الشهوات من القلب، فلما اعتزلوها بالجوارح اكتفوا به وحسبوا أنهم استكملوا الزهد حتى تأدى بهم الجهل إلى أن طعنوا في الأئمة الذين عرفوا بسعة المعاش وكثرة المال حتى عابوا على هؤلاء.

وزعموا هم أنهم هم المتوكلون على ربهم فتركوا السعي وزعموا أن الطلب شك وأن الرزق يأتي في وقته فقعدوا رفضًا للطلب والمكسب فضيعوا الأهلين والأولاد -كما سبق-(٢).

وأقوام اجتهدوا في العبادة حتى تجاوزوا فيها السنة؛ والاعتدالُ والتوسط مطلوب حتى في الأكل والشرب؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ [الأعراف: ٣١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]. وصحَّ عن ابن مسعود أنه قال: «اقتصادٌ في سنة خير من اجتهاد في بدعة».

فقد تعمل قليل عمل؛ لكنه موافق للسنة فيُقبل منك، وقد يؤديك اجتهادك إلى استحسان طريقة ما في عبادة من العبادات؛ كمن يجمع أفرادًا يصلون معه ركعات من الليل دون رمضان، وكمن يجلس في حلقة من الحلقات التي تسبح وتذكر الله بطريقة

(١) قلتُ: ولله درّ ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حين قال معلقًا على حديثٍ لا يصح: «وقد عمل جماعةٌ من المتصوفة والمتزهدين على هذا الحديث، الذي لا يثبت، وانفردوا في بيت الخلوة أربعين يومًا، وامتنعوا عن أكل الخبز، وكان بعضهم يأكل الفواكه ويتناول الأشياء التي تتضاعف قيمتها على قيمة الخبز، ثم يخرج بعد الأربعين، فيهذي ويتخيل إليه أنه يتكلم بالحكمة! ولو كان الحديث صحيحًا؛ فإن الإخلاص يتعلق بقصد القلب، لا بفعل البدن، فللّه در العلم». «الموضوعات» (٣/ ١٤٤).

وقال قريبًا من ذلك في «التلبيس» ص [٢٨٦] ثم قال: «فالإخلاص عمل القلب».

(٢) انظر: «نوادر الأصول» (٢/ ٢٤٦).

وكيفية معينة خلاف ما كان عليه محمد بن عبد الله ﷺ ؛ فمجاوزة الحد في العبادة والزهد أمر مذمومٍ إذا لم يأت من الشرع ما يؤيدُهُ.

وقد جاء في «الصحيحين» من حديث أنس قال: «جاء ثلاثة رهطٍ إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ ؛ فلما أُخبروا كأنهم تقالُّوها فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؛ قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدًا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر، ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء، فلا أتزوج أبدًا، فجاء رسول الله ﷺ إليهم؛ فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا... أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء؛ فمن رغب عن سنتي فليس مني**».

فانتبه لذلك تفلح وتكن من الفائزين(١).

** فأيُّ عبادةٍ يريدُ صاحبها أن يتقرّب إلى الله بها لابدّ لها من شرطين:

الأول- الإخلاص.

الثاني- الاتباع.

لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [النساء:١٢٥].

فلا يقبل العمل إلا إذا كان خالصًا صوابًا، أحسن فيه صاحبه، ووافق فيه سنة النبي ﷺ .

---

(١) **قال ابن تيمية في «الاستقامة»** (١/ ١٠٠): «والمسلم الصادق إذا عبد الله بما شَرع فتح الله عليه أنوار الهداية في مدة قريبة، فالمهتدون من مشايخ العباد والزهاد يوصون باتباع العلم المشروع، كما أن أهل الاستقامة من العلم يوصون بعلمهم الذي يسلكه أهل الاستقامة من العباد والزهاد، وأما المنحرفون من الطائفتين فيعرضون عن المشروع: إما من العلم وإما من العمل؛ وهما طريق المغضوب عليهم والضالين».



وعليه كذلك:

فليس كلُّ أشعث أغبر يكون زاهدًا حتى نراه متبعًا لهدي النبي ﷺ في أحواله[1] الظاهرة؛ ففي «صحيح مسلم» برقم [١٠١٥] من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ ذكر الرجل: «**يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء؛ يا ربّ يا ربّ! ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذي بالحرام! فأنى يستجاب لذلك**».

فمع أن الرجل أشعث أغبر إلا أن أعماله فاسدة... كما أنه ليس الزهد أن يكون الرجل ثائر الرأس غير نظيف؛ بل هو مأمور بالتجمل والنظافة؛ ففي «سنن أبي داود» برقم [٤٠٦٢]، والنسائي (٨/ ١٨٣) **بسندٍ صحيح** - وقد أعل[2]- من حديث جابر أن النبي ﷺ رأى رجلًا شعثًا قد تفرّق شعره فقال: «**أما كان هذا يجد ما يسكن به شعره**»، ورأى رجلًا وعليه ثيابٌ وسخة فقال: «**أما كان هذا يجد ما يغسل به ثوبه**». وقد تقدم قول النبي ﷺ: «**إن الله جميل يحبُّ الجمال**».

۞ كما أنه لا يُغتر بزهدِ أحدٍ حتى يُعرض اعتقادُهُ على عقيدة أهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين.

وهذا ينطلي على كثيرٍ من الناس حين يرون رجلًا يتصف بالزهد في الدنيا، ومجتهدًا في العبادة، حسنَ الأخلاقِ، حسنَ السمتِ والمظهرِ، يظهر عليه الخشوع، لكن الاعتقاد عندهُ مشوبٌ فيتأثرون به ويقلدونه ويتبعونه في انحرافه، فقد يرى بعضهم نفي القدر وهو

---

(١) ثم إن الزهد لا يكون باللباس والمنظر فحسب؛ بل هو من أعمال القلوب آكد، ولهذا كان أبو سليمان الداراني يقول: «لا تشهد لأحدٍ بالزهد فإن الزهد في القلب». «جامع العلوم» ص [٢٨٩].
فليس كل من لبس ثيابًا رديئة مرقعة يُحكم عليه بالزهد، فكثيرًا ما ترى في هؤلاء من يتعلق بالمخلوقين أكثر من تعلقهم بالخالق سبحانه من مدّ الأيدي وسؤال الناس ونحو ذلك.

(٢) **قلت (مصطفى)**: نعم هو معلوم.

عابدٌ زاهد، وقد يرى الخروج بالسيف على الأئمة والحكام وهو عابدٌ زاهد، وقد يعتقد اعتقاد الصوفيّة في الاتحاد والحلول وهو عابدٌ زاهد. ومنهم الزاهد الذي يزهد في تعلّم العلم بالكتاب والسنة، ومنهم الذي يكذب على رسول الله ﷺ وهو موصوفٌ بالزهد، ومنهم الضعيف السيئ الحفظ في الحديث، لكنه من أهل الزهد والعلم.

الخلاصة: أنه لا يغتر بأحدٍ ظاهره حُسْنُ السمت والمظهر والخشوع والعبادة والزهد حتى تعرض معتقده - بل ومنهجه الذي يسير عليه في الدعوة - على منهج السلف الصالح واعتقادهم.

أقول هذا، مع أنه قد وقع في هذا المنزلق الخطير كثيرٌ من الناس؛ فقد اغتروا بمن قد وصفتُ وهم على غير المعتقد الصحيح، والمنهج السوي الذي سار عليه رسول الله ﷺ وأصحابه.

وفي «تهذيب التهذيب» لأمير المؤمنين في الحديث الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وقال جعفر الطيالسي**: سمعت ابن معين قال: سمعت من عبد الرزاق كلامًا استدللت به على ما ذكر عنه من المذهب[1]، فقلت له: إن أستأذيك الذين أخذت عنهم ثقات، كلهم أصحاب سنة: معمر، ومالك، وابن جريج، والثوري، والأوزاعي، فعمّن أخذت هذا المذهب؟

قال: قدم علينا جعفر بن سليمان، فرأيته فاضلًا، حسن الهدى، فأخذتُ هذا عنه».

- وهذا محمد بن كرام الذي تنتمي إليه فرقة الكرامية الضالة، قال عنه الذهبي في «الميزان»: «المبتدع شيخ الكرامية، كان زاهدًا عابدًا ربانيًّا».

---

(١) قال الحافظ في «التقريب» في ترجمة عبد الرزاق: «وكان يتشيع».

- وكذا عمرو بن عبيد شيخ المعتزلة يذكر أيضًا بالعبادة؛ ومع ذلك جاء عنه أنه كان يشتم الصحابة [(١)].

- وقبل ذلك الخوارج؛ وصفهم النبيُّ ﷺ بقوله: «**يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم**»؛ كما في «الصحيحين» من حديث أبي سعيد الخدري [(٢)].

وكان لهم بالقرآن دوي كدوي النحل، حتى إن أشقاهم عبد الرحمن بن ملجم قاتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب؛ **قال عنه الذهبي في «الميزان»**: «كان عابدًا قانتًا لله، لكنه ختم بشرٍّ، فقتل أمير المؤمنين عليًّا متقربًا إلى الله بدمهِ بزعمه».

وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣٣٣/٧): «وقد قيل: إن عبد الله بن جعفر قَطَع يديه ورجليه، وكحلت عيناه، هو مع ذلك يقرأ سورة ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ إلى آخرها، ثمّ جاءوا ليقطعوا لسانه، فجزع، وقال: إنّي أخشى أن تمرَّ عليَّ ساعة لا أذكر الله فيها، ثم قطعوا لسانه، ثم قتلوه، ثم حرقوه في قوصرة، والله أعلم» [(٣)].

فقد ترى في الشخص بساطة في تكاليف المعيشة، وقلة حظ من متاع الدنيا، ولا يلتفت إلى متاعها وحطامها، فتشعر بأنك أمام رجلٍ فذّ منقطع النظير؛ وهو مع ذلك منحرف في العقيدة؛ وقد تقدّم أن هذا وقع في طوائف شتى.

فمن هؤلاء - كما تقدم الخوارج؛ كانوا أعظم الناس زهدًا ولكنهم في ضلالٍ وعمى فقد حملوا فكرًا منحرفًا، كالخروج على الأئمة والحكام مع التكفير بالمعصية واستحلال الدماء.

---

(١) «الميزان» (٣/ ٢٧٤).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٦/ ٦١٧) رقم [٣٦١٠]، ومسلم [١٠٦٤] وغيرهما.

(٣) انظر: «إعلان النكير» ص [٥١،٥٢] لشيخنا أحمد حفظه الله.

۞ وكثير من جماعة التبليغ والدعوة ترى أكثرهم في غاية من الزهادة والعبادة لكنهم على غير هدى في كثير من المسائل العقدية كالتوسل وغير ذلك، ومنهجهم قائم على بدع متعددة كبدعة الخروج أيامًا محددة والتزهيد في العلم الشرعي وتعلُّم العقيدة ونحو ذلك.

۞ وجماعات من الشيعة والروافض، والشيعة معلومٌ فسقُ، بل وكفْر كثيرٍ من دعاتهم وزعمائهم؛ كالخميني في هذا العصر.

ومن الشيعة قومٌ زهاد بدعتهم غير مفسقة، فترى في هذا الصنف نوع ديانة، وهم قلّة، كما حكى عن بعضهم شيخ الإسلام في كثير من كتبه، وانظر مثلًا: «منهاج السنة» (٧/ ٢١٤،٢٦٣).

۞ وجماعة من الصوفية - وقد تقدم شيءٌ عنهم - الذين يحكّمون هواجسهم وخواطرهم على الكتاب والسنة (يقولون: حدثني قلبي عن ربي).

وهذه الجماعة المتصوفة تزعم أنها في أعلى مقامات الزهد والعبادة.

ومع ذلك؛ فعندهم بدعٌ كثيرة محدثة في طريقة الزهد والعبادة.

فالزهد وحدهُ لا يكفي في استقامة الشخص؛ بل لابد معه من اتباع لهدي خير العباد محمد ﷺ.

فكثيرٌ من الزهَّاد نحسبهم من الصادقين إلا أنهم سلكوا في زهدهم طريقةً غير مرضية على خلاف هدي سيد البشرية ﷺ.

فلابد من الموافقة للكتاب والسنة في جميع الأعمال؛ وإلا ردّت تلك الأعمال على وجه أصحابها؛ فقد قال ﷺ: **«من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد»**.

جعلنا الله وإياكم وجميع المسلمين والمسلمات من المتبعين لهدي رسولنا ونبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه.

ومن شبهات المتصوفة المتزهدة؛ أنهم يفضلون الجوع والسهر والصمت والخلوة ويقولون: كلما كانت الأعمال أشق على النفس فهي أفضل، فكيف يردُّ عليهم؟

قال ابن تيمية في «الجواب الصحيح» (٦/٤٣،٤٤): «يقال لهم: الجهاد أعظم مشقة من هذا كله؛ فإنه بذل النفس وتعريضها للموت، ففيه غايةُ الزهد المتضمن لترك الدنيا كلها، وفيه جهاد النفس في الباطن، وجهاد العدو في الظاهر».

ومن جهل الصوفية المنتسبين إلى الزهد؛ **ما قاله شيخ الإسلام في «النبوات»** ص [١٥٠] في معرض رده على المتفلسفة **قال**: «وهكذا يقول من يقول من مبتدعة أهل الزهد والتصوف إذا دخلوا في عبادات منْهي عنها ومذمومة في الشرع قالوا: كان الصحابة مشغولين عنها بالجهاد، وكان النبي ﷺ يخاف أن يشتغلوا بها عن الجهاد».

ثم شرع شيخ الإسلام يردّ عليهم بأنهم لم يعرفوا الصحابة مع نسبتهم إليهم ما لا يوافق إلا أهواءهم فابتدعوا أقوالًا باطلة ظنوا أنها هي أصول الدين لا يكون عالمًا بالدين إلا من وافقهم عليها.

قلتُ: وقد أجاد وأفاد العلامة ابن الجوزي في بيان حالهم؛ **فقال في «صيد الخاطر» ص[٢٥]**: «تأملتُ أحوال الصوفية والزهاد فوجدتُ أكثرها منحرفًا عن الشريعة، بين جهل بالشرع وابتداعٍ بالرأي، يستدلون بالآيات لا يفهمون معناها، وبأحاديث لها أسباب، وجمهورها لا يثبت» ثم أخذ يسرد شبههم.

وقال ص [٥٧]: «ولقد دخل المتزهدون في طرقٍ لم يسلكها الرسول الله ﷺ ولا أصحابه، من إظهار التخشع الزائد في الحد، والتنوُّق(١) في تخشين الملبس، وأشياء

---

(١) المبالغة. «اللسان» (١٠/ ٣٦٢).

صـار العوام يستحسـنونها، وصارت لأقوام كالمعـاش يجتنون من أرباحهـا، تقبيل اليد، وتوفير التوقير، وحراسة الناموس، وأكثرهم في خلوته على غير حالته في جلوته.

وقد كان ابن سيرين يضحك بين الناس قهقهة، وإذا خلا بالليل، فكأنما قُتل أهل القرية.

فنسـأل الله علـمًا نافعًـا، فهو الأصـل، فمتى حصـل أوجب معرفـة المعبود عَزَّوَجَلَّ، وحـرّك إلى خدمته بمقتضى ما شرعه وأحبه. وسـلك بصاحبه طريق الإخلاص، وأصلُ الأصول: العلم، وأنفع العلوم؛ النظر في سيرة الرسول صَلَّاللهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأصحابه: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾ [الأنعام: ٩٠]»ا.هـ.

وقد يُرائي المتزهد من حيث يشـعر أو من حيث لا يشعر؛ **قال ابن الجوزي أيضًا في «صيـده» ص [٢٩٩]**: «تأملتُ على مُتزهِدِي زماننا أشـياء تدلُّ على النفاق والرياء وهم يدعون الإخلاص.

- **منهـا**: أنهـم يلزمون زاوية فلا يـزورون صديقًا، ولا يعـودون مريضًا، ويدَّعون أنهم يريدون الانقاطع عن الناس اشـتغالًا بالعبادة، وإنما هي إقامة نواميس ليشـار إليهم بالانقطاع، إذ لو مشوا بين الناس زالت هيبتهم، وما كان الناس كذلك.

كان رسـول الله صَلَّاللهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يعود المريض ويشـتري الحاجة من السوق، وأبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يتجـر في البـز، وأبو عبيدة بـن الجراح يحفر القبـور، وأبو طلحة أيضًـا[1]، وابن سيرين يغسل الموتى، وما كان عند القوم إقامة ناموس.

وأصحابنا يلزمون الصمت بين الناس، والتخشع والتماوت، وهذا هو النفاق؛ فقد كان ابن سيرين يضحك بالنهار وبين الناس ويبكي بالليل... إلى آخره».

(١) «كان أبـو طلحـة أكثـر الأنصـار بالمدينة مالًا مـن نخل، وكان أحـب أمواله إليه بيرحـاء»، كما في «صحيح البخاري» [١٤٦١]، ومسلم [٩٩٨]، ومع ذلك أنفقها في سبيل الله عملًا بقوله: «﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [آل عمران: ٩٢]، قـال: وإن أحـب أموالي إليَّ بِيْرحـاء وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله».

نصيحة للزهاد[1]

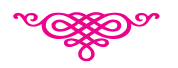
الأعمال بالنيات، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ [الزمر: ٣].

يا معشر المتزهدين؛ إنه – تعالى – يعلم السر وما خفى، أتظهرون الفقر في لباسكم، وأنتم تستوفون شهوات النفوس! وتظهرون التخاشع والبكاء في الجلوات دون الخلوات.

آهٍ للمرائي من يوم ﴿ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ (العاديات: ١٠). وهي بالنيات.

فأفيقوا وتوبوا واستقيموا: ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ [الزمر: ٥٦]، والزموا الجادة والطريق السوي في زهدكم، واجعلوه كزهدِ نبيكم والصحابة والتابعين، ولا تحيدوا فتتركوا ما أحلّه الله لكم من طعامٍ أو نكاحٍ ونحو ذلك من الطيبات، وقد نهى نبيكم عن التبتل[2] والرهبانية[3].

وفقنا الله وإياكم لكل ما يحبه ويرضى...



---

(١) انظر: «صيد الخاطر» ص [٣٦٠].

(٢) انظر: «صحيح البخاري» [٥٠٧٤]، و«صحيح مسلم» [١٤٠٢]، وكذا «سنن الترمذي» [١٠٨٢].

(٣) انظر: «مسند أحمد» (٦/ ٢٢٦)، وبرقم [٢٥٨٩٣] ط. شعيب مجلد [٤٣].

خاتمة: ومقالات

١- اعلم أن رزق الله لا يسوقهُ إليك حرصُ حريص، ولا يردُّه عنك كراهية كاره.

٢- ما قلَّ وكفى خيرٌ مما كثر وألهى. «ترتيب صحيح الجامع» (٤/ ٧٢).

٣- صلاحُ هذه الأمة في الزهد واليقين. «الصحيحة» [٣٤٢٧].

٤- علامة الورع؛ الزهد في الدنيا، فمن تمسك بالزهد والورع بلَّغاه كل درجة رفيعة.

ولكن الزهد الآن أصبح رواية، والورع تصنعًا - إلا من رَحِمَهُ ٱللَّهُ -.

٥- ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس. «ترتيب صحيح الجامع» (٤/ ٧٠).

٦- كم من مستقبل يومًا لا يستكمله.. وكم من مؤمل لغدٍ لا يدركه.

٧- **قال بعض السلف**: الزاهد إذا رأى أحدًا قال: هذا أفضل مني.

٨- قال بعضهم:

ما الدنيا بباقية لحي ... وما حيٌّ على الدنيا بباق

٩- **وقال آخر**:

يسر الفتى ما كان قدم من تقى ... إذا علم الداء الذي هو قاتله

١٠- **وكان عمر بن عبد العزيز يقول**:

أيقظان أنت اليوم أم أنت نائم ... وكيف يطيق النوم حيران هائم

فلو كنت يقظان الغداة لحرقت ... مدامع عينيك الدموع السواجم

بل أصبحت في النوم الطويل وقد ... دنت إليك أمور مفظعات عظائم

نهارك يا مغرور سهو وغفلة ... وليلك نومٌ والردي لك لازم

يـغـرك مـا يـغـني وتـشـغـل بالمنى كما غر باللذات في النوم حالم
ويـشـغـل فـيـما سـوف يـكـره غبّه كذلك في الدنيا تعيش البهائم

١١- اجعل الزهد والتقوى لباسك، والعلم والذكر كلامك.

١٢- ابـن آدم عنـدك مـا يكفيك وأنـت تطلب ما يطغيـك. لا بقليل تقنـع ولا من كثير تشبع.

١٣- **قـال الفضيـل بن عياض**: «رهبة العبد من الله عـلى قدر علمه بالله، وزهده في الدنيا على قدر رغبته في الآخرة».

١٤-تفنىاللذائذممننالصفوتها من الحرام ويبقى الإثم والعار.
يـلقى عـواقب سـوء مـن مغبتها لا خير في لـذةٍ من بعدها النار.

١٥- تزيَّن بالزهد فما تزين الأبرار في الدنيا بمثل الزهد في الدنيا؛ فهو زينة المتقين سيماهم في وجوهم من أثر السجود.

هذا؛ وأسألُ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أن يرزقنا حُسْن الختام؛ إنه -تعالى- على كلِّ شيءٍ قدير، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين



الفِهرس

الفِهرس


تم بحمد الله